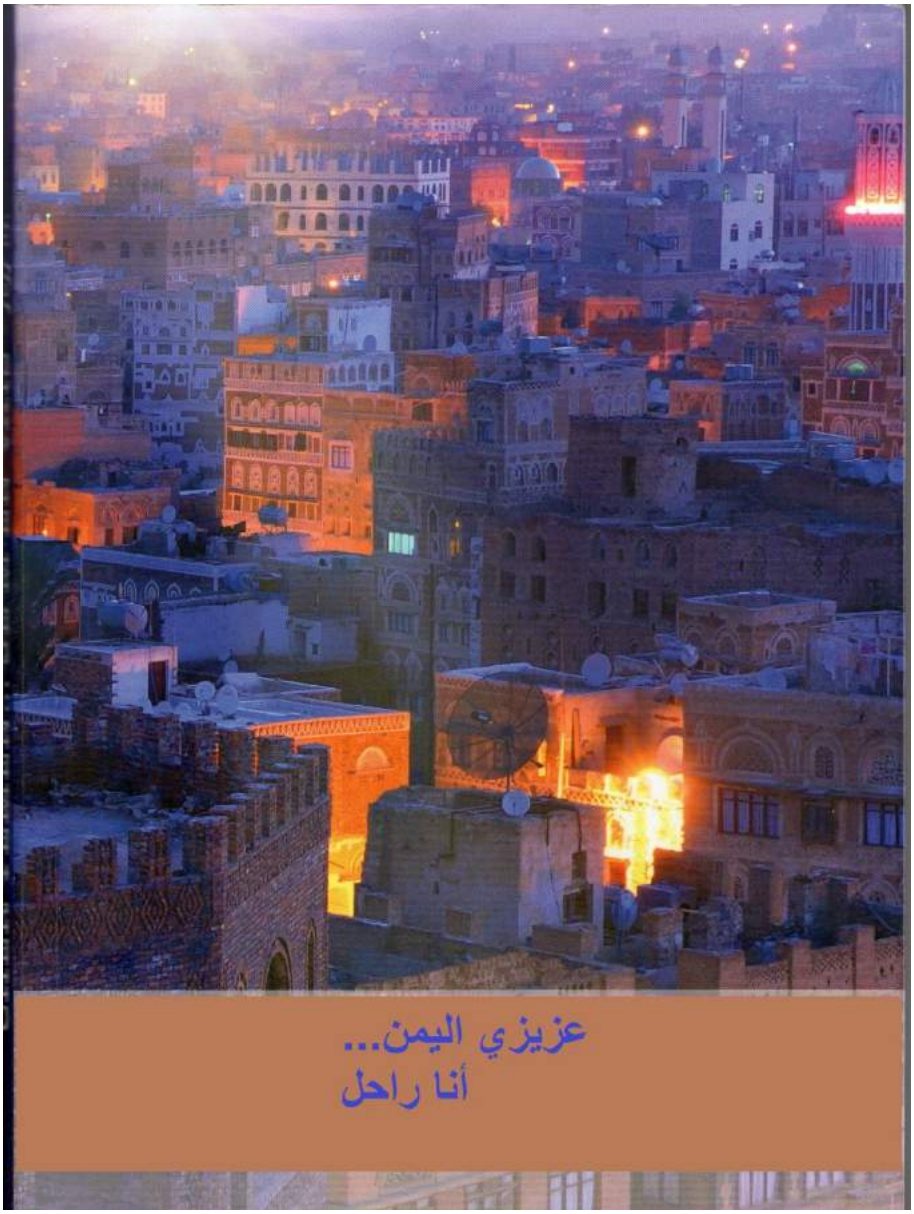

CHER YÉMEN…

JE M’EN VAIS

عزيزي اليمن

أنا راحل

تأليف

جان فرانسوا ميرسيي

ترجمة

دممدوح علي نيُّوف

2016

شكراً ممدوح؛ وضعتُ بين يديك كتابي "عزيزي اليمن...أنا راحل"، قُمتَ بقرائته أكثر من مرة بالتأكيد من أجل تقديمه بالنسخة العربية اليوم...

شكراً لنيكول، لفْلُو، لمَاري ولمَارين...

شكراً لكم جميعاً أعزائي القرَّاء لتشجيعكم الدائم لي...

في النهاية، غامر حُبِّي للستة وعشرين مليون يمني الذين، من الجنوب إلى الشمال ومن الشرق إلى الغرب، يُشكِّلون شعباً يقطن هذا البلد الرائع...اليمن...

Alhamdulillah…

Jeff M.

هي سنواتٌ قليلةٌ مُشبعةٌ بثقافتين، لكن لا مدرسة فيها باستثناء ما علمتنا إيَّاه الأزقة والطرق والدروب، ومعها تجربة في ميدان التجارة وفي مصنع لصهر المعادن، تلاها العمل في مهنة نبيلة وهي الشرطة (الجندرما)، بدايةً في خدمة دولة ومن ثَمَّ في شركة تقدِّم خدماتها لمجموعة مؤلَّفة من ثماني وعشرين دولة...

بالأمس تلاعبت بالكلمات التي أسقطتها على الورق، اليوم تقرؤونها وغداً ستَسنحُ الفرصة لنا جميعاً، كما أتمنَّى، لإمكانية الحديث عنها معاً.

مغادرة... وصول...لا أعرف أو لم أعد أعرف...مرَّ كل شيء بسرعة خلال هذه الرحلة التي أدعوكم لمشاركتي إيَّاها الآن...

جئتُ من أجل سبب محدَّد لكنني أبقى من أجل آخر، وسطَ "ثورات" وحروب أهلية وحروب بكل معنى الكلمة حيث يمتزج الفرح بالألم، الضحك بالبكاء، السعادة بالتعاسة؛ أحاسيسٌ توحِّد رجالاً من كل الأمم والطوائف لكن تحت راية مهنة واحدة...

خلف أو أمام كل هذا، هنا أيضاً لم أعد أعرف...يوجد تنظيم القاعدة أو الوحش القميء كما أحب أن أسميه، حيث يمكنني القول بخصوصه وباختصار أنه سافلٌ ومؤذٍ...أنه لا شيء سوى راكب لأمواج بحر من دم لأنه بحاجة حيوية له من أجل وجوده واستمراريته...

جاهزون للإنضمام لي؟

LIBYA
EGYPT
SUDAN
NIGER
CHAD
NIGERIA
CONGO
KENYA
IRAN
PAKISTAN
ARABIAN SEA
Rub' al
Abhā
Jizan
YEMEN
Sayhūt
Al Hudaydah
Al Mukall
Ta'izz
Aden
Gulf of Aden

اليمن

جامع الصالح –صنعاء

قرية واقعة في منطقة وادي ضهر (ليست بعيدة عن صنعاء)

بيت بوس (قرية تابعة لصنعاء كانت مسكونة في الماضي من قبل الطائفة اليهودية اليمنية وهي مهجورة حالياً)

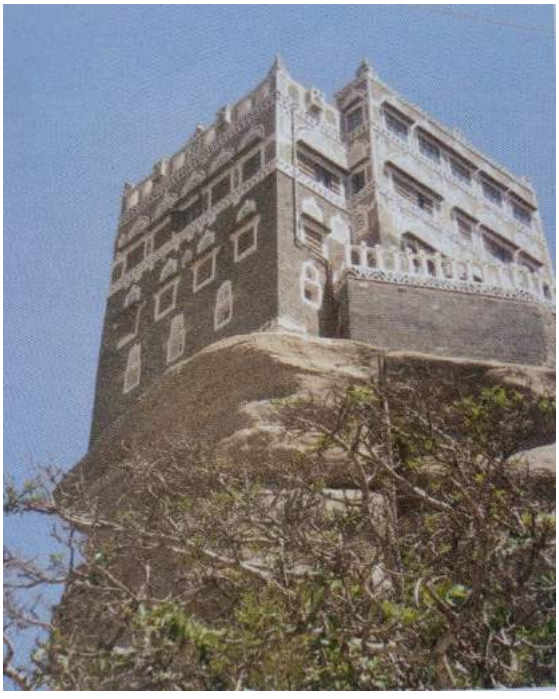

قصر دار الحجر- مكان الإقامة الصيفية للإمام يحيى (بُنِيَ في العام 1920)

شبه الجزيرة العربية

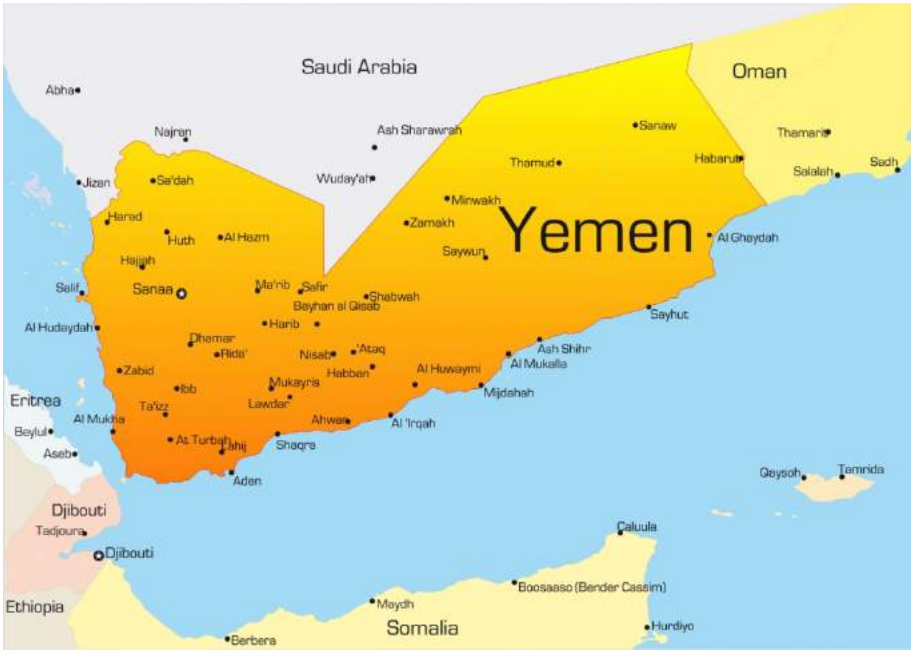

اليمن

صنعاء، العاشر من كانون الأول 2015 ، الساعة التاسعة...

بعد الوداع الأخير لبعض الأشخاص الذين أصبحوا مقربين جداً، أجهز حقائبي ومن ثم أترك هذا الحي الذي أقمت فيه خلال السنوات الست الأخيرة وأنا تختلجني مشاعر وانفعالات من الصعب التعبير عنها طالما أنها عميقة وجياشة.

جاء شخص محل ثقة لاصطحابي، اجتزنا مسافة عشرين كيلو متر وعيناي تحدقان في المدينة التي فقدت الكثير من معالمها بسبب الحرب الدائرة منذ تسعة أشهر![1] قليل من الحركة في الشارع مع أن الطقس مشمس ودرجة الحرارة لطيفة، لكن هذا ليس بالمفاجئ... توقف كل شيء في صنعاء هذه المدينة الألفية التي كانت منذ أشهر عدة فقط عاصمة تعيش حركة دائمة حتى خلال الليل بالرغم من واقع الفقر المدقع.

نحن في طريقنا لاجتياز الحواجز الأخيرة المتبقية قبل الوصول إلى المطار، موقف السيارات شبه خالٍ. مرافقي يكلمني لكنني لا أجيبه لأني أريد التشبع من هذا المكان المليء بالذكريات، بعضها جميل وبعضها الآخر اقل جمالاً لكن هذا لا يهم أبداً لأنني أشعر بها وأستطيع لمسها بأطراف أصابعي.

فُتحَت أبواب البناء الرئيسي في العاشرة والنصف صباحاً، بناء تم تجديده منذ عام لكنه عانى من القصف منذ ذلك الحين، ساعات فقط قبل أن نغادر أنا ومجموعة من ثلاثمئة شخص مبتعدين عن القنابل وعن الرعب والدم. هذه العائلات هؤلاء الرجال وتلك النساء يقومون بدفع عربات حقائبهم المتنوعة لوناً وحجماً ومن ثم يصطفون في خيط انتظار طويل متطلعين إلى المغادرة بأسرع وقت ممكن. يمكن أن نتفهم نفاذ صبرهم هذا.

عيناي لا تفارقان مرافقي وهو يهمّ بالمغادرة بعد أن اجتزنا كل النقاط الأمنية الموجودة، أتوجه بهدوء إلى مكتب التسجيل . وبينما يقومون بإعطائي التذاكر الخاصة بالسفر وأنا أستعد لاستعادة جواز سفري، أقدم رجل واقف بجانب موظف المطار على أخذه وفتحه وهو يحدق بي. يُعيد تقليب صفحاته التي تتضمن أختام الفيزا ثم يطلب من موظف المطار أن يسألني عن مهنتي. بالكاد أنهي جوابي حتى يقوم بتوجيه سؤال آخر غير اعتيادي: هل لديك الرخصة الأمنية؟ أجبته بأنني تركتها في مكتبي لكنه في هذه اللحظة كان غير مستعد لسماعي، في الحقيقة إنه لم يسمعني أبداً ! بعد ذلك ينهض ويطلب مني الانتظار قبل أن يتوجه إلى مكتب مجاور مخصص للشؤون الأمنية...

لم أصدق ولو للحظة واحدة عباراته الأخيرة لا بل ينتابني شعور بأن شيئاً ما غير سار لن يتأخر بالحدوث... هذا الشخص الذي يرتدي بدلة ولذي لا أعرفه مطلقاً من الحوثيين، الحقيقة الأولى! أنه من الوكالة الأمنية الرسمية، الحقيقة الثانية! أنهم كانوا

[1] بدأ الصراع عملياً في منتصف ليل الخامس والعشرين من آذار

بانتظاري، الحقيقة الثالثة! أتصل بمرافقي السابق الذي يقول لي أن سيقوم بالمطلوب وأن لا أقلق وهذا ما جعلني أبتسم ...مرافقي كان الطبيب الشخصي للرئيس السابق، يمتلك شبكة علاقات واسعة تتضمن اشخاصاً نافذين لكن مع ذلك أنا غير مطمئن أبداً هذه المرة. يعاود الاتصال بعد فترة قصيرة ويخبرني أنهم سيعيدون جواز سفري مكرراً عبارته : لا تقلق يا جيفْ ومحاولاً أن يطمئنني بالقول أن هذه إجراء اعتيادي مع الأجانب ...أنهيت المكالمة وأنا مقتنع أنه لم يقل الحقيقة لكني أفهمه، نعرف نحن الاثنين أن هاتفي مراقب منذ أشهر[1] وهذا أمر طبيعي فأنا فرنسي مدير لشركة أمنية دولية [2] ، كذلك لدي كزبون الدائرة الأوربية للشؤون الخارجية وهي الهيئة الدبلوماسية للاتحاد الأوربي ومقرها بروكسل (S.E.A.E)، مؤيدة للحرب كما فرنسا. بالرغم من أني محل تنصت إلا أنني نجحت الاتصال من وقت لآخر ومن إيصال ما أريد بشكل مفصّل، لكن كنت دائماً في منزلي برفقة آخرين جاهزين للتدخل عند الحاجة! لقد تغير الوضع اليوم لأن أحدهم وشى بي، أنا عندهم الآن وبما أني أعرف جيداً هذه الأماكن لديّ القناعة التامة أنه لا يوجد اي مخرج ممكن. ما زال عليّ الانتظار وخاصة بعد مكالمتين جديدتين من الدكتور، بسببهما فقد كل شيء معناه في نظري وتحول إلى مجرد أكاذيب.

بقيت وحيداً بعد أن توجه المسافرون الآخرون إلى قاعة المغادرة، اقتربت من المكتب الأمني الذي ذكرته سابقاً حيث هذا الأخير يعج بالحركة بينما أنا جالس أدخن سجائري وأفكر ملياً، لقد أبلغ أحدهم السلطات بموعد مغادرتي للبلد، وذكر كلمة تجسس لكي يضمن أني لن أُفلت من هذه الورطة، إنها حالة كلاسيكية لكنها فعالة جداً عندما يتعلق الأمر بأجنبي في بلد في حالة حرب! إنها ليست إلا بداية لعبة في نظر هؤلاء الرسميين ستتحول فيما بعد إلى توقيف تليه عمليات استجواب وفي أفضل الأحوال وباختصار أشعر أن موعد مغادرتي يبتعد شيئاً فشيئاً ويقرر أن يكون سيد الموقف.

أطرق الباب وعند دخولي إلى المكتب أسأل من هو الشخص المكلف بالتحقيق في حالتي. يطلب مني الشخص الجالس خلف طاولة المكتب أن أخرج وأنتظر وهو ما فعلته ببرود، يقترب مني شخص آخر في الخارج ويطلب أن أعطيه هاتفي المحمول. وعندما أسأله عن السبب يمتنع عن الإجابة ويكرر طلبه بطريقة أكثر سلطوية، أعطيته هاتفيّ الفرنسي واليمني بينما أحتفظ بالثالث الذي يوحي بأنه جهاز قديم سواء من حيث الشكل أو الماركة، لكنه في الحقيقةيتضمن تطبيقاًمشفّراً –يحتوي برنامجاً يحمي المحادثات والرسائل ويضمن سريتها وصحتها وشفافيتها - مما قد يسبب الإحراج إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار الوضع الحالي للبلد. يخرج شاب من المكتب بعد فترة وجيزة وبينما نظري لا يفارقه يشير لي بأن أدخل مع حقائبي. لديّ حقيبتا سفر وجهاز كمبيوتر لا يلبث أن يصبح محل اهتمامه دون أن

[1] يقوم الحوثيون منذ بداية الصراع بالتنصت على مكالمات الأجانب في اليمن وخاصة من لديهم أنشطة مصنفة كحساسة من قبل هؤلاء.

[2] *ASP Yemen Company*

ينسى بالطبع الأقراص الصلبة ومفاتيح الذاكرة (USB) الممتلئة بوثائق خاصة بعملي في المجال الأمني. قاموا بمصادرتها بينما أعيد ترتيب أغراضي التي فتشوها بشكل دقيق، بعد ذلك جلست وأشعلت سيجارة...

سيتبدل الجو الودي الذي ساد حتى الآن وخاصة عندما بدأت تنهمر الاسئلة بلغة إنكليزية متواضعة، قبل أن أتمكن من الإجابة أُعطيَ لي الأمر أن أُطفئ سيجارتي وأن أقف وأُفرغ جيوبي! أخرجت منها اشياء عديمة القيمة دون أن أتوقف عن التفكير بهاتفي وبرنامجه..سيُحتّم عليّ إظهاره أن أبرر سبب امتناعي عن إعطاءه للشخص الذي طلب مني إعطاء ما بحوزتي أول مرة، مما سيقتضي ايضاً أن أوافق على طلب فك التشفير أو أن أتابع إخفاءه لكن إلى متى..ولذلك قررت أن أُظهِرَه. وبمجرد أن رآه الشخص الجالس خلف الطاولة وهو المسؤول على ما يبدو أخذه منّي على الفور وهو يكلمني بصوت عال دون أن أفهم كل ما يقول لكني شعرت أنه في حالةتشفٍّي وهنا بادرت بالقول أنني لم أسلمه هاتفي المحمول هذا أول مرة لأن لديه مشكلة في البطارية ولذلك لم أستخدمه إلا نادراً. قلت ذلك بأسلوب مقتضب جداً وأتبعت بطلبي له أن يعيده لي من أجل تشغيله. ما أن أضع الرقم السري حتى يأخذه مني بسرعة ويبدأ البحث في دليل الأرقام وفي قائمة الاتصالات وهي فارغة بطبيعة الحال بسبب التطبيق الذي تحدثت عنه مسبقاً، مما سيؤكد بشكل ما صحة كلامي حول قلة استخدامي لهذا الجهاز تحديداً. لم يقتنع بذلك ولذا سيحتفظ به كما هو الحال فيما يتعلق ببطاقة السفر! ستتحقق مخاوفي بشكل متزايد مما سيجعلني أفقد هدوء أعصابي...أسالهم من هم، ماذا يفعلون وبأيّ حق يفعلون ذلك... أنا أعيش هنا منذ سنوات وعائلات عدة تعيش بفضل الشركة التي أُديرها... أحب هذا البلد وأنا ضد هذه الحرب كما أعتبرها ظالمة وغير أخلاقية وحتى ولو وافق عليها العالم كله. أتحدث وأنا أنظر إليهم بثبات وهذا ما يفاجئهم.يصل شخص آخر فجأة ويطلب منّي بإنكليزية جيدة هذه المرة إن كان لدي حقائب أخرى. أنهض لاسترداد هاتفي الموضوع على الطاولة دون أن أعرف كيف قمت بذلك وأعاود الجلوس من جديد.

إنها الرابعة بعد الظهر، لم يعد يهمني شيء، لن أُغادر اليمن اليوم، أُشعل سيجارتي وهنا يذهب تفكيري باتجاه مرافقي الذي يعرف أين أنا الآن كما يعرف أنه ليس بمقدوري التواصل معه. يستطيع أن يخرجني من هذا المأزق إلا إذا كان هو السبب لكن استبعد ذلك، بالمقابل وحده من هو في منصب رفيع يستطيع إنقاذي وعليه أن يفعل ذلك بسرعة لأن (العالم الجميل الذي يستضيفني الآن) يتبع لمكتب الأمن الوطني (N.S.B)[1] وبما أني عرفته عن قرب خلال السنوات الأخيرة وعرفت شهرته فإني على يقين أنه لا يترك أي أمر بسهولة.أُشعل سيجارتي الحادية عشرة واسترخي بينما تحملني أفكاري بشكل غريب إلى يوم من أيام العام 2009.

[1] وكالة استخبارات حكومية يمنية مكلفة بالأمن الخارجي.

صنعاء، يوم السبت الموافق للثاني عشر من كانون الأول 2009 ، الساعة الثالثة والنصف صباحاً

وصلنا للتو إلى مطار صنعاء الدولي . أتنشق الهواء المعتدل البرودة خلال عبوري الممر المؤدي إلى حافلة النقل المكوكية التي ستقلنا إلى صالة الوافدين.البعض ما يزال نائماً فيما البعض الآخر يصحو لكن الأكثرية تتكلم بصوت عالٍ بل عالٍ إلى حد الصراخ، هكذا هي الحال في العالم العربي حيث تبدو الليالي كالأُنهُر! أتوجه فور وصولي لكوة التأشيرات وأنتظر دوري وأنا أراقب تفاصيل المكان بتمعن. الفوضى والصخب يسودان هذه الصالة الكبيرة لكن هذا ليس إلا واجهة لما في الخفاء فهناك عيون موظفي الجمارك والشرطة ورجال الأمن بزي مدني التي تراقب كل شاردة وواردة. أتعبتني هذه الرحلة ...بمجرد الانتهاء من الإجراءات الروتينية سيقوم شخصان يعملان بموجب عقد لمُني بمرافقتي، طبعاً سأصبح المسؤول عن العقد المذكور في غضون ساعات عدة. الأول يتحدث الإنكليزية قليلاً أما الثاني فمطلقاً لكن لا مشكلة سأتعامل مع ذلك سريعاً.

سنعبر مسافة عشرين كيلو متر قبل أن نصل إلى فندق سبأ حيث سأقيم خلال الأشهر الثلاث المقبلة. سأصل إلى غرفتي في الخامسة صباحاً، أول شيء أقوم به هو إجراء أمني يتضمن تفتيش الغرفة باستخدام تكنولوجيا المسح، أرقد بعد ذلك لأني سأبدأ عملي في غضون ثلاث ساعات، لكنني لن أتمكن من النوم ...أتقلب في سريري ثم أنهض وأذهب باتجاه النافذة لكي أكتشف المكان أُحسه تماماً كما فعلت في المطار وخلال الرحلة.

ينص العقد الذي ذكرته سابقاً على حماية الأبنية الرسمية التابعة للدائرة الأوربية للشؤون الخارجية وكذلك مقرات الإقامة الخاصة التي استأجرتها في العاصمة اليمنية، وتشمل أربعين مكتباً. يوجد العديد من الموظفين الذين يرأسهم عبدو، سأقوم بمهام عدة خلال هذه الرحلة من بينها تدريب هؤلاء، رحلتي هذه التي أدعوكم الآن لمشاركتي إياها على أرض الأسلاف هذه التي حكمتها ملكة سبأ في عهد ما (ذُكرَت في الإنجيل والتوراة والقرآن كملكة حكمت مملكة سبأ في القرن العاشر قبل الميلاد والتي امتدت من اليمن إلى شمال إثيوبيا وإريتريا. تقول الرواية أنها كانت ابنة لجن ولملك سبأ. رأى فيها سليمان امرأة فائقة الحكمة والذكاء)، والتي عرفت زراعة قهوة المُخا[1] والتي عبرتها القوافل التجارية قبل أن تصل إلى بلداننا محملة بالثروات التي كانت تُشترَى بأثمان حددها ملوكنا أو كبار ملوك تلك العهود.

[1] صنف فخم من القهوة ذي الطعم البري، أصله على الأرجح من إثيوبيا وتم نقله إلى اليمن في القرن السادس عبر ميناء مدينة مُخا اليمنية المطلة على البحر الأحمر.

أُحَضِّر نفسي هذا الصباح للقاء باولو[1] وهو فرنسي من أصل لبناني يقوم بإدارة عمل الشركة، سيطلعني على تفاصيل العمل خلال الأيام القادمة، لكني لن أفهم شيئاً ليس بسبب نقص الوقت أو بسبب تعدد الملفات التي يجب معالجتها، بل لأنه يقضي جلّ وقته للرد على المكالمات الهاتفية؛ "ألو نعم سيدتي"... "فهمت جداً وسوف أتصرف في الحال "..."أعذرني جيف ماذا كنا نقول؟"... "ألو... السيد السفير"... "في الحال"..."اعذرني يجب أن أعاود الاتصال بها لأنها لم تحبرني كل شيء"... "حسناً جيف لقد تناولنا ذلك مسبقاً هل فهمت"..."أتعرف الهاتف سيشكل جزء أساسي من حياتك هنا". أما من ناحيتي "جميل باولو...ما هو الوضع الآن؟"..."نعم كما قلت لك جيف"..."ألو..."! وعندما يغادر أقوم بتناول الملاحظات المكتوبة بخط اليد دون أن تفيدني بشيء جديد لكن هذه المرة ليس بسببه أو بسبب الهاتف بل لأن كتابتي غير مقروءة...

درس مبسّط في التاريخ والجغرافيا...

اليمن بلد عربي يقع في أقصى الجنوب الغربي لشبه الجزيرة العربية؛ يحده من الشمال المملكة العربية السعودية ومن الشرق سلطنة عمان. تتمتع بواجهة بحرية هامة على خليج عدن، وأخرى أقل أهمية على البحر الأحمر، تتقاسم مع جيبوتي التحكم بمضيق باب المندب الذي يقود نحو قناة السويس (يصل مضيق باب المندب بين البحر الأحمر والمحيط الهندي، يقع في المرتبة الرابعة من حيث أهميته كممر لنقل البترول. تُكسبه قناة السويس أهميته الاستراتيجية وهي التي تصل البحر المتوسط بالأحمر مما يسمح للدول الغربية التزود بالطاقة). تتبع له العديد من الجزر ومن بينها سوقطرة التي تقع في المحيط الهندي وأخرى في البحر الأحمر. منحته هذه الميزات ورقة استراتيجية حقيقيةجعلت من التحكم به مركزاً لكل الأطماع؛ حاولت أوتحاول الامبراطوريات العابرة للزمن: الرومانية، البيزنطية، البرتغالية، العثمانية، الروسية، البريطانية، الفرنسية والأمريكية إيجاد موطئ قدم لها فيه.

لكن هذه اللوحة ليست مثالية تماماً فهناك جزء غائب عنها... لم يعرف اليمن الاستقرار، بلد مُهتز بصفة منتظمة لكن بدرجات متفاوتة. صادف وصولي مع دخوله في صراع جديد مسرحه شمال البلادوتحديداً في إقليم صعدة (مسقط رأس الحوثيين) بين القوات الحكومية وهذه الجماعة أي الحوثيين، بماذا يذكركم هذا الاسم؟

إنها الحرب السادسة بين هذا الكيان والدولة، أما الأولى فوقعت في العام 2004. يشارك سلاح الجو السعودي بانتظام في قصف الحوثيين الذين يشنون بدورهم هجمات على القواعد العسكرية السعودية قبل أن يعودوا أدراجهم... بالطبع لكل ذلك انعكاسات على العاصمة صنعاء، فقد قامت الدائرة الأوربية للشؤون الخارجية بإجلاء موظفيها ومن ثم نقل سفارتها(معروفة رسمياً بالوفد الأوربي) في شهر كانون الأول من عام 2009 نتيجة

[1] قمت باستعمال أسماء وهمية لمقتضيات السرية وبهدف الحفاظ على سلامة من عملت معهم ومن أجل احترام حياتهم الخاصة.

الأوضاع الأمنية المتردية . أستطيع أن اقول لكم الآن مع تقادم الموضوع أنه وقعت مشاكل كبيرة لا يمكن وصفها رغم أننا ضحكنا أيضاً!

عمل بدون مترو الأنفاق وبدون راحة ...

أعود قليلاً إلى طبيعة مهامي حيث وبدون مبالغة إنها على صورة الدائرة الأوربية للشؤون الخارجية التي ذكرتها سابقاً وعلى صورة دول الاتحاد الأوربي الثماني والعشرين وممثلها في اليمن أي السفير أو كما يسمى رسمياً رئيس الوفد، وهو شخص ذو شخصية قوية، وأنا كذلك أيضاً! بالإضافة لكل صانعي القرار هؤلاء يوجد المسؤول الأمني الإقليمي المعيّن مباشرة من الدائرة المذكورة أعلاه، لكنه لا يهتم بكثير من الأمور نتيجة لضخامة المهام!طبعاً هذا أمر غير جدّي ولا يعكس الحقيقة بأي حال من الأحوال ولا يلبي احتياجات العمل على الأرض؛ أقوم مثلاً ببعض الأشياء المتعلقة بالعمل بعد إبلاغ الجهة المسؤولة بنيتي القيام بها ثم أُلغي ما قمت به، لكن لا ألبث أن أعود على بدء للقيام بالشيء نفسه لأن شيئاً ما قد تغير في هذه الأثناء!هنا أتذكر باولو لأنني أقضي كثيراً من الوقت مستعملاً هاتفي.

تم تخصيص منزل فخم لإقامة الوفد الجديد، منزل رائع لكنه يبدو أقل روعة عند التجربة.سأنتدب أشخاصاً إضافيين للعمل مما يستوجب تدريبهم على أشياء عدة من بينها احترام إيقاع أو زخم الحياة في هذا البلد حيث كل شيء يتشكل أو يتفكك حسب إيقاع الوقت هنا،ليس الوقت الذي نعرفه أو ذلك الذي ينفذ منّا، ليس الوقت الذي لا يمكننا اللحاق به مهما حاولنا، لا أنا أقصد الوقت الذي ينقضي على وقع الصلوات،على وقع النهار والليل والفصول والمصالح والرغبات والوجبات المتبوعة بجلسات القات والمحادثات التي لا نهاية لها حول كل شيء وحول لاشيء في الآن معاً! وقت يتوقف لبرهة ثم يمضي لكن على إيقاعه هو فقط، وقت يشعرنا بالإرباك لكنه ساحر في الوقت عينه، وقت منزمن آخر لكنه حاضر تماماً هنا.

كل يوم مختلف عن سابقه، إذ يمضي بين الضحكات والابتسامات والضحكات المجنونة، كذلك تعبيرات عن نفاذ الصبر، نوبات غضب وغلق أبواب في هذه المدينة التي تحوي أربعمائة مسجد، ذُكرَت في الإنجيل كوجهة أخيرة لسفينة نوح، ينحدر اسمها من سام ابن الشخص المذكور، واقعة على هضبة ارتفاعها 2.200 متر ومحاطة بجبلين ارتفاع أحدهما 3.100 متر، إنها جوهرة حقيقية بطبيعة متباينة نتيجة شح الأمطار وأحياناً كثيفة الخُضرة، بتضاريس مرتفعة وغير منبسطة وأرض جافة، تبلغ مساحتها 15 كيلومتر مربع (للمقارنة فقط تبلغ مساحة باريس 105 كيلومتر مربع) ويبلغ عدد سكانها أربع ملايين نسمة، يقطنها يمنيون من كل الأقاليم لكن الأكثرية من تعز، من أغنى المدن اليمنية حتى من الناحية الفكرية، تقطنها جاليات من كل أنحاء العالم ومن كافة الأصول والأديان. أخيراً، مائدتها عامرة بأصناف متعددة من أطباق اللحوم والخضار المبهّرة مع أنواع عدة من الخبز.

رحلة رحلة...

هذه السنة ليست إلا متوالية من عمليات التدرب والإكتشافات والمحادثات علاوة على مهامي الوظيفية التي تملأ نهاري وليلي، بالفعل يتطلب هذا المنصب العمل على مدار الوقت، شهرين هنا سيليهما شهر استراحة هذا من الناحية النظرية أما عملياً فالوضع مختلف.يُدير عبدو، أو الصديق عبدو كما أحب أن أناديه، شركة محلية أُنشئت لهذا الغرض. سأنضم في العام 2010 أيضاً إلى وفد الدائرة الأوربية في عمان حيث سأبقى هناك لمدة شهرين وبعدها سأشكر رئيسي على " العطلة " مدفوعة الأجر التي منحني إياها، ثم أتوجه لاحقاً إلى تل ابيب حيث سيكون أحد ما بانتظاري هناك.

سأذهب يومياً إلى صالة رياضية أو إلى حديقة عامة ولمدة ثلاثة أشهر من أجل ممارسة مكثفة لرياضة دفاع عن النفس من النمط الفعال جداً تُسمى "كراف ماغا"[1]، أما مدربي فليس إلا آريك غولدينبيرغ ، بطل العالم في الكاراتيه لعام 1998. اكتشفتها خلال فترة إقامتي السابقة، طبعاً المدرب قاسٍ أيضاً كما هذا النوع من الرياضة.

لكن قبل أن أنضم إليه يجب عليّ أن أغادر هذا المطار، مسألة ستأخذ مني وقتاً ليس بالقليل على ما يبدو... ببساطة إسرائيل متشددةجداً في الموضوع الأمني منذ نشوئها ، أوكد لكم أن هذا ليس بالإشاعة. ما أن يرى الموظف البارد الجالس خلف نافذة باردة جواز سفري حتى تتغير ملامح وجهه ويصبح عبوساً، يدعوني ببرود دائم لأن أنضم لطابور الانتظار، يقترب مني بشكل مباغت موظفان أمنيان بزي رسمي ويدعواني لمرافقتهما إلى مكتب حيث يتواجد فيه مسبقاً بعض "الزبائن"، شيء ما يذكرني بمكاتب الضمان الصحي عندنا! يمضي الوقت وقد تخلله بعض الزيارات قبل يخبروني أن ملفي قيد الدراسة، أبادر للاتصال بآريك لأنه ينتظرني منذ ساعة .الطقس حار، أشعر بالعطش وبالغضب يتسلل جدياً إلى رأسي، أخيراً يأتي شخص ويبدأ بطرح أسئلة عدة شائعة قبل أن يسألني حول النشاط الذي أمارسه في اليمن.كان بإمكاني أن أُجيبه "إرهابي" لكن لم تكن لديّ الرغبة بالمزاح، أجبت عن سؤاله باختصار لكن كلماتي لم تقنعه لأنه أمر بإعادتي لكن ليس إلى "نقطة البدء" بل إلى غرفة الانتظار...أقول لنفسي: "يا له من وصول رائع إلى مكان حيث كُتِبَت كلمة *Welcome* في كل مكان !!"بدأ صبري بالنفاذ مع مرور الوقت، أُوقف موظفاً أمنياً بإلحاح وعندها سيقوم بالمطلوب إذ أني سأجد نفسي أمام شخصين يبدوان محققين، يكرران الأسئلة ذاتها أما أنا فلم أعد أنُصت لهما... أنفجر...أشكرهما لحفاوة الاستقبالوأُشير أني جاهز لترك هذا البلد في حال رغبا بذلك لكني لست إرهابياً بأي حال من الأحوال أو محارب جاء لي ليقاتل في إسرائيل أو عميل سري مزدوج أو أكثر من مزدوج، نعم قلت ذلك! أحسست بالراحة فجأة وهم أيضاً لأنهم سينهالون عليّ بالاعتذارات في الربع ساعة التالية بسبب

[1] طورها اليهودي التشيكي إمريخ ليشتنفيلد في سنوات الثلاثينيات من القرن الماضي.

الساعات الست التي أمضيتها عندهم. أول شيء فكرت به وقلته لآريك عندما رأيته هو أنني لست إرهابياً لكنه لم يفهم في البداية لما قلت ذلك!

فيما يتعلق بالإقامة، يمكنني القول أنها ساحرة ولو أن جسدي لا يشاركني هذا الشعور. أنزل في شقة صغيرة في الطابق الأول من بيت مملوك ليهودية من أصل يمني تركت بلدها الأم منذ وقت طويل[1]. عندما ستعرف المكان الذي قَدِمت منه وبعد سلسلة من الأسئلة والاستفسارات ستعرفني على أصدقاء ومعارف لها، هم أيضاً يهود يمنيون وعند مغادرتي سأسأل نفسي إن لم أكن قد أصبحت يمنياً أيضاً إلى حد ما...

صنعاء...كانون الأول من عام 2011

مع عودتي إلى اليمن كان ما سُميَ "الربيع العربي" هذا الحدث الدولي الكبير قد بدأ في تونس في كانون الأول من عام 2010 قبل أن تنتقل عدواه إلى مصر وليبيا وسوريا واليمن حيث سينزل حوالي مئة طالب يمني إلى الشارع مطالبين الرئيس اليمني آنذاك علي عبد الله صالح بإقالة حكومته المتهمة بالفساد. على غرار ما قام به البائع محمد بوعزيزي في تونس، قام أربعة شبان يمنيون بإضرام النار بأنفسهم في قلب مدينة عدن، هذه المدينة الهامة في جنوب البلاد.

في العام 2010 وتحديداً في الربع الثاني منه بدأت الدلائل على سأَم السكان بالظهور ترافقت مع تعثر اقتصاد البلاد الذي يعتمد أساساً على الدعم الدولي ومن ثم هشاشة الأمن القومي نظراً لنشاط تنظيم القاعدة[2] على الأرض اليمنية حيث يمتلك ثلاث قنوات من أجل ضم عناصر جدد إلى صفوفه...بالدرجة الأولى رجال منتمون إلى القبائل، من أسر كبيرة العدد، بتعليم متواضع أو أميون بدون عمل وبدون ماض أو حاضر أو مستقبل. القناة الثانية هي القبيلة نفسها وعلى رأسها زعيم قوي يُقرر نيابة عن الآخرين ويدعم التنظيم خلال فترة معينة (لأسباب لن أذكرها هنا) أو لفترة قد تطول إن ترسخت الصلات بين الطرفين. القناة الأخيرة هي العنصر الفردي، حيث حسب إدراكه ينضم الأخير لمركز للمساعدة أو مدرسة أو مسجد ليس في النهاية إلا "غرفة تحضيرية" لهذا الوحش الشنيع الذي سيتولى تحويل هذا الإنسان في حالة عُسر إلى رجل آلي جاهز للقيام بالعمل النهائي. قبيح ومتعطش للدماء سيؤذي أناساً مقربين لي قبل أن يهتم لأمري ولأمر من أُمثّل هنا!

[1] تعددت التهديدات ضد الطائفة اليهودية اليمنية اعتباراً من العام 1948.قبل ذلك بقليل وتحديداً في كانون الأول من عام 1947 وقعت مجزرة عدن أو "Pogrom d'Aden" التي أودت بحياة 82يهودياً يمنياً كما دُمرت بعض مساكنهم. مع قيام إسرائيل، بدأت الأخيرة بتنظيم عملية سرية سمتها "بساط الريح" حيث أجلت حوالي 45.000يهودياً يمنياً في الفترة مابين حزيران من عام 1949 وأيلول من العام التالي. ستتوقف هذه العملية في العام 1962 مع بداية الحرب الأهلية في اليمن.

[2] تم الإعلان عن تشكيل "القاعدة في الجزيرة العربية" في شباط من عام 2009 من عناصر سعودية ويمنية وسُمي أيضاً "أنصار الشريعة".

يرفض الرئيس التفاوض مع (المخربين)، مما سيؤدي إلى انقسام البلاد وجر السكان للوقوع في المياه العكرة والهائجة. مُمَثَّلاً أساساً بحركة شبابية ادعت أنها ثورية، سينضم للاحتجاج لاحقاً رجال ونساء وأطفال وسيبقى سلمياً على الرغم من أن الشعب اليمني يمتلك 55 مليون قطعة سلاح[1]، سيتم استبدال شعار السلمية بآخر أكثر صراحة هو "إرحل". يحاول الرئيس صالح كسب الوقت من خلال إعلان استعداده للقيام بتعديل الدستور وإجراء انتخابات رئاسية في غضون عام دون أن يترشح لها، لكن ذلك لم يعد كافياً! يتدهور الوضع وتتعدد المظاهرات بأعداد متزايدة ومنها من يبدأ بالتجمع في قلب الجامعة القديمة لصنعاء وفي ساحتها *Change Square* ...فهي رمز يجذب الجميع من أغنياء وفقراء جميعاً بيدٍ واحدةٍ في هذا المكان الحر حيث تتركز داخله وحوله أيضاً أعداد كبيرة من رجال الشرطة والجيش.

سيُقوّض هذا الوضع الأمنَ في البلاد وفي العاصمة تحديداً، خصوصاً مع وجود زارعي الفوضى والمجرمين وأفراد من القبائل دون أن ننسى القاعدة أو الوحش البشع. اغتيالات بشكل منتظم لمسؤولين كبار وأعضاء في المؤسسات الحكومية ولشخصيات كبيرة. يُحتّم هذا الوضع الأمني المتدهور توظيف أفرادٍ جدد وتشكيل فريق للحماية الشخصية للسفير، على رأسه فرنسي مما سيسمح لي بالتكلم مجدداً بالفرنسية وهذا شيء رائع لأن اللغة المُستخدَمَة حالياً سواء مع الفريق أو مع الزبائن هي الانكليزية، الشيء غير المحبب أحياناً. نعمل لوقت طويل تحت الشمس وفي الليل حيث السماء مليئة بالنجوم لكن هذا لا يمنعني من الذهاب بشكل مستمر إلى المدينة القديمة والضياع في متاهة شوارعها وأزقتها.

صنعاء "العتيقة"

بُنيَ مركز المدينة منذ ألفين وخمسمائة عام وهو حالياً جزء من التراث العالمي لمنظمة اليونسكو الأممية.كانت قديماً مدينة بكل معنى الكلمة، ما زالت آثار تقسيمات أحيائها القديمة موجودة حتى الآن وخاصة الحيّين التركي واليهودي. ما زال جزء من سورها محفوظاً بالإضافة لمواقع أخرى منها مئة وستة جوامع، اثني عشرة حمّاماً و ستة آلاف وخمسمائة بيت من القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين. المساكن مُشيَّدة بشكل أساسي على شكل أبراج من طوابق عدة، على غرار الحي اليهودي مثلاً حيث البيوت من طابقين، أما المواد المستخدمة في البناء فهي الطين المجفف والقرميد المشوي أو المجفف في أفران. الأبنية مغطاة جزئياً بالجير أو الكلس وقائمة على طابق أرضي من الحجر، لونها البني المائل إلى الحُمرة أو المَغرَة يختلط مع لون الجبال المحيطة بها، وأخيراً واجهة الأبنية مُزيَّنة

[1] يأتي الشعب اليمني في المرتبة الثانية عالمياً من حيث عدد قطع السلاح بين المدنيين بمعدل 61 بالمائة (أي إحدى وستون قطعة سلاح لكل مئة شخص)، مباشرة بعد الولايات المتحدة الأمريكية مصنفة أولى عالمياً بمعدل 90 بالمائة.

بنوافذ ذات مشربيَّات[1] (مصنوعة من الخشب المنقوش المزخرف) وقمريَّات أي نوافذ صغيرة وعليها زجاج من المرمر المصقول.

نموذج من العمارة اليمنية البرجية ذات المشربيات والقمريات والنوافذ من المرمر المصقول

[1] ألواح مخرَّمة مصنوعة من الخشب المُعشَّق كما ذكرنا أعلاه، مستخدمة أساساً لإغلاق النوافذ والشرفات المطلة على الخارج وتسمح بالرؤية من طرف واحد أي فقط من الداخل وقد تكون على شكل شرفة مغلقة.

جانب من صنعاء القديمة

البيت اليمني في الليل

جانب من السوق الليلي في اليمن

توجد مئات المتاجر في قلب هذا النمط المعماري الفريد في العالم حيث يذهب الحيِّز بالكامل للتجار والحرفيين الذين يعرضون بضائعهم في الشارع موضوعةً على ألواح خشبية بحمالات أو على الأرض.يبيعون بشكل عشوائي وتبعاً للحي "الجنبيَّة" وهو الخنجر اليمني المعقوف الذي يُوضع تحت الحزام ويضعه كل رجل قادر على المشي، يتراوح سعره بينبضع دولارات وعشرات آلاف الدولارات تبعاً للقِدَم، تُصنع يدوياً حيث الرأس من قرن وحيد القرن، أيضاً مجوهرات جديدة أو قديمة ومنها الفضة والأحجار شبه الكريمة التي صُنِعت من قبل الطائفة اليهودية التي اختفت الآن، كنوز من الزمن الغابر في أكياس بلاستيكية مصنوعة مؤخراً، طبعاً لا يظهرونها إلا لمن يستحق أن يكون "مُقرَّباً"، البخور على شكل كتل من الحجارة بألوان متعددة يتم تكسيرها وبيعها، دون أن ننسى الزيت العطري الساحر المسمى "المرّ"[1] وقد يباع بشكل صمغ أو راتنج، الأوعية والأطباق المصنوعة من الفضة، الخردوات والحديد المصقول، الخشب العادي والمُصنَّع، الأبواب والنوافذ، الأقمشة والأنسجة، الأحذية والصنادل بنوعيات وألوان مختلفة، ألبسة تقليدية لكل الفئات، البهارات والفواكه المجففة والعسل المعروف بأنه من أفضل الأنواع في العالم[2]، البضائع الصينية التي لا غنى عنها والتي قلدت كل شيء حتى ما يصعب تقليده، طبعاً ميزتها الرئيسية كلفتها المنخفضة، وأخيراً القات المشهور!

يوجد أيضاً خانات قديمة تختفي خلف أبواب ضخمة وقديمة جداً من الخشب، تم تحويلها لمتاجر مُترَفة فيها أحجار شبه كريمة وخناجر ومجوهرات قديمة ورسوماً، وفي المدينة ايضاً مطاحن في أماكن مغلقة مُجهزة بحجر رحى يحركها جمل، مستخدمة لإنتاج الزيوت والدقيق بأنواع مختلفة.يوجد أيضاً في هذا الوسط الغني بالروائح والألوان، سوق لبيع الحمير التي تنهق بانتظار أن يُشفق عليها أحد ما ويشتريها، صالونات شاي في ساحات داخلية للبيوت البرجية اليمنية، جدرانها متفسحة مطلية باللون الأبيض على النقيض من سواد الدرابزين والدعامات الخشبية المتشققة المشوهة بل المحفورة، يتكون الديكور كذلك من كراسي ومقاعد وطاولاتغالباً بدائية غير مريحة بل غير صالحة للاستعمال.

لديَّ العادة أن أجلس في مقهى ما وأشرب الشاي الأسود قبل أن أستأنف تجوالي حيث سأتوقف أمام بيت أو مبنى أو قصر أو جامع لكي أنظر بتمعن وأتأمل وأتمتع بهذه الكنوز العائدة لزمن آخر. أمشي أحياناً وسط الجموع لكن لا ألبث أن أتركها بسبب الضوضاء، باحثاً عن مكان آخرأكثر هدوءاً وإهمالاً، مكان ظليل لكنه ساحر. بعد عودتي من تجوالي أُصبح وللحظات كطفل بعينين متألقتين مليئتين بسعادة لا توصف لأنه رأى كل ذلك الثراء وأحس به في أعماق ذاته.

---

[1] تنتجها شجرة المرّ. معروفة ومستخدمة من قبل المصريين والعبرانيين واليونان. كانت تُعامل تجارياً معاملة الذهب من حيث الثمن والوزن. ما زالت مستخدمة في محلات العطور وفي تركيب العطور بنكهة شرقية حيث تمزج مع العطور الزهرية من أجل إضفاء جانب حسي إضافي عليها.

[2] تربية النحل معروفة تقليدياً في هذه الأرض، بدون إضافة سكر أو مواد كيميائية أو أدوية. لا يُسخن العسل المجمَّع بل يوضع في حاويات من أجل حفظ مكوناته الأساسية.

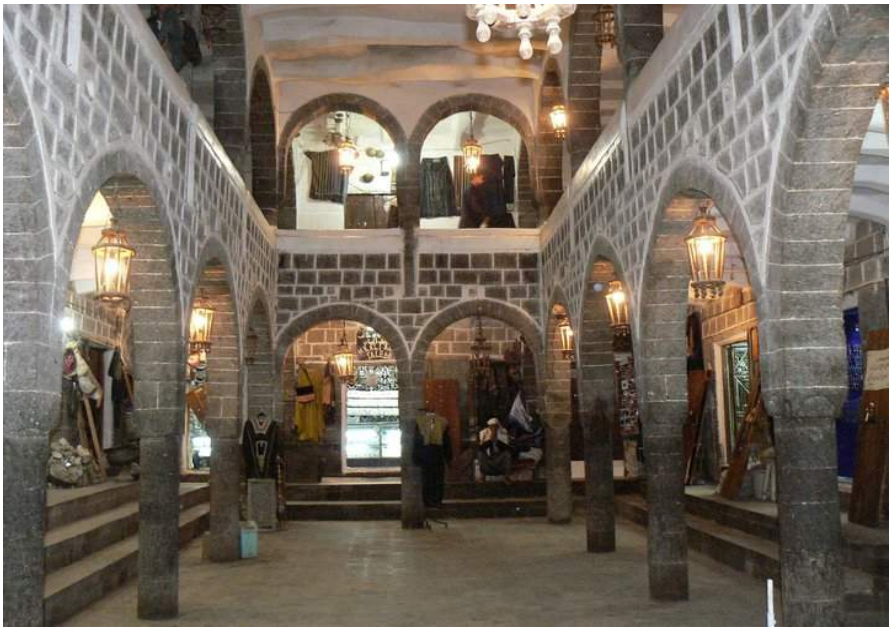

الخان اليمني

طاحونة مع جمل

صالح...

أصبحت الأيام مختلفة ولم يعد هناك وجود للزخم اليمني الذي تحدثت عنه سابقاً، يشارك الآلاف في مظاهرات في صنعاء وتعز وعدن حيث الحركة الجنوبية في المقدمة بهدف وضع حد للاحتلال الشمالي. فيما الرئيس صالح يقوم بتنظيم مظاهرات مضادة وإقامة مخيم في ساحة التحرير حيث يمسي الشارع ساحة للمواجهة بين الموالين والمعارضين للنظام ومن ثم ستندلع أولى الصدامات بين المتظاهرين وقوات الأمن ويمتلئ المكان باللافتات والأعلام والحجارة والقنابل المسيلة للدموع ومدافع المياه والعصي. هناك معلومات عن اعتقالات وتنديد بعمليات تعذيب أما البوليس السياسي فيقوم أحياناً بانتظار الجرحى بالرصاص الذين يصلون إلى المستشفيات، فيضعهم في أماكن سرية رطبة، يتم التحقيق معهم لأن السلطة بحاجة لمعرفة المزيد عن هذه الحركة غير المقبولة لأنها خارجة عن السيطرة. سينضم تحالف من الأحزاب المعارضة للتمرد يتصدره حزب الإصلاح الاسلامي وحوثيون وقبائل وعلماء شريعة من بينهم قضاة ومفتين وأئمة جوامع، طبعاً لا يمكن تجاهل دور البلدين الجارين العربية السعودية وقطر- لن يتحدث أي كان عنهما بسبب أهميتهما على الصعيد النفطي-للذين يمولان القضية لأن الأمر أصبح واضحاً حالياً وهو أن رأس الرئيس علي عبدالله صالح هو المطلوب! يُضاف دور الدبلوماسية الدولية إلى هذا المشهد المعقد أصلاً والتي ما زالت تلعب دور الوسيط لأنها لم تقرر بعد مستقبل "الزعيم".

لكن من هو علي عبدالله صالح في الحقيقة؟ يُوصَف بالدكتاتور تماماً كصدام حسين والقذافي ومبارك...الخ. وُلِدَ في آذار من عام 1942 لعائلة بسيطة بدون انتماء قبلي، الشيء الذي يمكن أن يمثل عقبة في اليمن في حال وجود طموح ما! ينضم للجيش في سن السادسة عشرة ويترفع في المراتب حتى يصل لرتبة عقيد وهو نجاح باهر بحد ذاته لكن صالح، الذي كان ملقباً بالجرذ من قبل مقربيه، يريد أن يكون رئيساً! سيعرف كيف يستغل الفرصة المناسبة حين مجيئها لأنه في المكان والزمان الملائمين ولأنه جريءبشكل كافٍ ولأنه أيضاً الرجل المناسب لهذا الوضع. تقول الإشاعة أنه كتب مرة وهو جندي "صالح رئيس"، لا أعرف إن كانت صحيحة أم لا لكن بما أن الفرصة سنحت لي لمقابلة هذا الرجل يمكنني القول أن له حضور طاغٍ .

ستقود الحرب الأهلية اليمنية التي استمرت ثماني سنوات (1962-1970) إلى سقوط الملكية المتوكلية وقيام الجمهورية العربية اليمنية. سيتوالى أربعة رؤساء على حكم اليمن حتى العام 1978 حيث أُزيح اثنان منهم فيما تم اغتيال الاثنين الآخرين، مما يعني خطورة هذا المنصب. تراهن عائلة الأحمر اليمنية صانعة الرؤساء في هذا البلد، على علي عبدالله صالح بينما يظن الجميع أن اعتياله سيقع في غضون ثلاثة أشهر بمن فيهم وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، لكن لو كانوا يعرفون!

ستشهد السنوات الأولى من حكمه حركة تنمية شاملة للبلاد حيث بعض أقاليمها كانت لا تزال في العصر الوسيط. يعرف صالح " التوفيقي "، أو المحنك لدرجة قدرته المشيَ على رؤوس الثعابين، كيف يُرَكّب ويُفكّك ومن ثم كيف يُعيد تركيب المشهد القبلي بطريقة تسمح له التحكم به من الداخل، سيُوَحِّد هؤلاء المقاتلين والمتمردين الشرسين باستخدام القوة عند الضرورة لكنه يفضل قبل كل شيء لعبة التحالفات بهدف توسيع قاعدة دعمه –صديقك صديقي وعدوك عدوي لكن إن تغير الوضع سأتغير أيضاً لكن هذه المرة بما يخدم مصلحتي فقط - يحترمونه، يخشونه، يحبونه، يعبدونه بل يؤلهوه ، يتغلب على كل التحديات بعكس من سبقوه، حتى على المدى القصير. يُحيط نفسه بدائرة ضيقة من المقربين الذين يحتلون المناصب الأساسية في الجهازين العسكري والأمني.

يخدع لأنه مخادع ويمتلك قدرة لا تصدق على الاستشراف والتأقلم والجميع يشهد له بذلكليس دموياً ويعرف متى يكون رحيماً ومسامحاً إزاء أعداءه، وهذا غير وارد أو مُتَخيَّل في اليمن!

يصل لقمة مجده في الثاني والعشرين من أيار عام 1990 بتوحيده لليَمَنين الشمالي والجنوبي تحت اسم الجمهورية اليمنية (كان اسمها جمهورية اليمن الشعبية ثم جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية). سرعان ما تتم محاولة إجهاض الوحدة في الرابع من أيار عام 1994 حيث سيقوم طيران تابع للجنوبيين بقصف صنعاء، يرد طيران الشماليين بقصف عدن قبل إرسال قواتهم البرية إلى أراضي اليمن الجنوبي والسيطرة عليها في السابع من تموز من العام نفسه، مُوقِعاً عشرة آلاف قتيل. تتم إعادة توحيد البلاد من جديد وانتخاب صالح رئيساً لها الأمر الذي سيُتيح له التفرغ لهذا الجنوب التي تجرَّأ على تحديه؛ تصريح لمئات آلاف الجنود وتخفيض للنفقات المخصصة لأقاليم بأكملها، فيما يستولي أعوانه على أراضٍ وأملاك عائدة للنخب الجنوبية المُبعدَة إلى الأبد.

تتم إعادة انتخابه رئيساً في العامين 1999 و2006 بنسبتين تُثيران حسد الشخصيات الحالية وهما 99 و 77 بالمائة على التوالي. من المؤكد حصول عمليات تزوير انتخابية لكن بالمقابل اليمن هو البلد الوحيد في شبه الجزيرة العربية الذي ينتخب رئيسه ولديه برلمان وأحزاب سياسية – أسسها حزبه القوي مؤتمر الشعب العام- ومعارضين ايضاً..

من المعروف أن السلطة تسوء وتُفسِد على المدى الطويل وصالح لا يشذ عن هذه "القاعدة". يتمتع اليمن بمصادر طبيعية كالبترول والغاز والمواد الخام الأخرى التي ترفد الخزينة العامة، لكن صالح يستخدمها من أجل تقديم المنح والعطايا للمخلصين المؤقتين أو الدائمين وكذلك من أجل إغناء المقربين بدون حدود. تنال وزارتا الداخلية والدفاع الهامتين جداً بالنسبة له حصة الأسد من الأموال، لكن هذا لا ينعكس بالضرورة على الوضع الحياتي للجندي أو لشرطي الشارع.

الوضع متوتر على الحواجز...

سيضم الاحتجاج الشعبي مئة وثمانين ألف شخص من كل أنحاء اليمن نهاية شباط، يدعمهم شيوخ وبرلمانيون من الحزب في السلطة. يتزامن ذلك مع الإعلان عن سقوط أولى الضحايا بالرصاص بالإضافة لمئات الجرحى في صنعاء وتعز وعدن، مع أخبار متداولة عن استخدام الشرطة لمواد مؤثرة على الأعصاب يمكن أنتسبب شللاً للجهاز العصبي ومن ثم الموت.

ترافق شهر آذار مع اندلاع احتجاجات في سجون العاصمة ومحاولة طرد المتظاهرين من جامعة صنعاء مما أدى لمقتل شخص وجرح ثلاثمائة آخرين. ستتحول هذه الأخيرة في منتصف الشهر ذاته إلى ما يشبه المخيم المغلق من كل الجهات، تسيطر المليشيات المؤيدة لصالح على بعض المداخل وتغلقها بالقوالب الاسمنتية فيما يسيطر الثوريون ، حوثيون ومن القبائل، على المداخل المتبقية وقد أحكموا إغلاقها بأكياس الرمل، غير مسلحين كما يزعمون لكن الحقيقة مختلفة. يتم قمع المظاهرات الجديدة بشدة لكن محاولات اقتحام جامعة صنعاء ستبوء بالفشل. سيرافق هذا الوضع دخول الاقتصاد اليمني في أزمة اقتصادية خانقة وهو الذي فقد حيويته مسبقاً؛ تضخم لمستويات قياسية، انقطاع التيار الكهربائي يتراوح بين ساعات عدة وعشرين ساعة يومياً، كذلك الغاز والمنتجات النفطية فيما ارتفعت أسعار الأخيرة في السوق السوداء إلى 600 بالمائة، دون أن ننسى تسريح الكثير من الموظفين في القطاع الخاص لأن الشركات تُغلق أبوابها.

أما فيما يتعلق بعملنا، فنحن بحاجة دائمة للمعلومات ومن مصادر متعددة؛ لدينا مخبرين مدفوعي الأجر بالإضافة للأشخاص الذين يعملون معنا وشبكاتهم. مخبرونا موثوقون إلى حد ما تماماً كقاعدة المعطيات التي نتقاسمها مع العاملين في القطاع الأمني، نقوم بعملية تجميع لكل شيء وحول كل شيء لكن لأشياء غير دقيقة؛ من مصادر المعلومات الصحف وشبكات التواصل الاجتماعي لكن يتم التلاعب بها واستخدامها من كل الأطراف ولذلك إن استخراج أشياء مفيدة منها يأخذ وقتاً طويلاً .من المصادر أيضاً العاملين في المجال الإنساني المحليين منهم والأجانب والذين يرون الكثير من الأشياء خلال عملهم، حتى ما لا يجب رؤيته منها، لكن المشكلة أن هؤلاء يتقاسمون القليل مما يعرفون مع الآخرين وأحياناً بطريقة منحازة. كما لدينا السفير الذي يزودنابأمور سياسية أساساً لكن هذا غير كافٍ، كما توجد وكالات متخصصة في هذا المضمار والتي تعرف الكثير حول الكثير لكن تجربتنا معهم علمتنا أنها لا تعطي اي معلومات عندما يتعلق الأمر بمسائل حيوية مهما كلف الأمر. أخيراً، يوجد مصدر يستجيب بسرعة عادةً، موثوق، سأقترب منه وقد يكون هناك ثمن معين لهذا الاقتراب.

مع كل نهاية صباح، أُغطي رأسي بشال كما رجال القبائل وأرتدي ثياباً كسكان هذا البلد، ثم أذهب إلى الجامعة أو أعبر من شارع إلى شارع ومن زقاق إلى آخر بحيث أتنقل

بين مناطق الموالاة والمعارضة، مع العلم أن دخول المناطق المذكورة ممنوع على أي شخص كان، لذلك يتوجب التقدم بحذر، العودة، الانصراف عند الضرورة والرجوع عندما يتأزم الموقفلأبتخدم كل الوضعيات حين تنقلي فقد أكون واقفاً أو منحنياً أو جالساً أو ممدداً عند زاوية حائط أو مدخل بناء أو على أكياس رمل مثقبة أو أكوام قمامة طبعاً خلفي رجال الشرطة والجيش الذين يراقبون المرتفعات محاولين أن يكونوا دائماً على الجانب الصحيح وهذا ليس بالشيء السهل دائماً!بالفعل قد يحدث أن يرى هؤلاء جزءاً من صفوفهم في حالة انهيار مما يؤدي لاختراق صفوف الشرطة من قِبل المحتجين أو العكس، وبما أنني في مراقب على الأرض، أتعرض كما المتظاهرين للغاز المسيل للدموع وأحياناً للرش بالمياه، لكن هذا لا شيء مقارنةً بالرصاص الطائش، ولهذا السبب ما زلت حيَّاً! ستصوب قوات الأمن أسلحتها نحو المتظاهرين، ستجرح أو تقتل عدداً منهم عمداً فيما ستُكذِّب السلطة ذلك رسمياً؛ تدَّعي أن إطلاق النار ليس أكثر من رشقات في الهواء بهدف إخافة المتظاهرين وتفرقتهم حيث يتعامل هؤلاء بعنف مع الشرطة...

أذهب إلى هناك منذ أسبوعين لإجراء مقابلات عشوائية مع أفراد من الشعب والقوات والناشطين الأجانب الباحثين عن المعلومات مثلي، وكذلك لزيارة مقرات تبين أنها للأمن السياسي اليمني (وكالة استخبارات حكومية مكلفة بالأمن الداخلي للبلاد وخاضعة مباشرة لسلطة رئيس الجمهورية)، الذي لا يتدخل في عملي بانتظار اللحظة المناسبة...

بعد ذلك سأعيش يوماً لا يُنسى، حيث لا شيء على ما يرام منذ الصباح، فمع وصولي المتأخر عن الموعد المحدد إلى قطاع ما من المدينة سيقوم بعض المتظاهرين الغاضبين برَدِّي قسراً، لكني سأتابع، أقوم بالالتفاف والمراوغة حتى أجد نفسي على مسافة عشرين متراً من حاجز عسكري يحرسه مابين عشرين وثلاثين عسكرياً بجانبهم شاحنة لنقل الجنود ومدفع مياه خلفهم. أشعر بحرقة في عيوني..شكراً للقنابل المسيلة للدموع، تشبعت الطريق بالمياه..شكراً لمدفع المياه...أسمع أصوات أعيرة نارية من بعيد، الوضع مشتعل في هذا القطاع، كذلك صراخ أو بكاء. إنه حاجزٌ مرتفعٌ جداً مكونٌ من قوالب إسمنتية وألواح خشبية وأكياس رملية واشياء أخرى، أمامه متظاهرون يرفعون أصواتهم عالياً ويرشقون هذه الفرقة بالحجارة فيما يراقب جندي من بعيد وسلاحه في يده. سيرجع إلى الخلف ليصبح بمحاذاة مدفع المياه الذي سيبدأ عمله مترافقاً مع إطلاق الغاز المسيل للدموع.

تراقب عيناي باستمرار ذلك الجندي الذي يصوب سلاحه نحو هؤلاء المتظاهرين لكن " انتهى الأمر"، لن أرى ماسيحدث لاحقاً لأن مجموعة من الأفراد تمسك بي وتطرحني أرضاً بالقرب من بناء حيث لا يراني أو يسمعني أحد في هذا الجحيم السائد. لكن سأتمسَّك بأحدهم أثناء وقوعي على الأرض لكنه سيضع ركبتيه على جسدي فيما آخرون وجوههم مملوءة بالكراهية يشبعونني ركلاً وهم يصرخون، لا أفهم ما يقولون عني لكن أعرف لما هؤلاء المجرمون يتصرفون كذلك...

أحاول النهوض لكن الشخص الذي مازال فوقي يقترب من وجهي ويحاول تفتيشي، سيُوقِفونني كما لو كنت دمية بدون مفاصل وهم يواصلون ضربي فيما سيسألني أحدهم بالإنكليزية ويبدو أنه رئيسهم، من أكون. يقوم أحدهم في هذه الأثناء بأخذ هاتفي والتفتيش في ملفات الصور داخله لكن لحسن حظي لاشيء يمكن أن يعرضني للخطر. من حسن حظي وللمرة الثانية اليوم أني وعلى غير العادة تركت سلاحي وجهاز الاتصال في سيارتي. أجيبه أنني مع الدائرة الأوربية للشؤون الخارجية مما سيهدأ من روعه قليلاً على عكس الآخرين الذين سيدفعونني باتجاه جدار المبنى ويتابعون ركلي للمرة التاسعة.

على الرغم من أنهم يمسكون يدي الاثنتين بقوة سأتمكن من إخراج ورقة رسمية من جيبي تشير إلى أن صاحب جهاز الاتصال (الراديو) هو "جيف" وأنه يعمل مع المؤسسة الأوربية المذكورة في إطار مهمة أمنية! كما هي أهمية عبارة " افتح يا سمسم" في الحكاية المعروفة كذلك ما قلته عن عملي‌كان مخرجاً لي؛ يقومون على عجل بإخراجي خارج نقطة تمركزهم ورميي أرضاً ككيس مليء بالبطاطا مع باقة من "الكلمات اللبقة" التي لا أعرف ما الفرق بينها! أبتعد عن المكان مباشرةدون أن أذهب يميناً أو شمالاً مع أني أشعر بقدمي ترتجفان إلا أنني أقاوم. في وضع كهذا، اللطمة الأولى فقط مؤلمة لكن بعد "جولة الضربات" وبعد ظهور آثارها على الجسد. أعرف وأحس أنهم ما زالوا يراقبونني وهذا يعطيني الحافز لأُكمل مشيتي المترنحة بالتأكيد، لكن المغامرة التي حصلت معي ستُصبح موضوعاً للضحك المتواصل مع صديقي مساءً. أعالج نفسي لأيام عدة من خلال وضع كريم مهدئ على مناطق الألم التي تُشعِرني بدقات قلبي، الألم يدفعني لإبداء تعبيرات مُكشِّرة على وجهي عندما أمشي، لكن لا مشكلة طالما ما زلت حيًّا! أقوم في اليوم التالي بتقديم إحاطة بما حصل إلى السفير ثم إلى الدبلوماسيين الأوربيين، شعور واحد يمكن أن يُلخص كلامي وهو أن الحقائق ستحل محل الافتراضات في غضون أيام عدة.

لا شك أن الحياة في ڤيلتنا المُستأجرة أفضل بوجود شريكي، لكن وجودنا في البيت معاً سيُصبح نادراً بسبب اختلاف أوقات عملنا، الأمر ذاته بالنسبة لصديقي عبدو الذي يكون قد عاد إلى بيته مسبقاً عندما أرجع في المساء وذلك بسبب الصعوبات المتعلقة بحركة المرور الليلية، فقد زاد عدد الحواجز في المدينة بشكل كبير منذ بداية الأزمة وخاصة أثناء الليل، يحرسها جنود في مقتبل العمر، عديمو الخبرة ومتصلبون غالباً، يمنعون حتى بدون سبب السيارات التي لا تحمل لوحات دبلوماسية من الدخول إلى هذه المنطقة أو تلك! علينا التسلح بالصبر إذن، الدوران والالتفاف ومن ثم أيجاد طريق مختصر، اثنين أو أكثر مما يعني البقاء لساعتين إضافيتين أو أكثر على الطريق قبل الوصول إلى وجهتنا المقصودة.

علامة فارقة وسط حمام الدم هذا...

إنه يوم الثامن عشر من آذار، صباح يوم غائم، كان من الممكن أن يمضي كيوم عادي لكنه ليس كذلك في هذه الجامعةالملطخة بدماء أربعة وخمسين محتجاً قتلهم قناصو

قوات النخبة المتمركزون على سطوح المباني القريبة فيما جُرَح مئاتٌ آخرون بالطريقة ذاتها وتم علاجهم في المكان نظراً لاستحالة إجلائهم. خبرٌ صادمٌ وصاعقٌ على مستوى حمَّام الدم الحالي، إنها المرة الأولى التي يحدث فيها شيء من هذا القبيل... التي تشكّل منعطفاً في الثورة يقود اعتراض شخصيات دعمت صالح حتى الآن أو بقيت على الحياد، مديرو مشاريع وزعماء دينيون ووجهاء قبليون جميعهم يدينوا بشدة ما حصل فيما يستقيل وزراء ونواب من الحزب الحاكم. أما الرئيس فيعلن حالة الطوارئ في مساء اليوم ذاته ويحل الحكومة بعد يومين فقط. يُعلن الجنرال علي محسن الأحمر دعمه للحركة الاحتجاجية ويُوكل حماية المتظاهرين للفرقة الأولى المدرعة التي يقودها، يتبع ذلك ترك عشرات الضباط في وزارتي الداخلية والدفاع لمراكزهم في مختلف أنحاء البلاد فيما تندلع أولى الاشتباكات بين القوات المنشقة والحرس الجمهوري في إقليم حضرموت (تشكل مساحته ثلث مساحة البلاد، يحدُّه شمالاً السعودية وبحر العرب جنوباً. غني بتاريخه وبالبترول أيضاً إذ يضم ثمانين بالمائة من احتياطي البلاد. يتمركز فيه تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة منذ العام 2013). في هذه الأثناء، يُسيطر الحوثيون على إقليمهم صعدة ، بالرغم من وقف إطلاق النار الذي تم التوصل إليه بين هذا الفصيل والدولة اليمنية منذ أشهر عدة.

يقترح الرئيس إجراء استفتاء على الدستور وانتخابات وتركه لمنصبه قبل نهاية العام الجاري، لكن في بلد لا يمكن لمسّ الشرف أن يبقى بدون عقاب ولا مجال للتقلبات المفاجئة، تبقى المواجهة هي الحل الوحيد مع أنه لا مُنتصرَ فيها.

يعمل مئة شخص حالياً في الفريق المكلف بحماية البعثة الأوربية بمن فيهم هؤلاء المسؤولون عن حماية السفير.أُوقفت جميع التدريبات لفريقي نتيجة ضيق الوقت، حيث يبدأ العمل في الساعة السابعة صباحاً بتفقد للقطاعات التي يتواجد فيها المغتربون العاملون مع الوفد.ثم أنضم لعبدو حيث المعلومات الهامة عن الأحداث التي وقعت في الليل مجموعةٌ ومحفوظةٌ في أقراص من أجل تقديمها "للمُخوَّل بالإطلاع عليها". الجميع في الحجرة منفعلون، يتناولون القهوة ويدخنون السجائر. ينحدر عبدو من عائلة عريقة ولذلك معارفُهُ كثرٌ وهذا أمر لا غنى عنه بالنسبة لي، بالإضافة لذلك إنه ذكي وفعال مما يسمح بالتفاعل السريع مع الحدث حتى ذلك الذي من المستحيل توقعه، ويجعلنا ندرس عدد من السيناريوهات التي تتضمن حلولاً عدة جاهزة للتطبيق. نفترق بعد ذلك حتى الساعة الواحدة ظهراً حيث نجتمع من أجل تناول طعام الغذاء سويةً إمَّا في البيت أو خارجاً في مطعم يقدم طبق اللحم المطهي على الحجر، إنه لذيذ جداً! يمكن أن يستمر الغداء لمدة ساعتين حسب المدعويين طبعاً، حيث من النادر أن يجتمع اثنان فقط . نقوم بالتهام لحم خروف أو لحم بقر ونحن نتحدث عن مواضيع ساخنة، ومن ثم نشرب الشاي والقهوة ونحن ننفخ دخان سجائرنا. نُمضِي فترة ما بعد الظهر في إتمام الأمور الإدارية أو في الاجتماعات المخصصة للأمور الأمنية التي يزداد عددها، بعد ذلك نقوم بعملية استطلاع جديدة إما في نهاية الفترة المذكورة أعلاه أو في بداية المساء، قبل أن أبدأ بقراءة التقارير التي تُقدَّم لي في وقت متأخر من الليل أحياناً.كثيراً ما أتصل برفيق فرنسي هو الآخر في حركة شبه دائمة لنتحدث في أمور عملنا

الأمني بالتأكيد لكننا نمزح أيضاً لكي نخفف عن أنفسنا ضغط العمل أو ذلك الضغط الذي نضعه على كاهلنا وكأننا بحاجة له!

ويستمر سفك الدماء...

تُعرَف عائلة الأحمر بأنها صانعة للرؤساء في اليمن وهي على رأس قبيلة حاشد التي تضم أقوى القبائل اليمنية. العائلة المذكورة التي تزعمها عبدالله الأحمر حتى وفاته في العام 2007 ستُوصل علي عبدالله صالح إلى الرئاسة في العام 1978 وتقوم بدعمه بشكل متواصل. الأحمر سيطلب من أبناءه التعهد بمواصلة دعم صالح لكن سرعان ما يتلاشى وعدهم ويذهب طي النسيان وخاصة ابنه حميد، رجل الأعمال الميكافيلي عديم الشفقة، الذي سيتدخل بقوةمستخدماً شتى الوسائل من أجل الفوز في الانتخابات الرئاسية عام 2006 لكن علي عبدالله صالح سيفوز بها بسهولة. يستمر الأشقاء الذين لم يَسعَدوا لفوز صالح بإظهار معارضتهم له بشكل منتظم، لهذا السبب يُعتبَر اندلاع الثورة اليوم بمثابة هدية من السماء لهم وكذلك انتقاماً من صالح بعد سنوات على الانتخابات الشهيرة. من المفيد التذكير بأن اليمني يتمتع بالقدرة علىعدم النسيان أبداً، حيث سينقل كل ما لديه إلى الورثة عند موته حتى الثأر، حيث عليهم التكفل بتصفية القضايا العالقة بين شخصين أو عائلتين أو حتى قبيلتين...

يدعو الابن الأكبر صادق الأحمر، وبالتالي زعيم العائلة والقبيلة على حد سواء، مئات الرجل من مؤيديه المدججين بالسلاح للنزول إلى العاصمة والبقاء في الحصبة وهي مقر العائلة. يمكن رؤيتهم وهم يتجولون في دوريات راجلة أو على متن سيارات (بيك أب) قبل أن يتمركزوا في المواقع التي تملكها العائلة في العاصمة وخاصة القصور منها. ينحدرون من قرى متأخرة وأغلبهم لم تطأ قدمه المدرسة يوماً، تقدم لهم العائلة الطعام والمسكن وكل ما يلزم حتى القات، أما هم فيقدمون حياتهم بالمقابل للعائلة وللقبيلة؛ لكن ما معنى الولادة أو الحياة أو الموت في بلد ما زال فيه بيع وشراء العبيد قانونياً ومُتَضمَّناً في الصفقات العقارية؟ يفصلنا "عالم" عنهم فنحن ننعم بالحرية ونذهب إلى المدرسة، لكن بعد معرفتهم جيداً أستطيع أن أقول لكم أن أي علاقة تربطنا بفرد من إحدى قبائلهم لن تكون مصطنعة أو سطحية؛ بالرغم من أن وجوههم تبدو عابسة وسلوكهم قد يُفهَم أنه استفزازي أحياناً لكن يكمن خلف كل هذا مزيج من الجمال والسذاجة! نعم متمردون...نعم قساة...نعم هواة حرب...نعم عندهم إيحاءات جنسية في كلامهم (هذه هي اللعبة مسكينتي لوسيت، كما نقول نحن الفرنسيون)، لكن يتميزون بالبراءةإلى درجة أني لم أر كائناً مثلهم في مكان آخر. انتشروا في المدينة التي كانت خالية من السلاح وتحت سيطرة صالح لسنوات طويلة، انتشارهم حوَّلها إلى ما يشبه الغرب القديم *Far-west* أو إلى برميل بارود، فإلى جانبهم الفرقة الأولى مدرعات والحوثيون وفي الجانب الآخر القوات الخاصة وقوات النخبة وغالبية الوحدات التي بقيت موالية لصالح.

يفرض الوضع القائم عملاً دبلوماسياً إضافياً وهذا ما يقوم به سفيرنا الذي يقابل أناساً كثر؛ تم إرسال العاملين الدوليين في الوفد إلى بروكسل نظراً للوضع أو للأوضاع التي تصبح يوماً بعد يوم حساسة جداً ولا يمكن التنبؤ بعواقبها!نحن قلقون جداً وليس لدينا أي توقعات بتحسن الوضع، بل على العكس منذ ذلك إذا ما أخذت بنظر الاعتبار جداول البيانات التي أعددتها والتي تكشف عن ضخامة الكارثة؛ يبلغ عدد سكان اليمن 26 مليون نسمة وهو من أكثر البلدان العربية فقراً، بمعدل أميَّة يقارب الخمسين بالمائة ومعدل بطالة يصل إلى خمسة وثلاثين في المائة، وتُقدر نسبة سكانه الذين يعيشون تحت خط الفقر بنحو خمس وأربعين في المائة. ليس أمام الثورة إلا خيار الذهاب نحو الأمام وخاصة مع انضمام أقاليم جديدة لها –يتكون اليمن من إحدى وعشرين إقليماً تحررت منها سبعة عشر من سيطرة السلطة المركزية – أخذت تنهار كقلعة من ورق. تسيطر الحركة الثورية على الأماكن الرمزية في المدن الهامة كساحة الحرية في تعز وعلى ساحات الأحياء في عدن؛ تشكل هذه المدينة الجنوبية مصدر قلق للسلطة لأنه بالإضافة لعقود من الماركسية تلتها الحرب الأهلية في العام 1994والتي تركت آثاراً لا تُمحى، يأتي القمع الحالي ليزيد الطين بلة! منذ نيسان، يواجه آلاف المتظاهرين قوات الأمن في صنعاء وتعز وعدن ويقتحمون مبنى المحافظة في تعز، يتعزز عنف الشرطة مع سقوط عشرات القتلى ومئات الجرحى فيما لقوات حفظ النظام نصيبها من العنف أيضاً لكن بدرجة أقل. سيتتوَّج هذا الوضع المتدهور باستفادة ذلك الوحش الفظيع أي تنظيم القاعدة من الفوضى حيث يُعلن عن إقامة إمارة إسلامية في إقليم لَبَيَن (يقع في جنوب البلاد، مُحاط بالجبال من الشمال ومطلّ على بحر العرب من الجنوب. يعمل سكانه في الزراعة وتربية المواشي. مأوى للتنظيم المذكور منذ العام 2010).

أكتسبُ طقساً جديداً وهو الذهاب كل يوم جمعة في الساعة الحادية عشرة صباحاً إلى "ملعبي القديم" أي جامعة صنعاء! حيث تم نصب آلاف الخِيَم في هذا المخيم/الميدان الجامعي، يأوي بعضها مئتي شخص، تحميها قوات محسن الأحمر ومحاطة هي ذاتها بقوات الموالين الذين يفتحون باب الدخول إلى المخيم من الآن فصاعداً تماماً كالمحتجين المسرورين بالطبع لرؤيتنا هنا من أجل التحقق من قضيتهم. أتنقل في متاهة الخيم والمنصات حيث يتناوب أشخاص من مختلف الأعمار بينهم مبتدئون ومتمرسون على التعبير عما يجول في خاطرهم، ألتقي كذلك ببعض ممن يعملون معي والذين يحاولون تجنبي، الشيء الذي يجعلني أبتسم لأنهم يجهلون أنني أعرف أنهم منخرطون في الحركة! إنه وقت صلاة الظهيرة حيث يحتشد أكثر من عشرين ألف شخص، جاؤوا من كل أصقاع البلاد، على الطريق (60)، تراقبهم قوات منتشرة على الأسطحة والطرقات وتساندها حوامات عسكرية تبدو كالنحل الطيَّار الذي يبحث عن طعام...في هذه الأثناء يترك مؤيدو النظام خيمهم المنصوبة في ساحة التحرير من أجل الصلاة أيضاً قبل أن يتوجهوا إلى الجامعة بهدف الصدام مع الطرف الآخر لكن وجود المناطق العسكرية سيمنع حصول حمام دم جديد.

دَويُّ المدفع...

العمل السياسي في أوجِهِ خاصة مع انعقاد "المنتدى المشترك" الذي يضم كل أحزاب المعارضة وممثلين عن الشباب ومستقلين، سيتمخض عنه إصدار وثيقة/برنامج توافقي لكن دون موافقة صالح المُصِرّ على إكمال ولايته الرئاسية والمُطالب بحصانة قضائية وهو الأمر الذي يرفضه الثوريون. تفشل كل محاولات الوساطة لكن سيتم قبول الخطة الموضوعة من قبل الولايات المتحدة والاتحاد الأوربي ومجلس التعاون الخليجي والتي تنص على مغادرة صالح مع منحه الحصانة القضائية، على أن يتم توقيعها في بداية شهر أيار في العاصمة السعودية. لكن كل شيء سيحدث بطريقة مختلفة في هذا اليمن المتقلب. يرغب كل من صالح و"الأحمر وشركاه" بالصدام وهذا ما سيحدث في مساء من أمسيات شهر أيار حيث ستُسمَع في الحصبة (معقل آل الأحمر) أصوات الأسلحة الأوتوماتيكية والمدافع الرشاشة وقاذفات الصواريخ.لن يعرف أحد أبداً من هو الطرف الذي بدأ الأعمال العدائية، الشيء المؤكد أن سكان الحي هم من سيدفعون ثمن المناوشات التي ستتحول سريعاً إلى معارك تُزَج فيها الدبابات والمدفعية! يتمكن صادق الأحمر وقواته من السيطرة على وزارات ومبانٍ رسميةٍ عدة مع استمرار نيران المدافع والمواجهات والعمليات الواسعة...إلخ. تمتد شرارة المعارك إلى قطاعات أخرى في المدينة كما تشهد بعض الأحياء إقامة مراكز قتالية حيث لم نعد نعرف لمن هي تابعة أو ماذا تفعل، مانعرفه أننا مجبرون على اجتياز المناطق التي تتواجد فيها مشياً على الأقدام وفقط خلال أوقات الهدنة (من الساعة الواحدة ظهراً وحتى السادسة والنصف عصراً من أجل القات والصلاة). يحاول السياسيون والدبلوماسيون التقليل من خطورة ما يحدث على العكس مثلًا نحن في القطاع الأمني حيث نرى فيما يحدث حالة حرب حقيقية علينا مواجهتها حتى ولو أنها ما زالت متركزة في منطقة الحصبة حيث تُسمع أصوات الأسلحة الثقيلة باستمرار، لكن مع مرور الأيام والأسابيع أصبحنا على يقين أن الأصوات التي نسمعها في صالة السينما شيء وتلك التي نعيشها على أرض الواقع شيء آخر مختلف تماماً،تجعلنا نفقد صوابنا، تضرب على أعصابنا وتؤثر سلباً على معنوياتنا. يضحك الجميع عند سماعها أو يحاول، كما يدَّعي عدم الاكتراث بها! يزداد التنقل بالسيارة تعقيداً مع زيادة الحواجز التي يسيطر عليها أشخاص بلباس عسكري أو مدني أو بلباس القبائل مما يجعل من الصعب التمييز بين الطيب والشرير...

العالم وممثلوه قلقون لأن الرئيس لا يكترث لخطة الانتقالية التي قبلها مسبقاً لا بل يقوم بحشد مؤيديه الذين سيتدفقون بالآلاف على صنعاء في الثاني والعشرين من أيار، يحاصرون سفارة دولة الإمارات العربية المتحدة لساعات عدة وبداخلها مبعوثون من الدول الخليجية وعدد من السفراء، حيث سيتم إجلاؤهم على متن طائرات هيلكوبتر. لن ينجو وفدنا أو السفارة الفرنسية من الحصار، لكن القبائل الموالية للحكومة قامت بفَك حصارها بعد التلويح باستخدام القوة. إنها الخامسة والنصف عصراً، المدينة "تحترق"، تردنا معلومات لكنها متضاربة ولذلك لا نأخذها على محمل الجد، باختصار فوضى عارمة يصفق لها صالح فرحاً خلف الكواليس! يتابع هجومه ويرسل وحداته إلى المقر السكني لآل الأحمر وإلى شمال

البلاد حيث تتمكن الأخيرة وفي غضون أيام عدة من استعادة الوزارات والأماكن الأخرى التي سيطر عليها المتمردون مؤخراً. يقوم في التاسع والعشرين وفي الثلاثين من أيار بتدمير مخيم الثوريين الذي تمَّ تشييده في ساحة الحرية في تعز، حيث تقوم الدولة باستخدام البلدوزرات والدبابات ومدافع المياه التي حُوِّلت إلى قاذفات لهب من أجل إزالة 5.000 خيمة من المكان! رعب حقيقي يودي بحياة 250شخصاً ويوقع 2.000 جريح...

في الأول من حزيران يتحول الاحتجاج الشعبي بالكامل إلى معارك تشتد حدتها يوماً بعد يوم؛ تنضم قبيلة كبيل وهي ثاني أكبر قبائل البلاد إلى المعارضة المتنوعة في تكوينها أكثر من اي وقت مضى لكن القوية أيضاً من الناحية العسكرية. تُغلق معظم السفارات أبوابها باستثناء الولايات المتحدة وألمانيا وبريطانيا وفرنسا وإسبانيا وهولندا والمفوضية الأوربية. هناك شح في المعلومات وإن توفت فغالباً مغلوطة في جزء منها وعمليات الاستطلاع التي اعتدت على تنفيذها مع صديق لي أصبحت محفوفة بالمخاطر؛ ذات مساء طُلبَ منَّا مغادرة قطاع ما في المدينة وفي اليوم التالي تم إطلاق عيارات من أسلحة أتوماتيكية باتجاهنا! لم أعد أرى عبدو إذ لا يستطيع الخروج من حيِّه لكننا نتواصل عبر الهاتف أو الراديو.

حَيُّنا كما الأحياء الأخرى مغلق بالكامل ويتولى سكانه المسلحون حمايته إذ يقومون بسدّ مداخله الرئيسية بكل الوسائل ومنها قطع الزجاج المكسور أثناء الليل ويمنعون دخول أي شخص غير مقيم إليه.

يتمركز بعض الشبان على مدخل الشارع حيث يقع منزلي، بعضهم ما زال في العاشرة من عمره لكننا نستطيع بالكاد رؤيتهم بسبب انقطاع التيار الكهربائي. يبقون هنا طوال الليل من أجل المراقبة، وعلى جُهوزيَّة تامة لإبلاغ الأكبر عمراً عن أي اقتحام محتمل لقوات محسن، حيث ما يزال قطاعنا تحت نفوذ وسيطرة الرئيس.

يسهر عدد من الجيران لكن بداخل منازلهم وقد وضعوا قوالب إسمنتية أو قطع من الزجاج أو الاثنين حول جدرانها.

بالطبع منزلنا محروسٌ بشكل جيد من الخارج؛ أما في الداخل فقد تم وضع كل حقائب سفرنا المليئة والمقفلة منذ أسبوعين في إحدى حجراته فيما نستخدم الأخرى للمعيشة، وقد حولنا سطحه لمركز قتالي.يُقيم كل من السفير والقائم بالأعمال والمدير التنفيذي معاً ودائماً في مبنى الوفد، نحرسهم أنا وزميل لي لمدة أربع وعشرين ساعة ثم نعود إلى منزلنا لأنه المكان الوحيد الذي يمكننا اللجوء إليه في حال طُلِب منا ترك المبنى الرسمي بشكل طارئ.

تدفع بروكسل باتجاه الإجلاء لكن السفير ما زال يرفض! يعمل فريقنا بجد، يسهر، يرافق ويُوجِز حول الوضع لكنه يسمع أصوات البنادق والمدافع أيضاً مما يجعلنا نفقد صوابنا

لكن ذلك يسمح لنا تحديد مواقعها ومتابعة اتساع دائرة المعارك بين أفرادٍ متناحرين كانوا بالأمس القريب أصدقاءاً أو رفاقاً أو حتى أخوةً في الدم...

يومٌ زاخرٌ بالحركة...

يقع انفجار ضخم في يوم الجمعة الموافق للثالث من حزيران وفي وقت الصلاة تحديداً؛ تلاه قصف مدفعي للقصر الرئاسي وإعلان بعض المصادر عن عملية تفجير في المسجد المحاذي للقصر المذكور؛قُتل وأُصيب في الانفجار رئيس الوزراء ورئيسا الغرفتين البرلمانيتين وعدد من أعضاء المكتب الرئاسي فيما أُصيب الرئيس إصابات خطيرة فقد الوعي على إثرهامما زاد الطين بِلّة أن السيارات الرسمية التي تقوم بإجلاء المصابين ستقع في أفخاخ ومن ثم تعود أدراجها... يتم إجلاء صالح في سيارة تكسي أمام أعين مهاجميه والذين سيتبين فيما بعد أن بعضهم من حراسه الشخصيين! يأمر نجله الأكبر أحمد سلاح المدفعية المنتشر على الجبال حول العاصمة بقصف قوات المتمردين المتمركزة في حيَّي الحصبة والحداح (يقع في جنوب صنعاء وفيه واحدة من أغنى جاداتها).

زميلي في السفارة الاسبانية لمتابعة الدبلوماسية الأوربية وأنا في المنزل، إنها الواحدة والنصف ظهراً عندما أسمع أزيز جهاز اللاسلكي وبعده نداء استغاثة؛ تم قصف موقع للمتمردين ليس بالبعيد عن مقر مكتب المفوضية الأوربية المكلف بالمساعدة الإنسانية وبحماية المدنيين على الصعيد العالمي (E.C.H.O) والحارس يطلب إجلاءه. يطلب منه أحد المسؤولين عني الهرب لأنه لا معلومات لدينا حول ما يحدث باستثناء سماع أصوات المدافع والإنفجارات، لكن خوفه يمنعه من المغادرة...

أستقل سيارتي الهونداي (سانتا في) وأذهب لاسترجاعه بعد أن فتحت نوافذها. أضغط بشدة على دوَّاسة الوقود، لكني سألجأ لتغيير الطريق بشكل متكرر بسبب قتال الشوارع الذي يدور أمام عينيّ؛ توجد حركة في كل مكان، رؤوس تظهر في المواقع القتالية ومن ثم تختفي لتظهر مكانها بنادق الكلاشنكوف، إطلاق نار في كل الاتجاهات وبشكل عشوائي! عند وصولي إلى المكان أركن سيارتي أمام المنزل الذي تضرر بشكل طفيف من جراء قذيفة أحدثت حفرة بجانبه.

أنتقل بسرعة من السيارة إلى المنزل ورأسي منخفض، أجد الحارس بداخله وقد بدا في حالة ضياع.لست في أفضل حالاتي أنا أيضاً لكن علينا مغادرة المكان فوراً، أعطيه تعليماتي: "نركض باتجاه السيارة، تصعد في الخلف وتصلي!" أسمع قصف الصواريخ وصوت احتراق فجائي مصحوب بفرقعة، توحي قوة الأصوات أن الانفجارات في موقع قريب جداً جداً، وبداخلي يقين أننا قد لا نخرج سالمين من هذا المأزق.

ننطلق بعد أن أبلغت مكتبي، لكن قبل الوصول إلى السيارة علينا عبور باب المقر ومن ثم المراقبة لمدة دقيقة، يمكنني القول أن حواسي قد تشبعت بالكامل مما رأيت وسمعت،

نخطو خطوات واسعة حتى نصل إلى السيارة، أشغل المحرك بهدوء لكي لا ألفت انتباه المتمردين الذين يتمركزون على بضعة أمتار فقط منّا، ينظر أحدهم إليّ وفي عينيه عدم تصديق ما يرى، طبعاً هذا افضل لأننا تركنا المكان مسبقاً أي قبل أن يتمكن من فهم ما يحدث. ننطلق بالسرعة القصوى على الطريق رقم (50) الذي عبرته آلاف المرات سابقاً والذي أعرفه عن ظهر قلب.

تأخذني الضحكة طبعاً أعرف السبب وهو أني ما زلت على قيد الحياة وبكامل وعيي لكني أتوقف عن الضحك من أجل مضاعفة تركيزي. أرى عسكرياً على بعد ثلاثمائة متر من سيارتنا، ينظر باتجاهنا وعلى كتفه قاذف صواريخ، رأسه منحني وقد صوبه نحونا، هذا طبيعي في بلد في حالة حرب، لكن الذي ليس عادياً هو أنا الذي أتجول بسيارتي ومعي شخص مستلقٍ في الخلف لا أتوقف عن محاولة طمأنته بالقول أن كل شيء على ما يرام وأننا اقتربنا من الوصول. لا تتوقف قدمي عن الضغط قدر الإمكان على الدوَّاسة لأن كل متر نجتازه يبعدنا أكثر عن هذا التهديد المباشر، فإن أطلق القذيفة باتجاهنا سيتوقف كل شيء هنا بالنسبة لنا وهذا ما لاأرغبه أولاً، أمَّا ثانياً فأنا أحب الحياة.

حارسي الذي لا يرى شيئاً لا يتوقف عن التثاؤب حتى ينتهي به الأمر إلى النوم في النهاية وهذا افضل بالنسبة لي لأني بحاجة إلى الهدوء! نقترب منه أكثر فأكثر لكنه لم يطلق النار باتجاهنا ...إننا في مرمى سلاحه لكننا نواصل تقدمنا ...أجتازه والآن أراقبه في مرآة السيارة، يستدير وينظر إلينا باستمرار لكن فوهة سلاحه لم تعد موجهةً نحونا، زال الخطر! أسلك شارعاً جانبياً وبعد التفافات متعددة أصل في النهاية إلى بناء المفوضية؛ الرجال هنا يعتقدون أنهم في حلم عند رؤيتنا ونحن ايضاً اعتقدنا ذلك! تلتصق ثيابي على جسدي من شدة التعرق...أشعل سيجارة فيما حارسي يضحك ويشكرني ملايين المرات ...أنظر حولي، الرجال، الوفد...يسخن وجهي من اشعة الشمس، يخرج كل شيء عن السيطرة، إلى أين سيؤدي ذلك، لا أعرف...

أهزُّ رأسي كي أستفيق من لحظة الحلم التي كنت أعيشها مع أني أفضل لو بقيت أحلم، آخذ منظاري وأبحث عن دبابات ت 72 (روسية الصنع) التي تُثقب آذاننا منذ ساعة! إنها هنا قريبةٌ جداً تطلق نيرانها، أسمع أزيز جهاز اللاسلكي مرة جديدة! لديَّ ثلاثة حراس آخرين محاصرين في تلك المنطقة المشتعلة؛ لقد حالفني الحظ في المرة السابقة فهل سيكون كذلك هذه المرة أيضاً؟ نعم أنا خائف لكن نعم أيضاً سأذهب لإحضارهم لأنهم رجالي ولأني أحبهم من جديد أنا مهووس جداً بهذا الأمر، أنظر إلى الأمام حتى ولو أني أرى تقريباً في كل مكان هؤلاء الرجال الذين يتواجهون والذين يراقبون بعضهم البعض ويطلقون غالباً النار في الهواء أكثر من أي شيء آخر. إنهم يفكرون ملياً، أعرف ذلك وأشعر به تماماً كما أشعر بالخوف، خوفهم وخوفي، هذا الشيء اللامادي الذي لا يمكن وصفه لكن أثره بداخلي ثقيل ورطب! شيء يقبض على أنفاسي ويمسكني في كل موضع، يتسرب ويلتصق بي وتفوح منه رائحة كريهة ويُشعرني برغبة في التقيؤ! المقرات الثلاث قريبة من بعضها البعض ولذلك

أحضرت رجالي بسرعة بالإضافة لمعداتهم، يبدو عليهم التعب والشرود لكنهم سعداء أيضاً! نلتقي بحارس من شركة منافسة يمشي على حافة الطريق بعد أن غادر مقر عمله، نتوقف ونطلب منه الصعود معنا. يضحكون ويتكلمون بصوتٍ عالٍ لكني لا أفهم ما يقولون، هذا لا يهم طالما أننا لم نبتعد عن الخطر خاصة وأننا مجبرون على العودة من الطريق نفسه. أحاول أن أدفع أفكار السوء عني والتي تحاول السيطرة على تفكيري حيث جزء مني ما زال يعتقد بإمكانية النجاة، نعم سوف ننجح...سأفعلها وسيكون هناك سيجارة لذيذة عند الوصول...بل سجائر عدة مع الشاي وطَن من الشاورما لأن الجوع وجد طريقه إلينا نتيجة هذه اللحظات الحرجة.

يكلمني السفير في الساعة الرابعة بعد الظهر، مازال عند الإسبانيين، يطلب مني تقريراً موجزاً عن الوضع. لقد طلبتْ منه بروكسل أن يباشر عملية الإجلاء من هذا البلد وقد قَبل... يبدأ إحضار الموظفين... يستفيد الإنكليز والألمان والهولنديون من عملية الإحضار من أجل ترك الأصدقاء الإسبان. أعطينا مهلة ثلاث ساعات للسفير من أجل تحضير نفسه، حيث عليه العودة إلى مقر إقامته من أجل الاستحمام وكذلك لاستعادة بعض الأغراض. يتصل بنا ونتصل به باستمرار أثناء التحضير لعملية الإجلاء التي لن تتم! مرة جديدة لن يشذ اليمن عن القاعدة كونه بلدٌ عصيٌّ على التوقعات؛ يعود الهدوء إلى المدينة مع المساء! استعاد صالح وعيه وطلب من نجله إيقاف القصف! يتم نقله في اليوم التالي إلى العربية السعودية من أجل العلاج فيما يحتفل المحتجون في صنعاء لما يعتبرونه فراراً من قِبَلِهِ! نقوم بعد يومين بإجلاء القائم بالأعمال وكبير الموظفين الإداريين لكن يبقى السفير لأن الولايات المتحدة طلبت منه ذلك.

لكن من يقف وراء الهجوم على صالح؟ هل هو تلاعب جديد من الرئيس؟ هل وراءه الوحش القبيح (القاعدة)؟ أم الأحمر وشركاه؟ دولة أخرى متورطة فيه؟ لم يكشف التحقيق المفتوح الذي شاركت فيه الولايات المتحدة أيَّ جديد، على الأقل علناً، لكن المؤكد أن صالح يعرف شيئاً ما والذي يعرفه ليس بالجيد أبداً...

يسيطر المعارضون على جزء من تعز في الثامن والعشرين من حزيران وبعد أسبوع سينزل مئات آلاف الأشخاص إلى الشارع في كبرى المدن اليمنية كصنعاء وتعز وحضرموت والحديدة...إلخ تبدأ مفاوضات مع نائب الرئيس عبد ربه منصور هادي تليها مظاهرة مليونية في صنعاء في السادس والعشرين منه تطالب باستقالة صالح. الأخير مكروه بالتأكيد من قبل الكثيرين لكنه معبود أيضاً من قبل آخرين مما يعني أن اللعبة لم تنتهي بعد...

اتجاه آخر يلوح في الأفق...

أشعر بالإنهاك مع عودتي إلى فرنسا بعد عمل على الأرض دام ثلاثة أشهر. أُمضي قسطاً من الراحة في مكان كالجنَّة بالنسبة لي وهو مدينة *Boulogne sur Mer*... البحرية، تحيطها كثبان رملية وغابة، أنا مع أهلي بمن فيهم أصدقائي وأولئك الذين في تناغم

تام معي، ستسمح لي إقامتي القصيرة بشحذ همتي من جديد قبل أن أعود للقاء باولو في غضون خمسة عشر يوماً أو الرجل صاحب التلفون إن تفضلون هذه التسمية، وهو الذي يحل محلي أثناء عطلتي.نحن في منتصف شهر تموز، يسود الهدوء في العاصمة والبلاد عموماً، لم يتم حل الأزمة لكن يصادف رمضان، شهر الصيام وتمضية الوقت مع العائلة والأصدقاء والأصحاب وحتى الأشخاص الذين لا نعرفهم؛ رغم انقطاع التيار الكهربائي والغاز ورغم ضيق الحال تقوم النسوة بتحضير الأطباق التقليدية المخصصة لهذه الفترة، مع احترام التقليد القائل بمساعدة الفقراء، حيث يمكن أن تتعدد أسباب الموت في اليمن لكن "الجوع" ليس واحداً منها...

أحاول أنا وصاحبي الاستفادة من وجود السفير في عطلة من أجل العمل بزخم طبيعي ومواقيت عمل عادية ومن أجل الاسترخاء في أمسيات هذا الصيف الحار. يعلن صالح، الذي يقضي فترة نقاهة في العربية السعودية، في السادس عشر من آب عن عودته إلى البلاد لكنه يتراجع عنها ويقوم بنقل سلطاته إلى نائبه! أثار الخبر مخاوفنا لأنه أجج المشاعر ولأن قرقعة السلاح عادت من جديد.يسألني رئيسي في هذه الأثناء وخصوصاً هذا الوضع المعقد إن كانت ليبيا تهمني!

الثالث والعشرون من آب 2011، المعارك مستعرة في طرابلس التي خسرها القذافي للتو! تتابع بعض دول أوربة والعالم الوضع عن قرب في ليبيا ومنها الدائرة الأوربية للشؤون الخارجية التي ترغب بقوة بالعودة إلى هذا البلد الملطخ بدماء الربيع العربي الذي لا ينتهي! أغادر صنعاء الجمعة حيث سأبقى في فرنسا حتى صباح يوم الاثنين وبعدها إلى بروكسل لمقابلة رئيستي في العمل كارولين (بالكاد أعرفها لكن كنَّا على تواصل يومي عبر الهاتف في خِضم الأزمة اليمنية) وكذلك أعضاء من فريقها. نعقد اجتماعات مكثفة حول الوضع في ليبيا عموماً وطرابلس خصوصاً حيث المهمة الأساسية "إعادة فتح مكتب المفوضية الأوربية وتأمينه وكذلك حماية الدبلوماسيين" لكن قبل ذلك علينا الإجابة عن تساؤلين أساسيين: هل هذا ممكن وهل يمكننا نحن كشركة خاصة القيام بالمهمة؟ يُجيب التقليديون بالنفي القطعي فيما يقول النورمانديون كعادتهم : "ربما نعم ربما لا"... أنا اقول "نعم"...هل يوجد مناطق رمادية حول الوضع في طرابلس وحول الأحداث الجارية هناك؟ نعم الكثير! هلالوضع غير آمن لا بل محفوف بالمخاطر؟ أيضاً نعم!

أقضي ليلتي في منزلي قبل السفر إلى باريس غداً صباحاً ثم مالطا في المساء حيث ينتظرني فريق قليل العدد هناك؛ نتعارف بسرعة قبل البحث في الأمور الجديَّة يتخلله تقديم نبذات مختلفة عن الوضع على الأرض، المهام المنوطة والوسائل المستعملة. أقابل فريقاً مصغراً من الدبلوماسيين المتحمسين والطموحين! نستقل الطائرة في الحادي والثلاثين من آب لنصل في غضون ساعة إلى مطار مصراته- ثالث المدن الليبية من حيث الأهمية، تقع في جنوب العاصمة.من أكثر المدن تضرراً أثناء الصراع وأكثرها مقاومة لنظام القذافي- الذي يقع على مسافة 200 كيلومتر من طرابلس التي يجب أن نصلها في الليل.نقضي وقتاً

ليس بالقليل مع السلطات المحلية التي تعطينا تراخيص الدخول إلى البلاد ثم نُفرغ حمولة الطائرة، نُجهِّز أنفسنا ونتلقى آخر توجيه قبل مقابلة القوة التي سترافقنا. تحيط بنا سيارات بيك أب مجهزة تجهيزاً جيداً من الأمام والخلف والجوانب لا ينقصه إلا الحماية الجوية لكي يبدو على شكل "السلحفاة" والمقصود بها التشكيل العسكري الروماني الذي اخترعه "الغاليُّون" حيث كان الجنود يضعون دروعهم في الجوانب وفوق رؤوسهم لتشكيل درع يشبه قوقعة السلحفاة..أحاول المزاح قليلاً من خلال هذا التشبيه لأننا متوترون فعلاً لوجودنا في بلد لا نعرفه وفي حالة حرب، حيث نجتاز هذه المسافة مع زبائننا الذين يرشدوننا كما يجب لكن ما نعرفه عنهم هو أنهم يقاتلون ضد دكتاتورية وأنهم "سعداء" لرؤيتنا.

البحر قبالة *Boulogne sur Mer*

البحر قبالة *Boulogne sur Mer*

نصل إلى وجهتنا في السادسة مساءً بعد أن اصطحبنا في طريقنا شخصية مهمة من الدائرة الأوربية للشؤون الخارجية كان قد وصلت على متن سفينة قبلنا بساعات عدة، نتوجه بعد ذلك إلى الفندق حيث الخدمة سيئة جداً والحي الذي يقع فيه الأخير غير ملائم لكن لن نكتشف ذلك إلا بعد أيام عدة! نُمضي أيامنا الأولى في إجراء الاتصالات واستكشاف الطرق وتحديد المناطق التي قد تصلح للمواعيد مع زبائننا تمهيداً لرؤية هؤلاء الذين يخضعون لضغوط مثلنا ولو أنها مختلفة كليًّاً. أجريت سلسلة من عمليات التوظيف المحلية أيضاً لأننا كنَّا بحاجة لسائقين ولحراس. يتضمن عملنا الكثير إعداد التحليلات الأمنية وإجراء المكالمات الهاتفية مع كارولين وكذلك إرسال الرسائل الإلكترونية.باختصار لا ننام إلا قليلاً أو بشكل سيء لأننا في حالة استنفار من أجل متابعة كل شيء...

تحتفل الكتائب بطريقتها كل مساء بتحرير طرابلس إذ تقوم في السادسة مساء بإطلاق النار بغزارة في الهواء بمحاذاة شاطئ البحر؛ بصرياً يمكن القول أنها ألعاب نارية لكن عملياً ليست إلا حماقة قاتلة مما يجعلنا نعطي الكثير من الإرشادات الأمنية لزبائننا الذين ينظرون إلى هامش حريتهم يتقلص كل يوم أكثر نظراً للمخاطر الحقيقية والمحتملة وللأحداث اليومية وكذلك نظراً للأجواء المتمخضة عنها.تمر الأيام والأسابيع لكن ليس دائماً حسب الخطط المرسومة لكن "الزبون" راضٍ والوفد قادر على أداء مهامه كما يجب حتى ولو أن ذلك لا يعني أن العاصمة مُؤمَّنة لا بل إن الوضع بعيد عن ذلك...

ليبيا...

ينظر المجتمع الدولي وأكثرية الليبيين إلى القذافي الذي بقي في الحكم أكثر من أربعين عاماً، على أنه ديكتاتور بدون إيمان أو قانون لا بل دموي؛ بالطبع قامت الثورة المستمرة بطرده من طرابلس ولاحقته حتى أخر الأماكن التي تحصن بها لكن هل هذا يكفي لإعادة الاستقرار إلى ليبيا؟ لا، لايمكن تحقيق ذلكنظراً لما يحصل ونظراً للبلد ولأنظمة عملها وللأفكار وكذلك لسكانها وتنوعهم!

قال لي حكيم ليبي يوماً: " صحيح أن علي بابا لم يعد هنا، لكن ليس هذا هو حال الأربعين لصًّا"، ربما تعبيره قاسٍ لكن هذه هي الحقيقة التي نعايشها على الأرض كل يوم. مع مرور الأشهر تبدأ هذه الكتائب الرسمية أو تلك التي أُضفِيَ الطابع الرسمي على عملها بوضع نقاط استفهام حولنا نحن الأجانب وبالنظر إلينا بشك وعدم ثقة...

مع ذلك، يُعتبر أمرٌ كهذا منطقيٌ في بلد بقي معزولاً عن العالم لفترة طويلة ولم يُعَوِّد سكانه إلا على نمط واحد من السلوك والتفكير، ربما لم يتشارك هؤلاء هذا النمط عن رضا لكن لا يمكن تكراره يومياً وخلال أربعين عاماً إلا أن يترك أثره في العقول وفي الأعماق. هذه التشكيلات العسكرية ذاتها تجر معها في الظل رواسبَ أكثر تطرفاً وأكثر طموحاً! هؤلاء المتطرفين كانوا هنا مع وصولنا لكن في المشهد الخلفي، مع ذلك ستصلنا معلومات على وجه السرعة تتناقض مع تلك التي تقدمها وسائل إعلامنا الكبيرة!

يتم توجيه الشتائم القاسية لنا بشكل متكرر أما من يكون على رأس عمله فقد يتعرض للتهديد.أذكر أنه تم رفض إعطائي مبلغ من المال نقداً في أحد مكاتب الصرافة فقط لأني أجنبي في ليبيا وجوده هنا ليس من أجل تحرير البلد، بل على العكس من أجل إخضاعه وسرقة ثرواته وإفساده! كما مرة رأيت عناصر من الكتائب بأسلحتهم الثقيلة على متن شاحناتهم البيك أب يدخلون إلى الأحياء الرسمية وبدون أي سبب ثم يقومون بإطلاق النار على مباني الوزارات وتمضي أفعالهم بدون اي عقاب!هذا النمط من الأشخاص مكلف أيضاً بتنظيم حركة المرور بزيِّه العسكري وسلاحه في اليد،يتموضع أحياناً في منتصف الطريق ويقوم بإيقاف السيارات وتوجيه الاسئلة إلى اصحابها ماذا يفعلون أو ماذا ينقلون فيها ولماذا وإلى اين!لا تستطيع قوات حفظ النظام ممارسة صلاحياتها، تبقى منزويةً في سياراتها على جوانب الطرقات أو عند النقاط الدائرية ومنهم من يتناول المخدرات وعندما تفعل هذه الأخيرة فعلها فيهم يخرجون منها لتأكيد سلطتهم بدون أن يدركوا فعلاً من هم أو ماذا يفعلون...سيتم توقيف سيارات تابعة للدائرة الأوربية بعد أشهر عدة ومن ثم تفتيشها ونهب كل معداتنا وتوقيفنا لمدة ساعتين بدون أن نتمكن من فعل أي شيء إلا الصمت طبعاً... بالمقابل يوجد أناس لم ينسوا سبب وجودنا في بلادهم هؤلاء سيفعلون كل ما بوسعهم لإخراجنا من المأزق الذي وقعنا فيه أقصد حين تعطلت سيارتي المصفحة ليلاً في منطقة صحراوية حساسة قريبة من الحدود التونسية، سيجدون شاحنة من أجل سحب هذه العربة التي تزن

خمسة أطنان إلى طرابلس، وسيؤمنون حمايتي عند عبورنا الحواجز المنتشرة على طول الطريق حيث كل شيء مبهم وكريه وغريب...

أقوم اليوم بتجميع ملاحظاتي وأتابع ما يحصل هنا، مما يجعلني حزين لكن غير متفاجئ أبداً. فالحدود المشتركة مع تونس كانت سهلة الاختراق حتى قبل عام 2011 وسادتها عمليات التهريب من كل الأصناف. صادفنا هناك بشكل منتظم أشخاص لم يترددوا في إظهار تطرفهم وقد صنفونا ضمن الأشرار! لكن كما في اليمن، بنى الوحش المقيت عشَّه وكيانه المتوحش الذي يعيش بفضل التمويل من طرف (X)، المليء بالخوف المُخيِّم على السكان في محنة وبالولاء من قبل بعضهم أي أولئك الذين وجدوا أنفسهم وحيدين في مواجهة هذا الوضع.

الزمن منتصف شهر أيلول عندما يطلب مني رئيسي في العمل متابعة مهمتي في طرابلس لكنني مشتاق لبلدي (بالتبنِّي) لدرجة أني لا أفكر إلا بالعودة إليه مع أن الوضع هناك يتدهور من جديد. أقبلُ بالتنقل بين البلدين لفترة من الزمن على أي حال ولذا أسافر جوَّاً في الحال إلى صنعاء والتي أعترف أني وقعت في غرامها، الشيء ذاته بالنسبة لأهلها ولفريقي، الذين أعتبرهم كأبنائي كما قالت لي سفيرةٌ يوماً ما!

عودة الزعيم...

تسير المفاوضات بين نائب الرئيس هادي والمعارضة ببطء دون أن تُحرز تقدماً يُذكر لكن موقف السلطة مع ذلك يزداد تشدداً إذ أن مئات الثوريين سيلاقون حتفهم في العاصمة بالإضافة لما يقارب الألف جريح في غضون أيام عدة فقط. الثاني والعشرون من ايلول وتحديداً في السادسة عصراً أمشي مع صاحب لي في شارع الحدَّاح عندما نشاهد عسكريين ورجال شرطة وحراس ومدنيين كذلك يُخرجون أسلحتهم ويُطلقون النار في الهواء بشكل متقطع قبل أن يتحول ذلك إلى رشقات تطول وتقصر! إنها رسائل احتفالية تعلن عودة صالح تنتشر بسرعة في أنحاء المدينة كلها سيُضاف إليها رشقات نارية من دبابات ومدافع...ستضيء كثافتها السماء لكن هذه الاحتفالات التي تتواصل حتى منتصف الليل تؤدي إلى مقتل أكثر من مائة شخص وجرح أكثر من مئتين آخرين.

بالنسبة لصالح لقد عاد بالفعل لكن بما يُنذر ذلك؟ ما يُشكِّل مقدمة للأيام القادمة نجاة وزير الدفاع من هجمة انتحارية في عدن وإسقاط طائرة كانت في مهمة فوق صنعاء. يتحرك مؤشر الأوضاع نحو اللون الأحمر القاني إلا أن الرئيس يعلن بعد وقت قليل تخليه عن السلطة لنائبه وقبوله الخطة الانتقالية لمجلس التعاون الخليجي! لماذا؟ كيف؟ هل يمكن

الوثوق به؟ ما يُخفي كل ذلك؟ هذه الثورة التي أودت بحياة أكثر من ألفي شخص وجرح اثنين وعشرين ألفاً آخرين هل ستقود إلى السلام في نهاية الأمر؟ لكن هل هي ثورة[1]؟

الجواب لا إن أخذت تعريفها حرفياً بعين الاعتبار وإن أضفت إليه ما نعرف عن الوضع هنا أي المكشوف والمعلن منه وكذلك ما لا نعرف! وإن اعتمدت أيضاً على الفترة التي عشتها في هذا البلد وعلى عودة الرسميين من كل الجنسيات، مع أنني أظن أن الروح الثورية قد حامت فوق اليمن في لحظة معينة لكن تم لحاقها وابتلاعها من قبل شيء آخر أكثرَ ميكافيليَّةً؛ فهم كل ذلك يعني بالضرورة فهم التالي، إذا...

كما كتبت سابقاً بلدان حدوديان يرغبان بسقوط صالح وخصوصاً العربية السعودية التي وزعت ملايين الدولارات على قبائل مأرب[2] في العام 2010 من أجل زعزعة حكم صالح وقلبه[3]، بالطبع الأخير يعرف ذلك! بالتوازي تبتعد الولايات المتحدة الأمريكية التي تتحكم في شؤون عالمنا الواسع عن صالح لأنه أصبح مصدر إزعاج وأقل تعاوناً في "ملفات" عدة. لا يمكن إنكار أن الربيع العربي لعب دور المحفز! فيما عدا ذلك يوجد شعب منهك بالتأكيد؛ ففي الشمال قبائل همشها صالح تحب أن تتسيَّد البلد من جديد وفي الجنوب انفصاليون عاقبهم صالح كذلك في العام 1994 وهؤلاء يحلمون بالاستقلال دائماً وأبداً، في اليمن جيل متعلم أيضاً يحلم "بإلدورادو أمريكية" لكن على الطريقة اليمنية، الاقتصاد منهار بسبب الإهمال، خزينة فارغة لأنها اسُتخدمت في كل شيء سوى مساعدة الدولة والشعب، عائلة الأحمر بعظمتها وسعيها للانتقام وحلمها بأن تأخذ مكان "الخليفة"، أتباع مستفيدون وفاسدون حتى العظم لكن في غالبيتهم غير مستعدين للقتال من أجل سيطرة الزعيم لأنه أصبحبنظرهم حاكماً مستبداً بعد كل هذه السنوات، أحزاب سياسية هدفها الأول إزاحة حزب الرئيس كبير العدد، محسن الوفي بين الأوفياء والمكلف بالمهام الأساسية لكن مصاب بجنون العظمة ويحلم في الوقت عينه بأن يحل محل صالح ولذا يمكن أن يقوم بأي شيء ، الكيان الحوثي الذي كسب الكثير كي لا نقول أنه كسب كل شيء بالرغم من الحروب الستة التي خسرها، الوحش القبيح الذي يشوه صورة البلاد في الخارج ويُتعب صالح مع أن كلام الصالونات يقول أن الأخيريحكم قبضته على الوحش أي فرع القاعدة، أخيراً الدم المسفوك

---

[1] سياسياً الثورة تعني إلغاء النظام الموجود (ordre établi) والنظام السياسي القائم (régime politique) بطريقة عنيفة ودموية وإحلال شكل حكم جديد محلهما. تتميز ثورة ما (révolution) عن تمرد (révolte) أو (insurrection) أو عن إصلاح أو انقلاب بأنهاتُقيم نظاماً جديداً بطريقة لا رجعة فيها. بالطبع العنف حاضر بشكل كبير في "الثورة السياسية" إلا أنه ليس ميزة من ميزاتها، ما يميزها قبل أي شيء ضخامة وسرعة التغييرات المُحدثة.

[2] كانت عاصمة مملكة سبأ. تقع على مسافة 120 كم شرق صنعاء، تمتلك ثروة نفطية، ينطلق منها أنبوب النفط مأرب- رأس عيسى. أدت عملية انتحارية استهدفت مجموعة من السياح في الثاني من تموز عام 2007 إلى مقتل ثمانية سياح إسبان ودليلين سياحيين. سكانها الأساسيون من القبائل مع أن أعدادهم ليست كبيرة، أصبحت في عام 2011 مركز للجريمة المتفشية في البلاد بمقدار ما أصبحت ملاذاً للقاعدة في شبه الجزيرة العربية. لها صيت سيء أن كل شيء يُباع ويُشترى فيها.

[3] الدوافع متعددة لكنها غير مفيدة فيما يتعلق بفهم هذا الكتاب.

في جامعة صنعاء في الثامن عشر من آذار خلال عملية عسكرية شكلت صدمة للأمة التي تعرف أن رئيسها في غاية الدهاء لكنه ليس طاغية دموي بأي حال من الأحوال.

إذن تشكل هذه النقاط مجتمعة كلها كتلة واحدة قوية قادرة على إسقاط الثعلب لكن ذلك لم يحدث بالنظر إلى ما سيحدث فيما بعد!

يمكن القول أن المناخ العام في البلاد في شهر تشرين الثاني يتجه نحو الإحتفالات؛ إذ يُوقع صالح خطة الانتقال السياسي التي تمنحه الحصانة التي يحتاجها بدوره من أجل النجاة من الاتهام بأنه وراء الدم البريء المسفوك، ثم يُصدر مرسوماً بالعفو عن معارضيه ويُمرر السلطة إلى نائبه، لدى الأخير تسعين يوماً من أجل تنظيم انتخابات رئاسية جديدة.

لم أعرف طعم الراحة منذ ستة أشهر ولذا أنا جاهز الآن للعودة إلى بيتي لقضاء عطلة شهرين فيما يقضي عبدو عطلته أيضاً! بينما أنا وصديق لي في البيت ذات مساء يكلمني عبدو ليخبرني أنه رأى الموت بأم عينيه! من حسن الحظ أنه قوي البنية وأنه كان شرطياً في الماضي، أُصيب إصابات مباشرة في الأنف وفي أماكن متعددة من جسده عندما تمَّ استهدافه بينما كان يهم بالصعود داخل إحدى سياراتنا! بينما يهرب اثنان من المجرمين على متن سيارتنا يقوم أربعة آخرون بوضع عبدو في سيارتهم دون تفتيشه! كلهم مسلحون بمن فيهم عبدو الذي يقوم بإطلاق النار عليهم وجرح اثنين منهم قبل أن يردوا بإطلاق النار عليه أيضاً، سينجو من هذا الوضع غير المتوقع بعد أن يقوم قطاع الطرق هؤلاء بالتخلص منه بإلقائه على قارعة الطريق، حيث ينجح بالوصول إلى إحدى دوريات الشرطة التي تنقله إلى أحد مشافي الحداح، يقوم بإيجازي عما حدث بشكل وافٍ بينما يتلقى العلاج لكي أتمكن من إخطار شبكاتنا المختلفة فوراً؛ تُسارع عشرات السيارات المجهزة بأنظمة أمنية حديثة للبحث المكثف عن سيارتنا المسروقة في القطاع بالإضافة لعدد كبير من الحواجز مما يجبر هؤلاء المارقين على تركها دون أضرار تُذكر. تحظى القضية باهتمام كبير إذ يتدخل سفيرنا شخصياً بقوة في إطار تحقيق رسمي لكن لا شيء يخرج إلى العلن عن الموضوع أو بالأحرى لم تصلنا معلومات حوله! بالمقابل أنا مقتنع في داخلي أن عبدو قد عرف يوماً ما حصل لأن كل شيء ينكشف في هذا البلد لكن الأخير كما أبنائه يعرفون كيف يكتمون بعض الأنواع من الأسرار خاصة عن الأجنبي... ليس بدافع الفخر أو قلة الثقة لكن ببساطة بدافع الحياء والشعور بالعار أيضاً. تم ترتيب القضية (بالعامية لفلفتها[1]) ولم أعد إليها مرة أخرى لأن العالم الشرقي لديه ما يشبه الشيفرات (code)التي لا يمكن شرحها أبداً لكن يتم فهمها في الحال وبصمت، أشبهها بقبضتي اليد عند إغلاقهما، تخفي إلى الأبد ما يجب كتمانه! سنذهب معاً بعد أيام إلى مطعم سوري ونحن مرتاحون لأننا لم نفقد أيَّاً منَّا في الطريق!

[1] إضافة من المترجم.

قائد جديد لليمن...

نعم استرحت وأثناء فترة استراحتي أمضيت أعياد نهاية السنة الجميلة؛ آخذ وقتي لأني أملك منه ما يكفي إلا أن ذلك لن يستمر وخاصة بعد أن رنَّ هاتفي وهاأنا أعود إلى صنعاء بدلاً من التوجه إلى طرابلس.أغادر بعد شهر وليس شهرين كما كان مخططاً سابقاً لأن جدول الأعمال هناك متسع إلى أقصى حد بسبب الانتخابات الرئاسية التي يحترمها الجميع بالفعل مع أنها بمرشح واحد في دائرة المنافسة وهو نائب صالح منذ عام 1994 ! قد يبدو ذلك مضحكاً لكن في صنعاء هذا يدعو للاستهزاء..بمتحدثاً عن الانتخابات سيخبرني دبلوماسي بعد سنوات عدة أنه "لم يتوفر مرشح آخر إلا هو" وهذا صحيح لأنه ما من شخص آخر أراد هذا المنصب، والسبب ليس عدم توفر الشخص المؤهل لكن لأنه لم يكن لأحد الرغبة بخلافة صالح في تلك الظروف! يقول هادي في يوما ما أن صالح أعطاه العلم اليمني يوم التنصيب لكنه احتفظ بالقصر الرئاسي وهذا صحيح أيضاً !فسلُّور البحار[1]العجوز تخلَّى عن المناصب القيادية رسمياً لكنه ما يزال في صنعاء كما أنه ما يزال على رأس حزبه ذي الأكثرية في البرلمان وفي قلوب الشعب...باختصار ما يزال زعيم البلاد لكن خلف الكواليس هذه المرة!

الرئيس الجديد عبد ربه منصور هادي المولود في جنوب البلاد في الأول من أيلول عام 1945 جندي بالأساس، درس في أكاديميات عسكرية متعددة في الخارج، برتبة لواء ومن ثم وزيراً للدفاع في عهد صالح الذي سيعينه نائباً له بعد الحرب الأهلية في عام 1994. تم انتخابه لفترتين رئاسيتين في الحادي والعشرين من شباط عام 2012وتنصيبه رسمياً في السابع والعشرين منه بحضور الرئيس السابق الذي عاد من الولايات المتحدة خصيصاً من أجل المناسبة حيث كان هناك في رحلة علاجية!

يتمتع الرئيس الجديد بدعم المجتمع الدولي والمعارضة اليمنية، طبعاً إنه بحاجة لهذا الدعم لأن المهمة صعبة!لقد عانت البلد كثيراً منذ العام 2011 والعام المذكور كان بدوره مفيداً جداً للوحش القميء؛ فالدولة البوليسية المكلفة بإخماد الثورة تُهمل هذا الحيوان الذي يستغل ذلك من أجل تدعيم قاعدته في عدد من أقاليم الجنوب. كما أن الكيان الحوثي يُقلق كثيراً السلطة الجديدة؛ لقد امتطى موجة عام 2011 من أجل التعريف والاعتراف به من قبل الكتل الشعبية، إنه يبحث عن الفهم والدعم. علاوة على ذلك، ربما يتلقى المشورة والدعم المالي من إيران وهذا غير مقبول مطلقاً[2]! الجيش منقسم وحتى إن كان عددٌ من الوحدات وأشهرها الفرقة الأولى مدرعات موالياً لمحسن وبالتالي لهادي، إلا أن القسم الأكبر منه يدعم

[1] الترجمة الحرفية من الفرنسية تعني "ذئب البحر" وهو نوع من الأسماك الضارية. إضافة من المترجم.

[2] إيران هي الدولة الوحيدة الشيعية رسمياً ومن الدول القليلة التي يحكمها نظام ثيوقراطي، بمعنى أن للسلطة شرعية إلهية تكمن في يد رجال الدين. علاوة على ذلك، يُعتَبَر نفوذ هذا البلد على الحوثيين أمرٌ لا يمكن تصوره وغير مقبول من طرف السلطة المدعومة من العربية السعودية (السُّنيَّه، حيث نسبة المسلمين السُّنَّة 85 بالمائة من سكانها).

صالح دعماً لا مشروطاً! أخيراً يجب على هادي أن يطبق الخطة الانتقالية لمجلس التعاون الخليجي بمعنى أنه يجب صياغة دستور جديد وبشكل أكثر وضوحاً إصلاح الدولة في العمق. نفهم الآن بشكلٍ أفضل لماذا لم يرغب أي شخص بشغل منصب الرئيس حتى ولو بشكل مؤقت!

تستمر المظاهرات الرافضة للفقرة المتعلقة بالحصانة المقدمة لصالح، بل تدعو محاكمته من قبل السلطات الجديدة، لكنها تجذب عدداً أقل من الأشخاص. أما نحن فنقوم بتوظيف عدد إضافي ويزداد عدد فريق السفير في هذه الأثناء لأنه حتى ولو أن قصف المدافع متوقف في العاصمة وفي البلاد، إلا أن الوضع الأمني مُتقلّب... يضربُ الوحشُ القميء القصرَ الرئاسي في عدن في يوم تتويج هادي، مما سيُودي بحياة ثلاثين جندياً. لكن هذا التصرف أي الهجوم يقع في إطار عدم النضوج لأنه لا يعترف بالتنصيب ويقوم بشن هجوم كبير على إقليم أبين الجبلي في الجنوب حيث تمكن الوحش خلال الأشهر الماضية من السيطرة على قرى ومدن فيه كعاصمة الإقليم زنجبار. من أجل مساعدته في مهمته، تقوم وكالة المخابرات المركزية الأمريكية باستخدام الدرون[1] أو الطائرة من دون طيار من أجل تصفية أعضاء التنظيم المفترضين لكنها ستقتل مدنيين ايضاً متواجدين "في المكان غير المناسب وفي الوقت غير المناسب"! من المريع والفظيع الكتابة مجرد الكتابة عن هذه الحقيقة ومريعٌ وفظيعٌ أيضاً أن نعيش هذه الحقيقة...

[1] قتلت ضربات الطائرات من دون طيار الأمريكية آلاف المدنيين في أفغانستان وباكستان واليمن (بدأت في العام 2002) والصومال...إلخ . زاد عدد الضربات في عهد أوباما ومبررها كان حق الدفاع عن النفس ضد القاعدة والمنظمات الجهادية الأخرى. أدانت الأمم المتحدة ومنظمة العفو الدولية ومنظمات دولية أخرى مدافعة عن حقوق الإنسان لا شرعية هذه الضربات باعتبارها تودي بحياة الكثير من المدنيين وكذلك ضعف الحجة القانونية التي قدمتها الولايات المتحدة والمستندة على حق الدفاع عن النفس.

الشواء على الباربكيو (Barbecue)

أثناء العمل

بعد الوعد الذي قطعته لرئيسي في العمل، أقضي شهراً في صنعاء وآخر في طرابلس والثالث من أجل الراحة عادةً لكننا لا نستبدل آلات في العمل بل بشر، مختلفين، كما هي البلدان والثقافات التي يحدث التحول فيها. تعدد المواهب والمرونة والعقلية المنفتحة، من الصفات الأساسية التي تتطلبها مهنتنا غير المعروفة نحن المجهولون...القادمون في غالبيتنا من القوات المسلحة والشرطة ، غالباً بقلوبٍ وحيدةٍ لأننا عادة بعيدون عن كل شيء خلال فترات طويلة، نمتلك شخصية قوية كما هي البنية الجسمانية، إننا أطفال كبار قبل كل شيء مغرمون بحب المغامرة والحرية والمثُل والتشارك و "الجنون" أيضاً...

أما في طرابلس فنسكن في منطقة محاذية للبحر حيث سنكتشف أنها سيئة من الناحية الأمنية كما كان الوضع في فندقنا السابق؛ نشاطاتنا مكثفة لأنه علينا حماية عدد من مبعوثي الدائرة الأوربية خلال تنقلاتهم اليومية إلى المقر الرئيسي وخلال مواعيدهم الخارجية.بالتوازي ونظراً للوضع لدينا عمل كثير في المرحلة التحضيرية يتعلق بالبحث عن المعلومات، التوسع في النشاطات وخلق شبكات جديدة، الكثير من اللقاءات مع المسؤولين الأمنيين في السفارات أو مع منظمات كبيرة كالأمم المتحدة، دون أن أنسى شيئاً هاماً وهو تناول الوجبات مع الفريق، حيث نجتمع بالرغم من اختلافنا حول حرارة *الباربيكو* أو نار الشواء، تسترخي الأجساد والعقول قبل التنفيس عمَّا في داخلنا!

يعود الهدوء نسبياً مع عودة الليل، في الخارج كما في البيت، وأنا بدوري أعود إلى كتبي لأنني أتعلم عن نفسي وعن الآخرين منذ سنوات، أتعلم ما هو الإنسان...ماذا يعتقد عن كينونته..وما هو في الحقيقة؛ قابلت سيداً رلعاً في عام 2009، الصديق فِل الذي ينقل لي نوعاً من المعرفة بالطبع محمولة من خلال اللغة والكتابات وأشياء أخرى! المعاني والمشاعر والأحاسيس التي تتضمنها، كل ذلك بدون حدود، شيء لا منتهي تقريباً..سأحدثكم عنه خلال رحلتي لكنني سأعود الآن إلى صنعاء النائمة مما يعطيني الرغبة في النوم أنا أيضاً إلا أن تاريخ الثاني والعشرين من ايار يقترب بسرعة.

الوحش القميء...

إنه تاريخ توحيد اليمنين الشمالي والجنوبي.وقد دأبت العادة على الاحتفال سنوياً بهذه المناسبة من خلال إقامة استعراض عسكري تسبقه تدريبات في ساحة سابين؛ بينما أنا في مكتبي في الظهيرة أسمع صوت انفجار هائل بمكان قريب لقد تخطَّى الوحش القميء كل الحدود بإرساله 'رجلاً آلياً[1]"من رجاله وقد ارتدى حزاماً ناسفاً[2] سيؤدي تفجيره لمقتل 120 جندياً وجرح 350 آخرين. سيتم رصد أربع رجال آليين آخرين جاهزين لتفجير أنفسهم حيث سيتم إيقاف اثنين منهم قبل أن يُفاقموا من ضخامة المذبحة التي ارتُكبت من أجل لا شيء

[1] المقصود فرداً من أفراده وقد تعرض لغسيل الدماغ قبل إرساله لتنفيذ العملية (إضافة من المترجم)

[2] محشو بمادة (تي إن تي) شديدة الانفجار أو (سي4) مع صاعق تفجير. ويتم إضافة قطع معدنية كالمسامير إلى المادة المتفجرة بهدف زيادة الأضرار.

وعلى مسافة كيلو متر واحد عن مقر الوفد..يُدين كبار العالم هذا الهجوم، يتوعَّد الرئيس بالرد، يبتهج الوحش ويسيل لعابه أكثر فأكثر لكن لما كل هذا؟ ماذا نعمل وماذا نعرف حقاً؟

يمكننا أن نقدم تعاريف متنوعة للإرهاب، ذاتية بمقدار ما هي نابعة من العواطف إلى حد كبير أو من موقف سياسي؛ لكن لا مفر من تعريفه وهنا أرى أن التعريف الذي قدمته الأمم المتحدة[1] هو الأكثر ملائمةً كما أنه كامل وتوافقي: "طريقة عمل عنيفة ومكررة تُنتج الخوف، تستخدمها فواعل غيرشرعية إما فردياً أو في مجموعات أو دولاتية، لأسباب ذاتية[2] *Idiosyncratique* أو إجرامية أو سياسية، بعكس الاغتيال، الأهداف المباشرة للعنف ليست تلك الأساسية. عموماً يتم اختيار الضحايا البشرية الفورية للعنف بالصدفة أي ضحايا بالمناسبة و قد يكون لها طابع تمثيلي أو رمزي وسط سكان مستَهدفين من أجل إيصال رسائل معينة.عمليات الاتصال المُستنِدة على العنف أو التهديد بين المنظمات الإرهابية والضحايا المحتملين والأهداف الرئيسية يتم استخدامها من أجل التلاعب بالجمهور من خلال تحديد هدف من أجل الرعب، هدف من أجل المتطلبات وآخر من أجل لفت الانتباه بحيث تكون غايتها الأساسية واحدة من ثلاث، الترهيب أو الاكراه أو الدعاية".

فالنُحدِّد الآن وبشكل أكثر تفصيلاً من هم هؤلاء الرجال الذين تحولوا إلى مواد أساسية يستخدمها الوحش من أجل تحقيق مآربه الرهيبة؛ كان رجل القبيلة على رأس القائمة الطويلة لأولئك الذين انضموا إلى "مكتب الخدمات[3]" في سنوات الثمانينيات والذي سيصبح "القاعدة"في يوم ما، رجل القبيلة محارب لديه مُثُل، تعلم قليلاً أو لم يتعلم أبداً لأنه فرد في مجموعة عليها القتال دائماً من أجل العيش والاستمرارية، مؤمن ولديه شيء ما من السذاجة التيألمحت إليها سابقاً والتي تبدو بعيدة عم الصورة التي يقدمها عن نفسه،أخيراً مهما يكن موقعه الاجتماعي في هذه البنية التراتبية فإنه ليس سيداً لمصيره. زعيم القبيلة ليس كذلك إلا بحكم الوراثة، عليه إعادة النظر في استراتيجياته وتحالفاته بدون ملل لأن ذلك ضروري من أجل حياة ونجاة القبيلة، أما رجل القبيلة فعلاوة على إطعام عائلته، عليه تلبية حاجات المجموعة والزعيم!

[1] كتبه خبير الإرهاب أ. شميد، يشكل موضوع إجماع أكاديمي ومُستَخدم على نطاق واسع في العلوم الإجتماعية مع أن الأمم المتحدة لم تتخذه كتعريف رسمي بعد.

[2] طريقة للتعبير عن النفس تختلف من شخص لآخر، فتدفعه لاختيار ردة فعل أو سلوك يشبهانه.

[3] شكله عبدالله عزام في سنوات الثمانينيات من القرن المنصرم، دعمته منظمات إسلامية خيرية وكذلك وكالة المخابرات المركزية الأمريكية من أجل مساندة المقاومة الأفغانية ضد الوجود العسكري السوفيتي. بين العامين 1987 و1988 قام أعضاء منهم عزام وأسامة بن لادن وأيمن الظواهري بتشكيل منظمة القاعدة العسكرية. بموت عزام الذي عارض القتال بين المسلمين أصبح اسم المجموعة "القاعدة" بقيادة عناصر من الجهاد الاسلامي المصري كالظواهري الذي يوصي بقلب حكم القادة العرب لأنه يعتبرهم غير مسلمين.

إذن ذهب هذا الرجلللقتال أساساً أو بالأحرى للجهاد[1] من أجل قضية نبيلة بحسب فهمه وهي الدفاع عن المظلوم في وجه "الامبريالي" المنحرف، تم إرساله من قبل زعيمه أيضاً لأنه يمثل القبيلة ولأن ذلك يعود عليه بالنفع المادي!

عبر هذا الرجل يمكن الوصول إلى مجموعته، فاليمن من غير القبيلة لن يكون يمناً،لا شك أن المهمة قاسية لأنها تتطلب وقتاً لكن الوحش لا يهتم إن كانت تأخذ وقتاً أم لا لأن رجل القبيلة يعمل لديه في هذه الأثناء ولذا فإنه يمثل ورقةً رابحةً بالنسبة له!

يُغري الوحشُ الزعيمَ كما الحاكَم المحلي وقادةَ البلد، فيقوم الزعيم بتوريط قبيلته التي لم تطلب شيئاً من أحد سوى الحصول على حاجاتها اليومية وعلى الحماية من القبائل المجاورة الأكثر قوة وبالتالي المحتمل أن تكون أكثر خطورة.

يشتري الرجالَ بمبلغ مئة دولار (متوسط الراتب الشهري للفرد 106 دولارات) مقابل خدمات صغيرة تصبح كبيرةً مع الوقت؛ يحمل هؤلاء الوحشَ إلى عشهم حيث يختبىء، يستشعر البيئة الجديدة ويبدأ مرحلةً مستندةً على الراحة والتملق والخطبة حيث كل الناس مدعوّين إليها تصبح الأخيرة إجباريةً في يوم ما ويُصبح هو أي الوحش مُتَّهم ومُكفِّر! بعد ذلك ينتشر الخبر أن القبيلة الفلانية تأويه وتغذيه، لكن بعد فوات الأوان بالنسبة لها حيث لم يعد لديها خيار إلا القبول بما هو غير مقبول!

يوسع دائرة عمله باستهدافه للرجال والنساء والأطفال الذين يموتون خطأً بضربات الدرون، تقوم الدولة بتعويض العائلة أو القبيلة[2] لكن هذا غير مهم! يطرق الوحش على الباب في يوم من الأيام ويقدِّم نفسه قبل أن يبدأ الحديث عن بلد مدمَّر وعن مسؤول فاسد وأجنبي قاتل وزنديق...يتعاطف مع المتألمين ويعرض المال. يقول كلاماً ويدّعي أن الله كلَّفه بقوله ويعتبر أن الخلافة[3] هي الحل للتخلص من كل الآلام ولذلك تجب إقامتها مهما كان الثمن! يكبر الوحش مع مرور السنوات، غني ويمتلك بنية واضحة، الأمر الذي سيسمح له بتوسيع بحثه عن مكونات جديدة، عن واضعي قنابل بالتأكيد لكن كذلك عن جنود وأخصائيين وخبراء كمبيوتر ومدربين ومجنِّدين ومتكلمين وقادة...

---

[1] الجهاد (الجهد، القتال، المقاومة) بل التعبير القائل بالقيام بجهد في سبيل الله هو واجب ديني على المسلمين. للجهاد أربعة أنواع (جهاد القلب واللسان واليد والسيف). قدَّم تفسير جهاد السيف حجّةً لمجموعات مسلمة مختلفة من أجل تشجيع أفعال ضد "الكفار" وضد مجموعات مسلمة أخرى تُعتبر كمعارضة أو كثائرة.

[2] تدفع الدولة اليمنية تعويضات لعائلات الضحايا بشكل رسمي، إما نقداً أو بنادق كلاشنكوف، لكن مصدر المال غامض.

[3] بدأ عصر الخلافة بعد وفاة النبي(ص) في العام 632، وقد طُبِّقت فيه القواعد الاسلامية ومنها الشريعة. تنظر الحركات الجهادية إلى تلك الفترة باعتبارها مثالية لأنها متاخمة مباشرة لحياة النبي (ص) ولأنها شهدت العصر الذهبي للانتصارات العسكرية ولانتشار وتوسع الدين والحضارة العربية الاسلامية.

يبني الوحشُ هياكلَ مُضيفةً ومُريحة فيها حياة اجتماعية، يُطلق عليها أسماء خيرية وتُقدم لائحة لا بأس بها من الحلول! وعندما يوجد شاب ما وحيد ومسحوق في عالمه الخاص، لم يتم فهمه أو تمت معاملته بدونيَّة أو مرفوض من عائلته ومحيطه وأصدقائه، مع أو بدون تعليم، إذن لا يتبقى أمامه إلا طرق باب الوحش! يتمتحديد أي إنسان في محنة فوراً قبل أن يعمد الوحش إلى تصنيف المهمات التي ستُوكل إليه اعتماداً على صفاته: "نعرف أن العيش مع عائلتك شيء سيئ لكن بإمكاننا إخراجك من هذا الوسط"، "شخَّصنا لديك مرضاً خطيراً ولدينا علاجه لكنه عالي الكلفة، إننا جاهزون لتقديم العناية المناسبة لك مقابل خدمات بسيطة"، "أنت حامل لفيروس السيدا وحياتك انتهت ولذلك عليك تسليم أمرك لنا"؛ يقبل الشخص المعني ومن ثم يتم استقباله والعناية به خلال فترة تمتد من ثلاثة إلى ستة أشهر يخضع خلالها لعملية غسل دماغ حقيقية بإتباع قراءة غير مسبوقة للقرآن وقد تمت إعادة النظر فيها، يكررون القراءة حتى يشعرون بمفرداتها في أعماقهم! بعد ذلك يتم توزيع المهام حسب مهارات وكفاءات كل شخص، أما أولئك الذين لا يملكون أيَّاً منها أي لا يدخلون في أي "خانة"، فيُطلب منهم إسداء خدمة صغيرة قبل أن يغادروا المؤسسة بحرية وبصحة جيدة: "وضع أو إيصال سيارات إلى هذا العنوان...أو ذاك..."! بالطبع هم سعداء للمغادرة وينفذون المهمة بفرح غامر لكن هؤلاء المتمرنين يجهلون بالتأكيد أنها رحلتهم الأخيرة في عالم الأحياء...

يوجد مُكوِّن آخر من مكونات التنظيم تركت الحديث عنه إلى الآن لأنهم لا يعرفون عنه إلا القليل لأن أصوله غير معروفة، انغمس في الأعمال الإجرامية في يوم ما قبل أن يقابل الوحش بصدفة أو بغير صدفة حيث يقوم الأخير بعرض الشراكة عليه...يقدم له الدعم اللوجستي من أجل تنفيذ مهامه التي تبقى من مسؤوليته كما يقدم له الرعب الذي يُوحي به اسمه مقابل ماذا، يقوم الشريك الجديد بتقديم أعضاء من "شبكته" للتنظيم، بالتالي الجميع رابح مع أن هذه الشراكة قد لا تستمر إلا لبعض الوقت وأقل من ذلك بالنسبة للدخيل!

بالنسبة لمكتب الخدمات الذي أعطى الحياة للوحش...قرأنا باختصار عن أصوله ودوافعه[1] أثناء قتاله ضد الامبراطورية السوفييتية التي بالتأكيد لم تكن هناك (في أفغانستان) من أجل جمال عيون هذا البلد وسكانه، كانت إمبريالية[2] تماماً كالولايات المتحدة ووكالة المخابرات المركزية وآخرين..إذن يكبر مكتب الخدمات متعلماً من أولئك الذين كانوا وراء ظهوره والذين بجانبه وكذلك من معارضيه قبل أن يتطور ويُصبح القاعدة...لماذا؟ حفنة من الرجال تعرف فقط! مع ذلك وبكل ضمير ماذا كان علينا أن ننتظر من حركة رأت النور

[1] تستلهم القاعدة إيديولوجيتها السلفية الجهادية من كتابات مفكرين مسلمين متطرفين كأبو قتادة، أبو السوري أو أبو المقدسي. تعتبر أن الحكومات الغربية الصليبية وعلى رأسها الولايات المتحدة تتدخل في الشؤون الداخلية للأمم الاسلامية من أجل مصالحها الخاصة. يلجأ التنظيم للإرهاب من أجل إيصال مطالبه.

[2] ظاهرة أو عقيدة توسع وسيطرة ثقافية اقتصادية عسكرية...لدولة أو لمجموعة دول على دولة أخرى أو مجموعة دول. حسب الماركسيين، تمثل المرحلة العليا للرأسمالية التي تترسخ من خلال سياسة توسعية على الأصعدة الاقتصادية والسياسية والعسكرية ومن خلال التبعية الاقتصادية والسياسية لشعوب ودول.

بفضل أشخاص أو كيانات أو بلدان لا شيء مشترك بينها سوى مصالح آنيَّة؟ ماذا كان علينا أن ننتظر من حركة منبثقة من فرع ديني راديكالي لا يدعو فقط بل يقاتل الامبريالية التي خرج من رحمها (أي أنه مثلها)...باستخدامه للخُطب المسيئة للإله والتي أعاد النظر فيها بكل بعد نظر، وتوظيفه للبترودولار لحسابه، الوحش الغادر والجشع كذب وخدع وانتهك واستغل عقول وقلوب وأجساد مئات الآلاف من الأشخاص في أنحاء العالم وبدون عقاب! تغذى من آلامنا من أجل أن يكبر وكذلك من مخاوفنا من أجل أن يتوسع ومن كلماتنا من أجل أن يسطع في "مملكة الظلمات"...هذا يعني أنه لا شيء ولا يستند على أي شيء سوى مصالحه التي تكلمنا عنها سابقاً، المصالح التي تسمح له بإنتاج ما هو أكثر وحشيةً أيضاً[1].

صيفٌ ووداع...

تجري المراسم الاحتفالية في الثاني والعشرين من أيار عام 2012 بوجود رئيس على أي حال، محمي كما يجب تماماً كسفيرنا الذي يشارك فيها. يقوم هادي بتوجيه ضربة ثانية لصالح[2] بتسريحه لأحد أبناء أخيه[3]؛ حكومة الوحدة الوطنية برئاسة محمد باسنداوا[4] أكثر من مشغولة. المهمة والرهانات ضخمة كما هي لعبة هذه الطبقة السياسية التي تعرف نفسها عن قرب منذ وقت طويل، الأخيرة عبارة عن مزيج الشخصيات الكبيرة والعسكريين والنُّخب، عُيُّنوا جميعاً من قبل صالح منذ وقت طويل ومختلف تماماً، إنها على شاكلته أي ماكرة وفاسدة وجشعة ومتمسكة بامتيازاتها بأسنانها وأظافرها والأخيرة قديمة ايضاً! من حسن الحظ أن الجميع في البلاد ليسوا كذلك لكن الحرس القديم قوي ومن الصعب جداً لا بل من الخطورة بمكان التصرف دون موافقته! قال لي يوماً أحد المقربين السابقين من صالح وهو دبلوماسي سابق أيضاً أحترمه جداً: " ماذا تعتقد يا جِف؟ أننا كنا بحاجة للمجتمع الدولي لكي نعرف أين نقف في هذه الأزمة وماذا علينا أن نفعل؟ لا... لكن بالمقابل تركناه يقول ويفعل وكان أملنا ولو قليلاً نأه سيرتكب خطأً وأننا سنجعله يدفع غرامة ذلك!"... لم يظن أن

[1] المقصود تنظيم الدولة الاسلامية (داعش) وهو منظمة إسلاموية إرهابية مسلحة تتبع إيديولوجية سلفية جهادية، أعلنت قيام الخلافة في حزيران 2014 على الأقاليم التي سيطرت عليها. يظهر التنظيم بعد أن أعلنت القاعدة في العراق مع خمس تنظيمات جهادية أخرى عن تشكيل مجلس شورى المجاهدين في تشرين الأول عام 2006 والذي أعلن عن الدولة الاسلامية في العراق حيث اعتبر المجلس نفسه كبديل حقيقي للدولة العراقية. يمتد الأخير إلى سورية في عام 2012 ويُصبح اسمه تنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام في عام 2013.

[2] قبل شهر من ذلك قام بتسريح أربعة محافظين وعشرات العسكريين من ذوي المراتب العليا بينهم الأخ غير الشقيق لصالح وقائد القوات الجوية الجنرال محمد صالح الأحمر.

[3] يُدير يحيى وحدة الأمن المركزي منذ عام 2001. تم تشكيلها أساساً من أجل مكافحة القاعدة، تضم حوالي 50000 رجل. أغلب من قُتلوا وجُرحوا في تفجير ساحة سابين في الحادي والعشرين من أيار عام 2012 تخرجوا من الوحدة المذكورة.

[4] كان وزيراً للخارجية بين 1993 و1994، هذا السياسي المنحدر من عدن عضو في حزب الرئيس أيضاً لكنه سيتركه في عام 2000 من أجل الانضمام للمعارضة. تم تعيينه رئيساً لحكومة هادي بعد مغادرة صالح حيث يستمر في المنصب حتى شهر ايلول من عام 2014.

كلامه حول "الغرامة"سيُصبحُ واقعاً يوماً، لكن من سيدفعها ليس إلا البلد وشعبه وبطريقة بشعة!

يستعد سفيرنا لمغادرة اليمن بعد أربع سنوات قضى ثلاثاً منها في هذا المنصب، حيث قدم خلالها كل ما بوسعه وبدون حساب؛ اختلفنا أحياناً فيما يتعلق بأمنه الشخصي وتحركاته وتنقلاته، كما أمضينا لحظات لا تُنسى أيضاً وقد تصافحنا ونحن نتذكر الأخيرة فقط!

يتبعه آخرون أيضاً حيث يغادر ستة أشخاص إما في عطلة أو نتيجة تنقلات في مواقع العمل...إلخ. وهم Olaf, Ted, Poulet, Titi, Fifi, Loulou، يغادرون أو يحضروا أنفسهم للمغادرة إما بخيار شخصي أو بقرار من الشركة وأنا أحييهم اليوم عبر هذه الكلمات[1]؛ تقاسمنا الكثير من الأشياء كما أعطينا وتبادلنا ورأينا واستوعبنا الكثير من الصدمات، كنَّا أقرباء من بعضنا البعض ليس بسبب الإجبار أو لأن العمل يتطلب ذلك لكن ببساطة لأننا نُقدِّر ونحترم بعضنا البعض! نعم كان هناك لحظات عبرنا فيها بغضب عن انفعالاتنا تلاها عُبوس لفترة قصيرة لكن قبل كل ذلك مهنية في العمل، تعاضد وتبادل معارف، غمزات وابتسامات وضحكات ونكات وحماقات وهذيانات...ضربة كرة مفاجئة في المنزل ستنفض الغبار عن الثريَّا التي ما من أحد فينا يحبها مما يؤدي إلى كسرها! محاولة تحضير طبق من الأكل على طريقة جدتي إلا أني نسيت جزءاً منها مما إلى شعلة لهب ستلامس سقف المطبخ الأبيض الجميل! نار ترفض أن تشتعل وبعناد في الباربيكيو من أجل الشواء على الرغم من إضافة كمية لا بأس بها من البنزين، يستمر عنادها حتى اشتعال لكن ليس هذا الباربيكيو الملعون لكن الوعاء المحتوي على عشرين لتراً منه، من حسن الحظ أنه كان مغشوشاً وممزوجاً بالماء وإلا ما كنت تمكنت من الكتابة لكم عن هذه الملاحم ! بطاطا مقلية أسطورية لأن كل الشروط متوفرة لأن تكون كذلك سوف ينتهي تحضيرها بوضع مناشف بالية على النار التي ستحرق هذه الأخيرة فقط من حسن حظنا! مشكلة تدفق الماء في حوض الاستحمام، ليس إلا خيط من الماء في الحقيقة أحياناً ساخن وأحياناً فاتر أو بارد، يذهب ويجيء حتى يصبح نقطةً نقطة بسبب انقطاع التيار الكهربائي أو لأنه أصبح ضعيفاً جداً! وبما أننا متحمسون[2] للخروج في هذه اللحظة بالذات خاصة أن أجسادنا ما زالت مغطاة بفقاعات الصابون وأنه لدينا مصباح يدوي لأن انقطاع التيار يحدث غالباً في الليل، يجب الصعود إلى السطح من أجل تشغيل المولد الكهربائي الذي يعمل حسب مزاجه حيث يمكن أن يدور بسهولة أو يمتنع عن ذلك لأسباب متعددة منها أن خزان الوقود خالٍ من البنزين؛ مما يعني وجوب تحديد المتهم أوالمسؤول عن ذلك وهو صاحبي بطبيعة الحال لأنه لم يتأكد من كمية الوقود المتبقية عندما أوقفه عن العمل آخر مرة أو أسوأ من ذلك أي أنه ببساطة لم يملأ الكمية الناقصة منه لأنه كسول! غير أننا لا نذكر متى كانت "آخر مرة"وهذا يناسبنا طبعاً

[1] ستتعدد التحيات عبر صفحات الكتاب.
[2] يقولها الكاتب على سبيل السخرية (إضافة من المترجم)

ويناسب طبيعتنا البشرية القول دائماً أن الآخر هو المخطئ! باختصار دار المحول الكهربائي وما علينا إلا النزول بسرعة لإكمال الحمَّام الساخن، لكن الهاتف يرن ومن الضروري الرد مع خيبة أمل طبعاً، حيث حدث أكثر من مرة أن نخرج مسرعين من غرفة الاستحمام وأن نرتدي ملابسنا على عَجَل ومن ثم نقفز في السيارة من أجل معالجة حالة طارئة ما!

بالتأكيد سيأتي أشخاصٌ لا يقلُّون كفاءةً عن أولئك الذين غادروا، فمكان السفير ستحُل سفيرة ذات شخصية قوية ومتمرسة في مجالهاسنتقاسم معها أوقاتاً طيبة وأخرى سيئة كذلك...وهناك حدث آخر يتمثَّل في وصول مسؤول جديد للأمن الإقليمي معروف بـ (قيك) بين المقربين وهم ثلاثون حول العالم مهمتهم الإشراف الأمني على 180 بعثة! موظفون تابعون للدائرة الأوربية للشؤون الخارجية وهم مراسلونا المباشرون.نُقدِّر عالياً أنا والفريق وجود المسؤول الأمني في منصب ثابت في هذا البلد بعكس ما كان عليه حال المغادرين الذين أصبحوا أصدقاء لنا، بالمناسبة أوجه لهم التحية لأنهم رجال كبار استطاعوا العمل باستخدام إمكانيات متواضعة!

سيضرب الوحش القميء في صيف 2012 أيضاً لكن الحوثيون هم المستهدفون هذه المرة، بعد ذلك يتم تسريب "برقيات" أمريكية تُحذِّر العالم كله من احتمال وقوع هجمات ضد الغربيين في اليمن وقد يكون الوحش مسؤولاً عنها[1]. في شهر آب حيث الحر الشديد وحيث صنعاء عاشت شهر رمضان للتو، تأخذ القوى الكبرى هذه التهديدات على محمل الجد كما وتريد تفادي أي مخاطر محتملة، لذا ستتبع الأمريكيين وتقوم بإغلاق مكاتب بعثاتها الدبلوماسية نظرياً لعدة أيام؛ نحن في حالة استنفار ولو أن شيئاً لم يحصل حالياً في اليمن، لكن في الشهر التالي سيموت العديد من الرعايا الأمريكيين في بنغازي بينهم السفير[2].

عمليات الخطف من المواضيع التي تسترعي اهتمامنا لحد كبير أيضاً وتجعلنا نعمل بشكل مكثَّف! تلجأ الكيانات والقبائل وأعضاء الأخيرة إلى هذا العمل المتطرف اللاشرعي والذي يعاقب عليه القانون بشدة[3]، من أجل مظالم مهمة، هي تعتبرها مهمة، في مواجهة الدولة؛ بهدف الضغط على الأخيرة يقومون باختطاف أجانب أو من أبناء البلد المعروفين وينجحون في حالات كثيرة في الحصول على مكاسب من القضية! مع أن هذه التصرفات

---

[1] يقف تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة وراء مخطط الهجمات الذي يدفع الولايات المتحدة إلى بدء بروتوكول إنذار أمني مسبباً إغلاق العشرات من سفاراتها وسفارات حلفائها. تم إفشال المخطط قبل أيام من تنفيذه على ما يبدو، كان يستهدف السيطرة على مدن ومنشآت نفطية وأخذ أجانب كرهائن.

[2] وقعت الهجمات في مساء الحادي عشر من سبتمبر عام 2012 عندما أقدم ناشطون اسلاميون على استهداف مبنى البعثة الدبلوماسية الأمريكية في بنغازي وقتل السفير كريستوفر ستيفنز وموظف آخر، ثم مهاجمة مقر سكني يتواجد فيه رعايا أمريكيون آخرون وقتل عميلين من وكالة المخابرات المركزية وجرح اثنين آخرين. تم إخراج فيلم يتناول هذه الأحداث عنوانه *13 Hours : The Secret Soldiers of Benghazi*

[3] يُعاقب عليها بالسجن لمدة تتروح بين عشر إلى خمسة عشر عاماً وبالموت في بعض الحالات المحددة بدقة.

أصبحت بمثابة تقليد من التقاليد عبر السنوات، إلا أن طرق التنفيذ والسلوك لم تعد كما كانت في سنوات الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي[1].

علاوة على من ذكرتهم أعلاه، لدينا المجرمين الذين يرون في عمليات الاختطاف مصدراً للدخل مثلهم مثل الوحش القميء الذي يستفيد أيضاً من الدعاية المجانية ومن العمليات المذكورة من أجل الحصول على المال من الأشخاص[2] والدول[3]، حيث أن اليمن ليس البلد الوحيد الذي يدفع مبالغ مالية في أوضاع مشابهة! في السيناريو الأخير قد يقوم الخاطف ببيع رهينته إلى الوحش لأسباب متعددة منها المالية، هذه الحالة هي الأكثر خطورة بالنسبة لنا! عاد المغتربون الأوربيون إلى اليمن منذ بداية العام بعد القرار الذي اتخذه رؤسائهم معتبرين أن الوضع الأمني يسمح بذلك لكن الواقع ليس كذلك...

المدافع في حالة سكون والحواجز أصبحت نادرة لكنها ممسوكة من قبل محترفين فيما تعمل المؤسسات العليا للدولة مع عالم الدبلوماسية وهذا الجانب الإيجابي! أما بالنسبة للسلبي، أو للجزء الظاهر منه على الأقل، القائمة طويلة وغير حصرية حيث من غير الممكن ارتياد الشوارع في الليل بسبب طبيعة مرتاديها؛ القبائل مسلحة وحاضرة دائماً فيها وتتميز بسلوكها "القبائلي" للغاية، اتجاه متصاعد للجريمة أكثر من أي وقت مضى لكن بما أن الحديث عن هذا الموضوع من المحرَّمات يتم تجاهله رسمياً، اغتيالات متزايدة لأعضاء الأمن السياسي ومكتب الأمن الوطني بدون أن تلقى هذه الظاهرة أي إجراءات رد ملموسة، وأخيراً الوحش الذي استقر في المدينة بدون أي عقاب فيما تقول السلطات أنه ملاحق بدون هوادة...

أمتنع عن القول أن البلاد وسكانها أصبحوا معادين لنا، لكن في المقابل أقول بصوت عالٍ أنهم غير متحمسين لمساعدتنا كما من قبل! يضاف إلى ذلك نهاية الأمل الطوباوي أو الخيالي بأن صالح قد يكون قد ضَعف وهجر اللعبة؛ لم يعد في مقدمة المشهد، أعلن أنه مشغول بكتابة مذكراته لكن هذا ليس نشاطه الوحيد وكل الناس تعرف ذلك! أخيراً الوحش القميء الذي لا يعرف معنى كلمة "استراحة" فقد حاول اغتيال وزير الدفاع في

---

[1] في العام 1993، تم اختطاف كندي مع كلبه من قبل أحدى القبائل وقضى عشرين يوماً في أيدي خاطفيه. تمت معاملته معاملة حسنة حيث تمكن من قراءة ثلاثة وعشرين كتاباً قبل إطلاق سراحه. اختُطف دبلوماسي أمريكي في العام نفسه، حيث قام خاطفوه بالتضحية بخروف على شرفه وبدعوته لجلسات القات.

[2] جمع تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية في الفترة ما بين 2011 و2013 مبالغ تُقدر بحوالي 20 مليون دولار كفديات مدفوعة في اليمن أما القاعدة فقد جمعت 125 مليون دولار على الصعيد العالمي في الفترة ما بين 2008 و2014.

[3] استناداً إلى تحقيق قامت به صحيفة أمريكية فإن الدول التالية قد تكون دفعت ما يلي لتنظيم القاعدة: فرنسا (58 مليون دولار)، قطر وسلطنة عمان (20 م.د)، سويسرا (12.4 م.د)، إسبانيا (11 م.د)، النمسا (3.2 م.د) وبلدان لم يتم الكشف عنها (21.4 م.د). توفي ما نسبته 15 بالمئة من الرهائن إما إعداماً أو لأسباب تتعلق بظروف اختطافهم.

صنعاء لكن الأخير نجا لكن الحظ لم يحالف سبعة من حراسه الشخصيين[1] وخمسة من المارة...

مرحباً أيُّها العام 2013

مهنتي مهمة وبغير حدود ولأنها بالضبط كذلك يجب عليّ أن أهدأ قليلاً وأن أذهب في عطلة.بإولو مشغول جداً على مسارح عمليات أخرى، لا أقوم بتنقلات حالياً لكن الشركة وجدت بديلاً جديداً لي سأترك له مفاتيح المنزل. أنضم إلى عائلتي التي اشتقت لها، أعود إلى معقلي وإلى البحر، ألتقي من جديد بِفيل في إطار التكوينات المهنية التي يتلقاها في باريس وفي إقليمه...تكشف هذه الأخيرة دائماً عن "ماهيَّتي" أو عن " ماذا أكون" وعن "ماهيّة" البشري أي لحسن الحظ عن نقاط قوته وضعفه، معتقداته وتساؤلاته، قناعاته وشكوكه، التي تتطور في عالم قِيلَ كل شيء فيه ومع ذلك يبقى مجهولاً تماماً على الأقل بالنسبة لي...أثير وأطرح أسئلةً، أجد نفسي في حوارات وأبدأ أخرى وبلا نهاية؛ في الحقيقة، هذا في تناسب مطلق مع عوالمنا التي نعرف عنها شيئاً واحداً على الأقل وهو أنها لا منتهية! عندما أشبع من العلوم الاجتماعية أو بالأحرى عندما تصيبني الأخيرة بالدُّوار، أُغلق كل شيء وأترك ذاتي لحالة "اللاحكمة" حتى أشعر بالحاجة من جديد للنهل من المعارف المليئة بالحكمة والمفترض أنها تسكن الإنسان وبالتالي تسكنني...

أعود إلى "يَمني"كما أحب أن أُسميه في شهر كانون الأول! سأرى أصحابي هناك مجدداً وهم آرون وأدولفو وكزد وران وناستي والعم فيستر وجميعهم نمساويون حيث سيصبحون أصدقائي سريعاً؛ ألتقي مجدداً بالفريق المحلي الذي تضاعف ثلاث مرات منذ وصولي في عام 2009 حيث يضم 120 شخصاً. أستغل رجوعي من أجل زيارة الكنيسة الكاثوليكية الوحيدة في صنعاء[2] وهي عبارة عن فيلَّا ضمن مُصلَّى كبير وكنيسة صغيرة ... يرعاها رجل دين هندوسي مُحب للنساء ولعوب ويعرف الحياة جيداً أما أنا فأحب الجلوس معه من وقت لآخر من أجل الحديث عن كل شيء وعن لا شيء وعن حقيقة أنه "يجب عليّ" أن أرتاد الكنائس وليس فقط أن آتي وحدي إذ أني لا أرى الطائفة الصغيرة من الأشخاص الذين يأتون إلى هذا المكان، أحاول أن أوضِّح له أنه لا وقت لديّ لكن سرعان ما أتخلى عن المناقشة وأنا راضٍ بما قال لكني لن أنفذه أبداً!

[1] جاءت الهجمة رداً على مقتل سيِّد الشهري بضربة طائرة من دون طيار وهو الشخصية الثانية في تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية. تم اعتقاله في أفغانستان وإرساله إلى غوانتانامو ومن ثم تسليمه إلى العربية السعودية في إطار خطة لإعادة تأهيل المتطرفين. إلا أنه انضم إلى التنظيم في اليمن بعد خروجه.

[2] يوجد كنائس أرثوذوكسية أيضاً في صنعاء.

تجري الاحتفالات على الأرض أيضاً لأن الوضع السياسي يزداد توتراً بعد قرار هادي بإصلاح الجيش[1] ووزارة الدفاع وفي الوقت ذاته ممارسة عملية تطهير داخلها من خلال فصل العديدين وعلى رأسهم أحمد علي[2] ابن الرئيس صالح وعدد من المؤيدين للزعيم!

يجب علينا إدارة مسألة هامة وهي مغادرة الصديق عبدو بعد اتفاق مشترك مع المؤسسة الأم حيث يستقيل ويترك منصبه كمدير للشركة[3]، استقالة حساسة وغير متوقعة تُضاف إلى تعديل كامل لفريق الحراس الثابتين مما يعني تسريح ثلاثين فرداً وشكرهم على خدماتهم والذين سيشكروننني بدورهم من خلال توجيه تهديدات متعددة بالموت لي، لكن لا مشكلة، إذ لي الكثير من العلاقات بالإضافة إلى أن ذلك يجب أن يُوضَع موضع التنفيذ بناءً على رغبة "الزبون" والشركة والفريق!حلَّت شركة جديدة محل القديمة التي أُغلقت وتم تعيين مدير جديد، في حين أني أراقب كل ما يجري بدقة، وأقوم بذلك بشكل جيد لأن الوضع سرعان ما سيسيء بيننا نحن الاثنان.

أتكلم كثيراً عن الأوضاع في العاصمة لكنها ليست أفضل في باقي أنحاء البلاد! الوحش المُميء الذي طُرِدَ من إقليم أبين قويٌ فيها أكثر من اي وقت مضى حيث يترسخ حالياً في شبوة ولحج والجوف والضالع والبيضا وعدن وحضرموت، يزرع الرعب بضربه المنظم لمراكز عسكرية معزولة واقتلاعه لحياة الأبرياء حتى يشبع ومن ثم يعود إلى وكره من أجل التحضير لأعمال الرعب المقبلة. تسعى الحركات الانفصالية في الجنوب لإسماع صوتها أيضاً من خلال المظاهرات والتحركات المتنوعة التي تخرج عن السيطرة أحياناً؛ هذه الجماعات الصغيرة متعددة ومنقسمة ويتم التلاعب بها ولا تعكس صراحةً تطلعات الشعب الجنوبي الذي يرغب بأكثريته الاستقلال عن السلطة المركزية لكن مع الإبقاء على ارتباطه بهذا اليمن الذي يبدأ أخيراً حواره الوطني[4]!

الحركة الحوثية...

يجمع المؤتمر الذي يبدأ في آذار كل مكونات البلاد حتى تلك التي ظهرت في عام 2011، كالشباب أو التي أثبتت نفسها كالحركة الحوثية[5]! لكن الحديث عنها يعني الحديث

---

[1] يتكون الجيش مع خمس قطاعات وهي القوات البرية والجوية والبحرية وحرس الحدود والاحتياط.

[2] تم نقل القيادة المباشرة للقوات الخاصة (الحرس الجمهوري الذي شكله المصريون والروس اعتباراً من عام 1964) وتلك المسؤولة عن الأسلحة البالستية من أحمد علي إلى الرئيس الحالي.

[3] شركة متعاقدة من الباطن مع شركتنا الأم التي تملك العقد (في اليمن كما في بلدان عديدة، من المستحيل أن تستقر أي شركة دولية وأن تمارس مهامها دون اللجوء إلى هكذا خطوة).

[4] بحضور 565 ممثلاً عن الأحزاب السياسية والحركات الجنوبية والحوثيين وممثلين عن المجتمع المدني حيث يتحاورون برعاية الرئيس هادي من أجل وضع دستور جديد والتحضير لانتخابات عامة كان من المقرر إجراؤها في شباط من عام 2014.

[5] تنبثق من منتدى الشباب المؤمن الذي أسسه كل من حسين بدر الدين الحوثي ومحمد عزان في عام 1992. تُقسم إلى فرعين يتبع أحدهما النضال المسلح والتي ستُصبح الحركة الحوثية فيما بعد.

عن الدين مع الغوص قليلاً في تاريخ البلد...أكثرية سكان اليمن من المسلمين السُنَّه لكن تقطنه أيضاً أقلية شيعية زيدية قوية[1] في الجبال الشمالية الغربية بشكل أساسي حيث يتركز وجود الحوثيين. تسيطر الإمامة الزيدية على هذه المناطق منذ العصر الوسيط، ستؤسس المملكة المتوكلية لاحقا[2]، الأخيرة تستمر حتى عام 1962 أي إلى أن يقوم الانقلاب عام 1962 بتحويل النظام إلى جمهوري، توحيد اليمنين في عام 1990 سيجعل من الزيديين أقلية.

وسط كل ذلك، تشعر الحركة الحوثية بالتهميش على الأصعدة السياسية والاقتصادية والدينية رغم الوعود التي قطعها صالح (الزيدي أيضاً) لها. تطلب إعادة منحها الاستقلال الذاتي الذي تمتعت به أيام المملكة القديمة والعودة إلى الإمامة. يُعلن صالح الحرب الأولى عليهم في عام 2004 لاعتباره أنهم يسعون لتقويض سلطته، مما سيؤدي لمقتل مئات المدنيين وضمنهم قائد الحركة بدر الدين الحوثي[3] ودفنه في سجنه مخافة أن يتحول قبره إلى مكان للتعبد.

تنجو الحركة من خمس حروب متلاحقة[4]، وتتمكن من زيادة تسليحها بشكل ملحوظ مع بقاءها متحصنةً في مسقط رأسها حتى عام 2011 حيث ستجد نفسها مدفوعةً إلى مقدمة المشهد في البلاد... شعب صنعاء الذي يضع آماله في الجيل الشاب الذي يتحدى صالح سيكتشف أنه قد تم التلاعب بهذا الجيل بل ابتلاعه من قبل شيء أكبر منه![5] ستنتجه هذه الكتلة الكتلة الشعبية نتيجة خيبة أملها نحو الحوثيين الذين تعرضوا لكن أنواع الاتهامات، لكنهم هم أيضاً تجرؤوا على تحدي صالح لأكثر من مرة؛ بقيت الحركة منسجمة مع ذاتها منذ تأسيسها، إنها تشبه الناس لأنها منبثقة منهم وتعيش معهم وهذا مثير للإعجاب حقاً! بعد أن فازت بعقولهم وقلوبهم تقوم بالاستقرار عندهم وتسيطر على محافظات عدة بمساعدة ميليشياتها ومن ثم تقوم بتطبيق العدالة على طريقتها! لها مكانها أيضاً على المسرح السياسي، تسعى للدخول في حلف مع هادي الذي يُظهر نواياه الحسنة تجاههاتمهيداً للحوار المشهور (الذي تحدث عنه سابقاً) من خلال إعادة رفات قائد الحوثيين للحركة.

---

[1] فرع من الشيعة قريب جداً من السُنَّة وموجود في اليمن منذ القرن الثامن الميلادي.

[2] تأسست مع نهاية الحرب العالمية الأولى في العام 1918 أي بعد استقلال البلاد العربية عن الامبراطورية العثمانية. كانت تقع في الجزء الشمالي من اليمن الحالي وعاصمتها تعز.

[3] خلفه ابنه عبد الملك الحوثي على رأس الحركة.

[4] آخرها كانت في عام 2009 وسُميت "الأرض المحروقة" وقد أشرت إليها في بداية الكتاب.

[5] تراوح عدد مقاتليها ما بين 1000 و 3000 مقاتل في عام 2005 وبين 2000 إلى 10000 في عام 2009.

استراحة من أجل "شرب القهوة"...

بالتوازي مع كل هذا، أفكر ملياً حول موضوع تَرْكي لعملي[1] بصورة نهائية؛ بالضبط كما "عرفتُ" دائماً ومنذ لحظة انضمامي لمؤسسة كبيرة منذ سنوات طويلة أنني سأتركها قبل الأوان، لديَّ الشعور ذاته مع انضمامي للعمل الخاص في عام 2008 مع أنه لا شيء محدد بعد في هذا الإطار!أُخبر الشركة التي أعمل لديها أنني أرغب بإنهاء عملي في ليبيا وبتقليص عملي في اليمن!أُخصِّص وقتاً أكثر خلال الشهر الذي أقضيه في فرنساً لدراساتي مع فِل، قبل عودتي حيث من المهم إدارة الوضع مع مدير الشركة الجديد...مع رؤاه وممارساته التي هي على النقيض رؤاي؛ كان بوسعهأن يساعد بشكل كبير استناداً إلى إمكاناته التجارية إلا أن التواصلبيننا أنتج شيئاً معاكساً سينتهي بنفاذ صبري حول موضوع رفضه الإفراج عن الأموال المخصصة لرواتب فريقي، أو على الأقل ليس ضمن المهلة التي حددتها له. بعد مكالمتنا الهاتفية الأخيرة، أذهب إلى منزله وأعلمه أنه إن لم يُعطني الأموال في غضون ساعتين سأعود وأحرق بيته... لقد نجحت حيث سأَحضر في مساء اليوم ذاته برفقة بعض الأوفياء رواتب أعضاء الفريق ودفعها لهم بعد وقت قصير والتي تتجاوز مبلغ الثلاثة عشرة مليون ريال! سيَردني بعد فترة أنه أعطى اسمي لأعضاء في منظمة الأمن السياسي من أجل "إزعاجي" بعد تهديدي له، لكن الكيان المذكور مشغول بأشياء أكثر أهمية وقبل كل شيء حماية أعضاءه من الاغتيالات.

أقوم بمهمتي الأخيرة في ليبيا قبل العودة إلى فرنسا حيث من المخطط البقاء لمدة شهرين والتمتع بالفترة الصيفية؛ أتعبني زخم العمل الذي اتبعته منذ أن وطأت قدماي أرض اليمن أول مرة، أنا بحاجة لأن أسترد أنفاسي قبل اتخاذ قراري حول قطع أو مواصلة رحلتي في العام 2014.

بالطبع أنا متعلِّق جدًّاً بهذا باليمن وبفريقي وبأصدقائي لكن أشعر أيضاً ان هذه الحياة لا تلبي طموحاتي! أنضمُّ إلى فِل وأتعمق أكثر فأكثر في ميدان العلوم الاجتماعية[2] وفيزياء الكم[3] وبعد ذلك أذهب إلى *بولون* الجميلة ومقرُّنا العام الذي أقيم منذ سنوات عدة بالشراكة مع بعض الأصدقاء.

---

[1] الجراف والحصبة والمدينة القديمة...

[2] تطوير ذاتي؛ أهدافه معرفة الذات وتثمين المواهب والقدرات بالإضافة لتحسين نوعية الحياة وتحقيق آمالها وأحلامها...إلخيخضع للنقد في المجال الأكاديمي الذي يعتبره علماً زائفاً بدون أثر لا بل خطيراً يستثمر في المفاهيم المتملقة لكن المجردة من الأسس المحددة.

[3] المتعلقة بنظرية الكم "المقدار". يمثل في الفيزياء أصغر قياس لا يتجزأ بما في ذلك قياس الطاقة أو كمية الحركة أو الكتلة.لا تُعرِّف الفيزياء الكمية جسماً ثابتاً لكن احتمالات فقط معتبرةً الحقيقة كمكان حيث كل شيء له احتمال وجود معين.

لدى...[1] مقهى صغير لتقديم الجعة في مقابل ميناء الصيد حيث نلتقي بشكل متكرر أنا و هوبي وميمي وتوني[2] وبيرثي وبيني وبالتأكيد صاحب العمل ريتشي من أجل الحديث عن أشياء كثيرة ومن أجل السخرية والمزاح والكلام بإيحاءات جنسية ونحن نشرب الجعة أو النبيذ الأبيض أو الويسكي...واحدة، اثنتان أو ثلاث مرات حسب المزاج والوقت الذي لدينا، دون أن ننسى الامساك بقائمة الوجبات التي نعرفها عن ظهر قلب والتي نهزأ منها دائماً قبل أن استهداف الطبَّاخ وريتشي بالتأكيد! بعد ذلك نبدأ بتناول الطعام ونحن نتابع أحاديثنا المثيرة حتى موعد القهوة وبعدها نفترق وعندئذ أغتنم الفرصة وأذهب للتنزه على طول الرصيف البحري والنظر إلى قوارب الصيد، إنه مشهدٌ لا أملُّ منه أبداً.

يحين وقت السفر والقطار لا ينتظر ولا حتى الطائرة، أعود إلى عالمي الذي شغل حيزاً واسعاً في قلب الوفد الأوربي؛ جذب السلام المزيَّف في اليمن المغتربينَ من جديد[3] ومنهم كبير الموظفين الإداريين، بَسَّام ومتذمر لكنه صاحب قلبٍ كبير، والقائم بالأعمال الإنساني إلى حد كبير والذي علمني الكثير عن الاتحاد الأوربي وطرق عمله الغير مفهومة في أحيانٍ كثيرةٍ والمُنتقَدة إلى حدٍّ كبير، هذه المؤسسة التي تحمينا تماماً من من الحرب، الحرب التي لم نردها في عام 1918 لكننا رأيناها مرة أخرى في عام 1939 والتي كان من الممكن أن تطرق أبوابنا مرة جديدة لو لم تلعب هذه المؤسسة دورها على أحسن وجه ! نلتقي من وقت لآخر عند هذا أو ذاك لنتشارك وجبة شواء ولنتعرف أكثر فأكثر على بعضنا البعض، بالتأكيد نتحدث في السياسة وفي الأخبار العامة وعن الأحداث وعن الأمن الذي يؤثر فعلياً على حياتنا اليومية . قامت الدائرة الأوربية للشؤون الخارجية بعد أزمة 2011 بإلغاء كل المقرات السكنية القديمة لمغتربيها واستئجار بيوت وشقق سكنية لهم قريبة جغرافياً فيما بينها محميةجيداً كما الوفد وأعضاء فريقي الذين يتنقلون الآن في سيارات مصفحة مزودة بالسلاح ! هذه الإجراءات وإجراءات أخرى لن أذكرها أنقصت نسبة الخطر المتنامي بدون توقف لكن لا يمكنها أن تضمن السلامة بشكل كامل.

لدينا الكثير من العمل إلى درجة أننا نبدأباكراً جداً وننتهي في وقت متأخر ! بالنسبة لي يُضاف إلى برنامجي اليومي المليء مسبقاًتفقُّد لقطاعات السكن والعمل للمغتربين وكذلك تلك التي أنفذها في المناطق الحساسة أو المتأثرة بانعدام الأمن، بدون أن أنسى الاجتماعات الأمنية المتزايدة بشكل مضطرد وكذلك الفاعلين المشاركين فيها!

---

[1] اختار الكاتب وضع ثلاث نقط للدلالة على أن المقهى مغلق اليوم

[2] تقديري الكبير لهذا الرجل الرائع الذي تركنا وترك دنيانا لكن ذكراه معنا دائماً.

[3] تحية للجميع أي للجدد وللقدامى وبالتأكيد لأعضاء الوفد المحليين.

نزول بطيء نحو...[1]

هل كلمتكم سابقاً عن صنعاء؟ إنها تبدو هادئة جداً ظاهرياً ، إلا أنها تغلي من الداخل. شبيهةٌ بطنجرة بخارية كان علينا أن نطفئ النار تحتها لكن مع ذلك نتركها مع إبقاء الصبَّاب مغلقاً ! أشعر من جديد بهذا الشيء الذي لا يمكن تعريفه لكنه غير مريحأبداً ، هذا الشيء الذي يوحي بحدث غير جيد؛ مع افتتاحية للاحتفال تمثلت بمحاولة اغتيال رئيس الوزراء ثم الحوار الوطني أو حوار الطرشان ، يمكن أن نسميه كما نريد ، الذي يُمدَّد لأسبوعين بهدف إيجاد حل نهائي بحسب تصريحات عدد من الناطقين باسم المشاركين . لكن فترة ستة اشهر ستكون ضرورية من أجل التوصل إلى حل، سيليها التصرف الشبيه بإعلان حرب الذي وقع في مدينة دمَّاج[2] حيث يهاجم الحوثيون مدرسة سلفية[3] لأنهم يعتبرونها معسكراً لتدريب الجهاديين الدوليين. كان لذلك أن يمر دون لفت الانتباه لولا أن السلفيين مدعومون من طرف قبيلة حاشد أي آل الأحمر ولولا أنه يقف خلف هذا الفعلحقيقةً صراعٌ على النفوذ سيخرج منه رابحٌ وخاسر ! تنشط المدرسة لأن الفاعلين المختلفين في البلد تركوها على عوانهها ولأن المجتمع الدولي ، الذي يراقب كل شاردة وواردة، مشغولجداً بالمؤتمر لأنه يريد أن يحقق مخرجاً إيجابياً مهماكلَّف الأمر ...

هدف المؤتمر على الورق المصالحة بين الجميع من خلال حوار سيسمح بوضع دستور جديد للبلاد...الحوثيون بعيدونجداً عن نسيان ومسامحة الدولة وصالح على الحروب الست التي خاضوها ضدهم ويحلمون بالانتقام أكثر من أي وقت مضى ! يحلم كلٌّ من حزب الإصلاح وعائلة الأحمر كذلك بالسيطرة على البلاد ومسح حزب صالح الذي ما زال يشكل الأغلبية ! يحلم انفصاليو الجنوب بركل صالح على قفاه ومعه آل الأحمر وشركائهم وبيمن جنوبيحصراً ! يحلم الشباب الثوري بتشي غيفارا على رأس الدولة التي ستقوم بمسح النظام القديم وممثليه !أخيراً صالح مع أنه غير مدعو إلا أن لديه حلفاء وأشخاص يدعمونه ضمن النظام لذلك سيُشكِّل إفشال المؤتمر بالنسبة له نعمة حقيقية وضربة للجميع!

---

[1] قصد الكاتب نحو الجحيم لكنه لم يكتبها (إضافة من المترجم)

[2] مدينة صغيرها تقطنها خمس عشرة ألف نسمة تابعة لإقليم صعدة، معروفة جدا في العالم الاسلامي منذ أن استقر فيها رجل الدين السلفي مقبل هادي الوديعي بعد عودته من العربية السعودية حيث أسس مدرسة "دار الحديث" فيها . هذه الأخيرة أصبحت بسرعة من أكثر المدارس الدينية السلفية تسمية في العالم الاسلامي.

[3] السلفية من السلف وهي حركة سياسية دينية تدعو للعودة إلى اسلام الأصول الذي تأسس على القرآن والسُّنَّة . ترفض التجديد وتفضل التطبيق الصارم للشريعة الاسلامية .تؤكد أنها تشكل عودة لإسلام القرون الأولى بعد أن تَمَّ إفساده بالتجديد. لها ثلاثة فروع السلفية (الدعوية، الاصلاحية، الجهادية)

وبعد...وبعد...وبعد...إنها الثانية بعد الظهر، أنا في مقر الوفد مع الفريق وإذ برسالة لها وقع الصاعقة تخبرنا أن حارساً شخصياً ألمانياً قُتل وهو في طريقه للخروج من أحد المتاجر المعروفة[1] في العاصمة...لا نصدِّق أو لا نجرؤ على التصديق لكن تمَّ تأكيد الخبر السيء بسرعة..تقوم الشرطة بإغلاق المنطقة المزدحمة بالناس؛ ذهبت إلى المكان فوراً ولأول مرة منذ عام 2009 أسمع العديد من اليمنيين يقولون بصوتٍ عالٍ: "غادر/غادروا" لكن بطريقة لا عنيفة أو ساجرة، تعبر هذه الكلمة عن حزنهم لكن عن تحذير أيضاً! بالنسبة للباقي، موت زميلنا وصديقنا ليس أكثر كارثيةً من موت ثلاثين عسكرياً قضوا على يد الوحش قبل شهر من الآن في إقليم شبوة، لكنه يكشف عن حقيقة مفادها أن الدبلوماسية الدولية والسياسة اليمنية تحاولان إخفاء أو على الأقل التخفيف من خطورة ما حدث قدر المستطاع! نعم يقاتل عسكريون ضد الوحش، نعم يتم استخدام وسائل قوية من أجل ملاحقته في تنقلاته العديدة، نعم وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وطياراتها من دون طيار وعناصرها يضربونه ويُدمونه دائماً لكن هذا الوحش ما زال هنا ومستمر بشكل فعال أيضاً! هل هذا يعني أنه باتَ لا يُهزم؟ إنه لأمر صاعق على كل حال أن يقوم اثنا عشر عنصراً من عناصره في صباح يوم الخميس الموافق للخامس من كانون الأول عام 2013 باختراق مبنى وزارة الدفاع وارتكاب مذبحة في مستشفى العرضي الذي يقع داخل مجمع الوزارة[2]، ذهب ضحيتها 60 قتيلاً و 167 جريحاً من اليمنيين والأجانب؛ جنود وأطباء وموظفون طبيون ومرضى! إنها صدمة كبيرة جديدة للبلد ستُشكِّل مادة دسمة لوسائل الإعلام مما سيضطر الوحش لتبريرها والإعتذار في الوقت ذاته للضحايا[3].

قررتُ وسط هذه العاصفة التي بدأت للتو أن أضع حدَّاً لرحلتي، لكن قبل ذلك تسعى الشركة الأم بكل استطاعتها للفوز من جديد بالعقد الذي حملني إلى اليمن في العام 2009...المنافسة قوية وشرسة مع ساعِين آخرين للفوز به! العقد الذي يسمح بتوظيف الكثير من الأشخاص والوسائل مؤقت وقد يتم تجديده في خريف 2014 لمدة أربع سنوات قادمة، إن تمَّت هذه المرحلة بنجاح سيُشكِّل العقد منفعة أكيدة للفريق الذي أنظر إليه بشكل متزايد كل يوم وكأنني أحاول نقش أعضاءه في ذاكرتي؛ في الأول من كانون الأول أعضاء الوفد المحليون والأجانب وفي مقدمتهم السفيرة، فريق عبدو، أصدقاء، زملاء ومعارف، جميعهم مدعوون للإحتفال بيوم مغادرتي.كلمات ومصافحات ونظرات ومعانقات وقُبَل وبكاء أيضاً تحت المطر(نادراً ما تُمطر في هذا الفصل) المغادرة قاسية جداً، لم تحن اللحظة بعد...لا أعرف...لم أعد أعرف!التُقِطَت الصور من أجل تخليد هذه اللحظة لكن هل هذا ضروري؟ تحاول الشركة الأم التي تحترم خياري إقناعي بالبقاء وتقترح عليّ افتتاح فرع جديد تحت

---

[1] ليس لديَّ الرغبة بالتعليق على هذا الحادث إذ قيلَت الكثير من السخافات حوله، لكن يأكتب بالمقابل "فالترقد روحك بسلام أيها الصديق".

[2] يتم تنفيذ هذا الهجوم المعقد على دفعات وفي أماكن متعددة.

[3] بحسب قاسم الريمي (القائد العسكري لتنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية آنذاك)، استهدف الهجوم مركز عملياتي لطائرات من دون طيار وخبراء أمريكيين ولم يستهدف المستشفى بتاتاً، لكن هذا الأخير مع ذلك هو الهدف الوحيد لهذه القوات الإرهابية.

إدارتي العامة، سيكون الصديق جون[1] لوسيط في هذه الصفقة التي سأقبلها بعد أيام! نفوز بالعقد في الخامس عشر من كانون الأول؛ اعتباراً من هذا التاريخ وحتى الثالث والعشرين منه، وهو تاريخ عودتي إلى فرنسا، علينا العمل بدون توقف من أجل جعل العقد الجديد عملياتيًّاً.

ولادة ب ب...

عُطل نهاية السنة جميلة ولطيفة على الرغم من قطعها من أجل القيام بتدريب طارئ تلاه دخول إلى المستشفى لأيام عدة وعلى الرغم من ضرورة إنجاز الكثير من الأمور ومنها إعداد لائحة مهامي الجديدة مع جون وكذلك أهدافي وجدول أعمالي لسنة 2014. علاوة على إنشاء الشركة الجديدة وتسجيلها والحصول على التراخيص اللازمة من أجل ممارسة نشاطها[2]، يجب الحصول على عقد مع المنظمات المحلية والدولية بأسرع وقت ممكن من أجل استرداد الاستثمارات الهامة التي قمنا أو التي سنقوم بها. أقوم بإدارة الفرع الجديد فيما تتولى شابة يمنية منصب رئيس مجلس الإدارة[3] وبجانبها مدير للعمليات ومحامٍ ومحاسب.

أنا في اليمن وعلى رأس عملي في الحادي عشر من كانون الثاني. الفريق بمجمله سعيد لافتتاح الفرع الجديد ويُعلِّق عليه آمالاً كبيرةً مثلي تماماً، مع أنه علينا التشمير عن سواعدنا لأنه يوجد خمس وثلاثون شركة أمنية من ضمنها تلك الممثلة لكبريات الشركات الدولية في سوق العاصمة وحدها والذي ينمو بشكل مضطرد نظراً لتعدد التهديدات والتوقعات، لكنها فاسدة جداً أيضاً! أعرف ذلك وبإمكاني التنسيق مع الشبكات المعقدة والجهات الداعمة لنا. في نهاية الأمر، أتمتع بتفويض واسع بالتصرف من قِبل الشركة الأم.

أقوم بشراء السلاح اللازم من المصدر الأساسي، لأنه حتى ولو أن شراء كل شيء ممكن في اليمن بما فيه الدبابات، إلا أن حاجاتي بسيطة لكنني مُتطلِّب جداً فيما يتعلق بمصدرها ونوعيتها والسعر والعرض التفضيلي الموجود في سوق "جحانة".[4]

---

[1] عمل على الأرض لفترة طويلة وهو المدير المالي/للعقود في الشركة الأم حالياً. إنه الصاحب الوحيد الذي لم أقابله أبداً وجهاً لوجه، مع أن أحاديثنا اليومية والطويلة أحياناً تسمح لنا ببناء هذه العلاقة غير العادية والجميلة أيضاً.

[2] تراخيص من وزارات الداخلية والصناعة والتجارة والمالية والعمل، والوكالات الأمنية ، والبلدية وغرفة التجارة والصناعة في صنعاء، والضرائب...إلخ

[3] عملت في شركتين أمنيتين محليتين منذ العام 2010 حيث شغلت مهمة إدارية. تَمَّ اختيارها لمهنيتها وجديتها؛ إنه التعيين الأول الجريء في اليمن.

[4] سوق وطني غير قانوني يقع في أقلي مخولان (على مسافة أربعين كيلو متراً من صنعاء)، يضم عشرين قرية وتقطنه قبائل في تمرد دائم ضد بعضها البعض وضد السلطة المركزية أيضاً. اللصوصية وتنظيم القاعدة في شبه الجزيرة حاضران فيه منذ 2011 (لم يعد الإقليم تحت السيطرة الفعلية للدولة).

يصاحبني في رحلاتي دائماً شخص أُناديه بـ"قائدي"[1] وينحدر من قبيلة رضا[2].تبعاً للأحداث، نغادر سراً في بداية الصباح أو بعد الظهر على متن سيارة تابعة لشبكتنا لنلتقي بعد ساعة أو ساعة ونصف في مُلكيَّة تابعة لزعيم إحدى القبائل حيث تنتظرنا المواد التي طلبناها مسبقاً.

شاي وسجائر ومحادثات وتفكيك لقطع السلاح الجديدة دوماً، يتم إنجاز آخر تفاصيل المفاوضات قبل أن نُكمل الصفقة بالمصافحة والدفع نقداً. يتم تحميلها بسيارات أخرى ترافقنا ومن ثم إيصالها في الغد بواسطة المفاوض الذي أعرفه منذ حوالي السنتين. كما في الذهاب، لا نُضيِّع الوقت أبداً على هذه الطرق غير الآمنة أحياناً. مع الإقتراب من العاصمة، تتكاثر الحواجز التي لم تكن موجودة حتى الآن وهذا يعني أنها هنا للتفتيش. من حسن حظنا أنها خاضعة لسيطرة القوات الخاصة التي يعرفها قائدي جيداً مما يوفِّر علينا الكثير من الأسئلة المتعلقة بجنسيتي وهويتي وسبب وجودي في سيارة على طرق مُصنَّفة بأنها حساسة.

أُوسع شبكة علاقاتي ضمن قطاع السيارات المصفحة، حيث تطوَّر سوقها بشكل ضخم منذ 2011. لديَّ مُزوِّد لكن أسعاره مرتفعة وبالتالي غير تنافسية. تقوم الشركة الأم باستئجار خمس عربات ضخمة منها من أجل إحضارها؛ بالطبع الأمر بسيط على الورق، كلعبة طفل، لكن في الواقع أمرُ إحضارها صعب للغاية لدرجة أننا لن ننجح في ذلك أبداً!

أملك احتياطي عملياتي من الأشخاص المحليين جاهز للإنتشار فوراً وذلك بعد إعادة تنظيم للفرق المحلية والدولية المخصصة للدائرة الأوربية للشؤون الخارجية[3] التي لم أعد جزءاً منها رسمياً.نقوم باستئجار فيلَّا ثانية أكبر مساحة وأكثر تجهيزاً وتُحوِّل القديمة إلى مكان لاستقبال الزبائن المستقبليين[4].أقابل أشخاصاً كثراً ومن أوساط مختلفة لأنه ولو أنني معروف إلا أن الأمر مختلف بالنسبة للكيان الوليد أو بالنسبة لكوادره البشرية ولوسائله المادية وكذلك لطموحاته.

أُصدر نشرتين أسبوعية وشهرية تتضمنان بالتأكيد أموراً أمنية لكن أيضاً اقتصادية وسياسية واستشارية[5] وعن الإرهاب، مع التركيز على مشاريع جديدة كتكوين فريق حماية

---

[1] ينضم إلى القوات الخاصة في نهاية فترة المراهقة.أُخرجه منها في نهاية 2010 من أجل ضمه للفريق المكلف بحماية السفير.سيُصبح مسؤولاً عنه قبل أن يُصبح ذراعي اليمنى في 2015.

[2] العاصمة الإقليمية لإقليم البيضا؛ يقع هذا الإقليم المركزي على مرتفع عالٍ تقطنه قبائل عدة. توسَّعَ فيه نشاط تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية منذ 2010نظراً للفقر ولوجود مناطق عدة خارجة عن سيطرة الدولة.

[3] تمَّ توظيف خمسة أجانب بينهم مارك الذي وصل في بداية كانون الثاني من عام 2014 للعمل بدوام كامل. أما الفريق المحلي فيضم 144 شخصاً.

[4] صيغة تشمل خدمات حماية أكثر من المعروض عادة في السوق.

[5] الإستشارات المقدمة عبارة عن عمل فكري تحليلي حول الحقائق والآثار المحتملة والإنعكاسات المحتملة على الأرض، تتضمن توقعات وتساؤلات...إلخ

خاصة من النساء[1] ووضع خريطة لصنعاء من أجلنا وإنشاء نشرة اشتراك إخبارية[2]. بفضل الشركة الأم ننظم في شهر شباط عملية قدوم فريق من المدربين المتخصص في إسعافات الطوارئ[3].

احتدام الخلافات ...

تختم البلاد حوارها الوطني بهجمتين في العاصمة صنعاء ستقتلان ممثلين أحدهما للحوثيين والآخر لصالح[4]. يُتوَّج هذا المؤتمر بالنجاح على ما يبدو، يمدِّد رئاسة هادي لمدة عام ويصدِّق على إقامة دولة فيدرالية مكونة من ستة أقاليم، لكن في العمق لم يتم حل أي شيء...

الحوثيون أو على الأقل السياسيون منهم متوزعون في أقاليمهم وما يزال ينتابهم الإحساس بالتهميش في عيون سلطة لم تنصت إليهم حسب ما يقولون ولم تستجب لمطالبهم المتعددة..أما قوات الحوثي فتتابع حربها على السلفيين وعلى قبائل من عائلة الأحمر وعلى وحدات متنوعة منخرطة في هذا الصراع الذي امتدَّ الآن إلى إقليم عمران. الجنوب والعشرات من أجزائه طبعاً منقسمون أكثر من أي وقت مضى باستثناء موقفهم حول استقلال الإقليم، ويدعو البعض منهم حالياً إلى العصيان المدني فيما يدعو آخرون لحمل السلاح...

يشن الوحش القميء هجوماً صفيقاً على السجن المركزي في صنعاء ويطلق سراح تسعة وعشرين سجيناً وبدون أن يقلق ولو للحظة واحدة؛ ينشر الرعب كعادته ويوسع نطاق سيطرته لتضم مناطق وأقاليم جديدة..يضرب مُستخدماً الطريقة ذاتها لذلك لا مفاجئة ، لكن مع ذلك هل من أحد يتفاجأ...

ما من شيء قادر على ملءخزينة الدولة لأنه باستثناء الفساد الذي لم يكن مزدهراً يوماً كما هو الحل اليوم، كل شيء في حالة ركود...

تقترب سهرتي من نهايتها في إحدى أمسيات شباط، حيث لغرفتي واجهة زجاجية كبيرة مطلة على الحديقة. أسمع صوت إنفجارين ضخمين جداً يتلوهما مباشرةً كرة نار وصلت إلى السماء إلى وزارة الدفاع كذلك... فيما تصلني الرسائل واحدة واحدة، أشاهد على علوٍّ منخفض وقريباً جداً المؤخرة الحمراء لصاروخ[5] سيسقط على مسافة 400 متر من

---

[1] سيكون من الضروري إجراء مقابلات ولقاءات من أجل تشكيل هذا الفريق الذي قد يضم خمسة عشر عضواً. من القرر برنامج تدريبي لمدة شهر يؤطره مدربان أجنبيان لكنه لن يرى النور...

[2] جدول معلومات مُقسَّم إلى خانات ويضم مبادئ الشركة، برامج التدريب المتبعة، مشاريعها الحالية والمستقبلية وتقديم مكان الإستقبال الخاص بها وصندوق من أجل تقديم المقترحات.

[3] *AURJEX* وهو فرع متخصص في مجال التكوين المهني.

[4] المؤتمر الوطني للإصلاح هو حزب المعارضة الرئيسي(يعتبر الحكومة اليمنية موالية للغرب). بنيته إسلامية، تابع للإخوان المسلمين، أسسه الشيخ عبدالله الأحمر في أيلول من عام 1990 (أب عائلة الأحمر القوية وزعيم اتحاد قبائل حاشد) وقبائل أخرى. تم إضافة الحزب إلى القائمة السعودية للمنظمات الإرهابية في آذار 2014.

[5] يسقط في منطقة سكنية مسبباً القليل من الأضرار لعدم احتوائه على مواد متفجرة.

بيتي! يجتمع فريقنا مباشرة على الأرض لأنه حتى ولو أننا لم نقلل من شأن الهجوم الأول، إلا أن الثاني يُثير حيرتنا كثيراً..من المستهدف؟ سفارة فرنسا الواقعة على مسافة 100 متر؟ مقر المفوضية الأوربية الواقع على مسافة 150متراً؟ مسكن صالح على مسافة 250متراً؟ من يقف خلف ذلك؟ لماذا؟ بالتأكيد لا إجابة على هذه الأسئلة كالعادة، مع ذلك أحد ما فقط أو أكثر ربما يعرف/يعرفون!

على الصعيد الإداري، الشركة شبه جاهزة وعروض السعار مُقدَّمة. قام المدربون الثلاث القادمون من بلجيكا بعمل رائع كما جميع أعضاء الشركة بالطبع دون أن أنسى الذين دعوتهم لأن الظرف تطلَّب ذلك، هذا هو العمل التسويقي!

فيما يتعلق بعقد الدائرة الأوربية للشؤون الخارجية، تتم عملية إعادة تنظيم بعد مغادرة المسؤول عن الفريق الدولي وحلول فرنسي محله يُدعى أنج؛ له ماضٍ عسكري لامع وتجربة ممتازة في القطاع الخاص، أوصتنيالشبكة بشدة أن أُوظفه، يصل إلى يمن على مفترق طرق[1] وإلى العاصمة حيث تتضاعف الاغتيالات لعناصر منظمة الأمن السياسي ولعسكريين برتب عالية أيضاً! رائحة كبريت في المدينة الخارجة عن الدولة العاجزة عن الإيفاء بالوعود التي قطعتها في كل الاتجاهات ولا حتى إدارة الأمور اليومية!

مع ذلك تجري عملية واسعة النطاق[2] تشارك فيها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بطائرات بدون طيار وعناصر ووسائل أخرى سريَّة ضد الوحش في معاقله الإقليمية في أبين وشبوة المعروفة بصعوبة الوصول إليها وبإهمالها لزمن طويل من قبل السلطة المركزية. هذه العملية العسكرية الذي تمَّ التحضير لها ودراستها جيداً لضخامتها تستهدف وتُدَمِّر معسكرات تدريب وتتعقب من يخدمون الوحش، لكن الأخير يعرف أنه يجب فعل أكثر من ذلك من أجل اجتثاثه؛ ينسحب دون أن ينسى نشر الموت أينما يمر، يُعيد تشكيل نفسه ثم يلجأ إلى إقليم آخر يعرفهجيداً في الجوار وهو حضرموت. أقام معسكرات فيه منذ وقت طويل لكن حركاته لم تسبب القلق لأحد!

تم تعزيز الإجراءات الأمنية الإضافية التي اتُّخذت في العاصمة منذ بداية العام، بعد التهديدات التي أطلقها الوحش الساعي إلى الانتقام! إلى أي مدى يمكن أن تذهب الدولة في هذا الانتشار الواسع وغير المنظم للقوات العسكرية وللشرطة بهدف حماية الأبنية الحكومية ومقرات البعثات الدبلوماسية ومقرات أخرى؟ إلى أي مدى يمكننا أن نذهب في تأمين

---

[1] أدت هجمات القاعدة في شبه الجزيرة في الفترة ما بين الأول من آذار والثالث والعشرين من نيسان إلى مقتل 143 عسكرياً وجرح 173 آخرين. يُشتبه أيضاً في أن التنظيم المذكور يقف وراء 65اغتيالاً أو محاولة اغتيال. أخيراً، تمت 56 حالة اختطاف مع أنها نُفّذت من قبل رجال قبائل ومجرمين أكثر منه من قبل تنظيم القاعدة.

[2] العملية "*Golden Swords* " التي يشارك فيها أكثر من 1600 عسكري و400 من أفراد القبائل علاوة على الوسائط الثقيلة.

مقراتنا؟ نحن في حالة استنفار دائم وهذا لا معنى له بالمعنى الأمني حيث التهديدات في تصاعد مستمر وكذلك الوسائل المستخدمة من أجل احتوائها، لكن إلى أين وإلى متى؟

عشيَّة مغادرتي التي تراجعت عنها- كانون الأول 2013

علم ب ب (الشركة الجديدة)

بعد ذلك يظهر خبر في صحيفة سرعان ما تتلقفه الصحف الأخرى يقول أن أحد الرعايا الروس والذي يعمل في شركة بترولية نجا من محاولة اختطاف أثناء وجوده في صالون للحلاقة في منطقة الحداح وأنه تمكن من قتل المهاجمين! لكن سرعان ما تتحول الجنسية والعدد والصفات إلى عميلين من المخابرات الأمريكية كانا يدافعان عن نفسيهما أثناء محاولة اختطاف وأنهما تمكنا من قتل المهاجمين المنتمين إلى إحدى القبائل على ما يبدو..نحاول أن نعرف أكثر عن الموضوع لأن المعلومة حساسة جداً وفريدة من نوعها، على الأقل فيما يتعلق بطريقة الرد على الهجوم...أكثر من ذلك، إن تأكّد الحادث سيكون له ارتدادات! يقوم شخصان بعد يومين من ذلك بإطلاق رشقات من الرصاص على سيارة تابعة للسفارة الألمانية في مقاطعة حداح... حادث جديد فريد من نوعه، ما هو التالي؟

أنج ومارك وأحمد...

يوم الاثنين هذا والموافق للخامس من أيار أقوم كعادتي بشراء الصحف والكرواسان من مكان ليس بالبعيد عن المنزل..أذهب إليه مشياً مع أني أعرف أن هذه النزهة لقصيرة ستتوقف يوماً ما، فقط أقوم بتأجيل تاريخ الاستحقاق! يأتي بعد ذلك تناول الإفطار مع أنج ومارك، باقي الفريق في المكتب، إنه صباح هادئ ومشمس حيث نأخذ برهة من أجل الدردشة مع أنج... مارك وبقية أعضاء الفريق حاضرون غالباً في أحاديثنا التي تسمح لنا أيضاً بالاستراحة والضحك والمزاح والإستهزاء...إلخ.

في حوالي الظهيرة نتناول شيئاً ما سريعاً قبل أن يغادر أنج في حوالي الساعة الواحدة والنصف من أجل الإنضمام لمارك الذي ينتطره في مقر الوفد مع بقية الفريق. سيذهبان عند حلاقنا في الحداح ومن ثم يعودان إلى المنزل.

إنها الساعة الثانية وتسع وأربعون دقيقة، بينما أقوم بمكالمة هاتفية في مكتبي أسمع صوت رشقة طويلة من الرصاص أُطلقت من أسلحة عدة وفي مكان قريب، قريب جداً، قريب جداً مما يجعل منه حادثاً غير روتيني... تلتها رشقة ثانية طويلة وناتجة عن استخدام أكثر من سلاح...أركض عبر البيت وأصل إلى البهو وأفتح البوابة، أعرف قبل أن أرى أن مأساةً قد وقعت!

أسمع أناساً يصرخون وأرى المقعد الأمامي للسيارة حيث كان أنج ومارك، وقد اشتعلت فيه النيران بعد أن أُمطِرَ بوابل من الرصاص، الباب من جهة السائق مفتوح وعلى الأرض بركة من الدم، مشهد مرعب؛ أقترب من أنج الممدد على ظهره، أُمسك وجهه...لم يعد هنا مع أن شفتيه ترتجفان...ألفظ اسمه وأصرخ "لاااااااا" فيما تبحث عيناي عن مارك،

إنه ممددٌ على البطن أمام أنج!مازال حياً، يتكلم، يكلمني، أصيب بجروح في أمكنة متفرقة... يقف أحمد[1] بجانبي وقد أصيب بجروح في الساقين!

لضم إليّ ناستي الذي كان في الفيلّا المجاورة لأنه سمع أيضاً أصوات إطلاق النار لكنه سيغادر في الحال من أجل البحث عن بنادق كلاشنكوف لأن الشارع تحول إلى ما يشبه "السوق" ويرتاده الآن حشد من الشرطة والعسكريين والجيران وكذلك أناس غير معروفين! أنهض ، أصرخ من أجل إخراج ذلك الشيء الذي يقبض على جوف معدتي، ثم أقوم بمصادرة سيارات من أجل رجالي وأُمدد أنج في إحداها وأتبعه مع مارك في سيارة بيك أب ...الوقت طويل جداً على الطريق مع أن المستشفى العسكري لا يبعد أكثر من ثلاثة كيلو مترات! تم إجراء بعض المكالمات الهاتفية ومع وصولنا تمَّ وضع كلٌّ من أنج ومارك على نقالتين وتقديم الاسعافات الأولية للأخير وعندها سأعلم أنه لا أطباء في المستشفى...

ينضم إلينا ناستي فأعهد إليه مارك وأطلب منه أن ينقله إلى مستشفىً آخر[2]، أستقل سيارة مصفحة تابعة للهيئة الأوربية وأتوجه إلى مقر الوفد حيث يتجمع فيه العاملون المحليون والأجانب، في حالة صدمة، مُدمِّرون! أخبرهم أن سيارة تبعت أنج ومارك وتظاهرت بالمغادرة ثم أعادت الظهور فجأة فيما أصدقاؤنا ركنوا سيارتهم أمام المنزل؛ مرَّت السيارة المذكورة بجانبهم ثم ترجَّل منها ثلاثة أفراد واقتربوا من أصدقائنا وأفرغوا مخازن أسلحتهم قبل أن يغادروا بأقصى سرعة، من سوء حظ أنج ومارك أن سيارتهم لم تكن مصفحة، تمَّ اختراقها بما يقارب التسعين رصاصة[3]،مارك الذي كان جالساً بجانب أنج، قام بدفع الأخير إلى خارج السيارة قبل أن يقذف نفسه خارجها أيضاً، أدت إصابة المحرك إلى اشتعال النيران فيه، أما أحمد فقد صادف وجوده في الشارع عندما وقوع هذا الأمر المرعب فلم يكن لديه من حل سوى الاستلقاء على بطنه من أجل النجاة بنفسه!إذاً هذا هو الأمر، إنه عمل دنيء وغاشم لدرجة الغثيان...

نتبادل أنا والقائم بالأعمال الذي ينوب عن السفير وڤيك، وهو أحد رجالي، المعلومات بشكل سريع قبل أن يخبر القائم بالأعمال بعد اتصاله ببروكسل أنه سيتم إجلاء الطاقم الدبلوماسي...باستثناء المدير الإداري وڤيك وهو شخصياً!

أما بالنسبة لمارك فالأخبار كارثية..يصل إلى المستشفى الألماني السعودي في حالة موت سريري[4]، يخضع لعمل جراحي لكن ذلك لن يكون كافياً لإنقاذه! تكمن فرصته

---

[1]في الخمسين من عمره، عسكري متقاعد وحارس لمساكننا. أعرفه منذ عام 2010 وقد أثبت ولاءه لي مرات عدة. أصيب بشكل طفيف من جراء تطاير الشظايا أثناء إطلاق النار لكن من حسن الحظ استطاع الوقوف على قدميه بسرعة.

[2]يتم نقل أنج إلى مشرحة المستشفى العسكري.

[3]أي ثلاثة مخازن يحتوي كل منها ثلاثين رصاصة. هذه الأخيرة من عيار ومادة نادرتين في اليمن.

[4]المستشفى المذكور هو الأفضل في صنعاء. بالتوازي، تم طلب الجراح الذي أجرى العملية لمارك بشكل مسبق من قبل السفير الفرنسي.

الأخيرة في عمل جراحي ثانٍ في حين أن ناستي لا يفارقه، وأن الفريق ينشط من أجل الإجلاء هذه الليلة بالذات، وأننا أنا والقائم بالأعمال نستمع إلى موظفي وزارة الداخلية اليمنية يقولون كومة من الهراء بهدف تجنُّب مغادرة الدائرة الأوربية للشؤون الخارجية للبلاد! أمنع نفسي عن الكلام ألف مرة، لديّ فقط الرغبة بأن أنفجر وأن أقول لهم ما يجول في خاطري لكن عاهدت القائم بالأعمال بأن أتمالك نفسي مهما سمعت...

يمر المساء بسرعة البرق فيما الكل مشغول لكن لا أحد لديه الرغبة بالمغادرة! عدتُ إلى الفيلّا حيث يتواجد الفريق، يقوم بعرض خدماته ويطلب المعرفة أكثر حيث لم يفهم ماذا حصل في الحقيقة!أرى ألسنة نار في عيون البعض ووجوهاً جامدةً تعلوها تكشيرات مليئة بالكراهية !أفهمهم وأرغب بتقاسم كل ذلك علانيةً معهم لكني أمنع نفسي على الأقل حالياً..يتصل ناستي ويخبرني أن مارك قد نجا... سيتم إيقاظه في صبيحة بعد يوم غد فيما تتولى مجموعتنا حماية المستشفى[1]! يُشرف عليها أحد المحليين[2] المخلصين جداً لي ولذا أعرف أنه ليس بإمكان أي شخص أن يعبر هذا المساء أو في أي وقت...

الساعة تشير إلى منتصف الليل، نحن جميعاً في مقر الوفد جاهزون للمغادرة! قمنا بتوديع بعضنا البعض نحن وأعضاء الوفد، هؤلاء يبكون ويعانون. بعد ذلك تمَّ إعطاء آخر التوجيهات الأمنية قبل أن يشق رتلنا المحمي جيداً طريقه نحو المطار!

لن أنام هذه الليلة ولا في الليالي المقبلة. الشيء نفسه بالنسبة للفريق الذي نتبادل النظرات معه والذي يفهمنا ونفهمه لكن بصمت! تبحث عيوننا عن بعضها البعض، تريد أن تستسلم للبكاء لكنها ما زالت تقاوم في هذه اللحظة...تقبل الدائرة الأوربية للشؤون الخارجية وبالرغم من منصبي الحالي أن أتولى مؤقتاً قيادة الفريق الذي نعمل أنا وجون على إعادة تشكيله...يقوم الرجال بالإشراف على الأمن اليومي لمارك وللدبلوماسيين الثلاثة المتحصنين في مقر الوفد نهاراً والذين يقتسمون المنزل نفسه فيما تبقى من الوقت، أقوم أنا وجون في هذه الأثناء بالتحضير لإجلاء مارك عبر ما يسمى "الإجلاء الصحي جوًّا" حيث سيترك اليمن في الحادي والعشرين من أيار، وبالتنسيق مع السفارة الفرنسية[3] من أجل إعادة أنج حيث سنستعيد[4] جثمانه في الثالث عشر من أيار. يتم إجلائه إلى السفارة الفرنسية حيث سيبقى

[1] علاوة على أعضاء الفريق المحليين والأجانب، لديّ ستين شخصاً من رجال القبائل الذين يتناوبون طوال اليوم من أجل حماية المستشفى من الداخل والخارج.أشكرهم دائماً وأبداً من أجل تصرفهم النبيل.

[2] عبد رجل قبيلة، ينحدر من إقليم شبوة ويعمل بموجب عقد الدائرة الأوربية منذ سنتين. ذكي جداً وقادر وشجاع، إنه دائماً موجود عند الحاجة!شكراً لك

[3] أتوجه بجزيل الشكر لاثنين من الأصدقاء العاملين في السفارة والذين كانا خير عون لي سواءً فيما يخص الإجراءات أو فيما يتعلق بهذه المرحلة.

[4] أشكر أيضاً الأخوين المنحدرين من إقليم مأرب والذين كانا رائعين خلال الأيام الأخيرة.

لساعات[1] قبل نقله إلى المطار ومن ثم على متن طائرة[2]في الساعة الثالثة صباحاً إلى معهد الطب الشرعي في باريس[3] قبل أن يُوارى الثرى في جنوب غرب فرنسا!

يصل ثلاثة أجانب في نهاية الشهر للحلول محل أنج ومارك و"الأنكل" فيستر الذي يتركنا نتيجة الضغوط التي مارستها عليه عائلته بعد المأساة التي وقعت مؤخراً. لكن قبل ذلك عليّ القيام بشيء ما أو بالأحرى تسوية شيء ما! قدمت الدولة اليمنية في السابع من أيار دليلاً على حماستها بقتلها رئيساً لعصابة ارتكبت العديد من الجرائم آخرها مأساتنا... إنه ضمن هؤلاء الذين تحدثت عنهم سابقاً أي أنه مجرم حاول يوماً عقدَ ميثاق مع الوحش! انتهت اللعبة بالنسبة له وللبعض ممن يشبهونه لكن هذا لا يكفي...أُخبر ناستي و "كزد" و"الأنكل" فيستر أنني سأذهب لرؤية حلاقنا في الغد، يفهمون قصدي في الحال ويطلبون القدوم معي؛ أُبقي على "كزد"معي لأنه عازب وأُطلع بعض المعارف المحليين على تفاصيل خطة أكثر من بسيطة! الانتقام لأنج ومارك وأحمد بالقرب من صالون الحلاقة الذي أعتبره المكان المثالي من أجل "لعبة القطة والفأر"...

نصل إلى ذلك الجزء من الشارع في الثالثة بعد الظهر حيث يتركز فيه عدد من صالونات الحلاقة في المنطقة؛ إنه وقت غير الذروة أي أن بعض الحلاقين ومنهم حلاقونا يتحدثون ويشربون الشاي أمام صالوناتهم فيما بعض الرجال الموثوقين منتشرون كمراقبين، نخرج من سيارتنا ونحن نتابع المراقبة! حلاقنا كما الحلاقين الآخرين ألوانهم شاحبة، لا يصدقون ما تراه أعينهم أي أننا هنا وبهذه الطريقة...ندخل وبينما يجلس "كزد" على الأريكة آخذ مكاناً قرب الواجهة الزجاجية، أرى رجالي في أماكنهم وأوسع مجال رؤيتي وأنا أقول بصمت لهؤلاء الذين جئنا من أجلهم: "نحن هنا وقد أتينا لنراكم فاخرجوا من جحوركم"... في الوقت ذاته أراقب حلاقنا الذي أعرفه منذ عام 2009، يتعرَّق ويداه ترتجفان، إنه خائف...

أجلس مكان "كزد" على الأريكة! ويأخذ مكاني، سلاحي في يدي، أخفيه تحت سترتي وكما فعلت أنا يقوم بالمراقبة وهو يصلي داخلياً! ننظر إلى بعضنا، نفهم بعضنا، يتملَّكنا الخوف أيضاً لكننا فقدنا صديقاً إلى الأبد، الأمر الذي لا نقدر على تجاوزه. يدخل أحدٌ ما...شاب، يتبادل بعض الكلمات مع الحلاق ويخرج! يدخل شخصٌ آخر بعد قليل! يُحدِّق في وجه "كزد" ثم يقترب من مكان جلوسي ويبدأ حديثه مع الحلاق...أستدير بشكل نصف دائري لكي أصبح في مواجهته؛ أستمع لما يقول، أنظر إليه وأراقبه...هذا ليس زبوناً أو على الأقل لا يشبه هؤلاء الذين أعرفهم منذ بدأت المجيء إلى صالون الحلاقة هذا...يشعر بوجودنا كما نشعر بوجوده ويُظهر ذلك لنا كما نفعل نحن! يتوقف عن الكلام، لا يغادر، ينظر باتجاهي باستمرار، يُحدِّق بي وأنا كذلك... أبحث في نظراته وفي عيونه... هل هو من دعيته للقدوم

---

[1] أشكر دائماً وأبداً المسؤولين عن حماية السفارة والذين كرَّموا أنج بوضع العلم الفرنسي على نعشه.
[2] أشكر دائماً وأبداً سلطات المطار التي سمحت لي بمرافقة أنج والمساعدة بوضعه في الطائرة.
[3] قامت الدولة الفرنسية بفتح تحقيق رسمي حول الهجوم.

في "أمنياتي؟ أشتاق لصديقي الذي لن أراه أبداً ! الكثير من الناس لم يفهموا ما حصل لكن أنا بلى، لأنه علاوةً على الفهم أعرف جيداً أنها قضية قدرة كامنة...نقطة انتهى!

يخرج من المحل ببطء وعندما يصبح في الخارج يستدير وينظر إلينا من جديد قبل أن يختفي! نغادر أنا و"كزد" المكان دون المرور تحت يديّ الحلاق لكن الأمر بدون أهمية بالنسبة له ولنا أيضاً.. أتحدث إلى الفريق على الأرض ونحن داخل السيارة في طريق العودة إلى محل سكننا وبعد ذلك لن نعيد مناقشة الأمر مرة أخرى! في المساء أطلب "العفو" من هذه الكون التي يحكمنا؛ أشكره لأنه لم يستجب لمطالبي الدموية، ليس بدافع الخوف لكن ببساطة لأني لست قاضياً ولا قاتلاً ! أجمع الفريق في اليوم التالي وأحدثه عن كل ذلك بكل صدق وأضيف أني أُعيد المحاولة مرة ثانية والأمر ذاته بالنسبة لهم...

أما بالنسبة لمعرفة ما حصل حقيقةً فالنقل أنه وُجِد رعايا أميركيون من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ومن وكالة أخرى سرية أيضاً وأنهم كانوا بالفعل في صالون الحلاقة في الحداح؛ فالنقل أنه قُتِل محليان وأن واحداً منهما ارتبط بصلات عائلية قريبة أو بعيدة مع رئيس عصابة مافيا تحالف مع الوحش؛ فالنقل أن الدم المسفوح طلب الانتقام له؛ فالنقل إطلاق النار العَرَضي على سفارة تابعة للسفارة الألمانية كان مقدمةً لما كان مخططاً له؛ فالنقل أن سيارتنا كانت معروفةً في العاصمة؛ فالنقل أنه عشية الأحداث جاءت العصابة لاستكشاف مقر سكننا؛ فالنقل وكالة استخبارات دولية كبيرة كانت على علم بتحركاتهم وأنها تركتهم يفعلون لأنها أرادت الوصول إلى عمق هذه الجماعة المافيوزية والإرهابية؛ فالنقل أن هذا حصل لنا كما كان يمكن أن يحصل لآخرين في منظمة أخرى؛ فالنقل أنه عشية الوقائع كنت أقود سيارتي وكان معي أنج؛ فالنقل أخيراً أن مأساتنا كانت الأخيرة من هذا النوع لأنه تم تسديد "دَين الدم"...

جميعاً بعد الخامس من أيار 2014

أنا بأمسّ الحاجة لعطلة!

يصل إلى علمي خبر مغادرة كلٍّ من "أ" نكل فيستر" و "كزد"؛ قرَّر الأخير استئناف حماية زبونه القديم في أوربة وأنا أحترم قراره مع أنه يزعجني إلى حدٍّ كبير! اخترنا مع جون ستة أشخاص جدد بينهم الهنغاري كرنغو، الإنكليزي ليو، الفرنسيان ماركو ولوغرا[1] أي "الكبير"، الفرنسي من أصل لبناني وودي واللتواني 12.7! أعرف وودي وماركو قليلاً حيث كان الأخير صاحباً لأنج أما بالنسبة لباقي الفريق سنرى لاحقاً! خِبرتُهم المهنية غنية ولامعة بالطبع إلا أنه بنظري لا غنى عن التعاضد والإنسانية لأنهما معياريان هامان لا أحيد عنهما، لم أفعل ذلك يوماً ولن أفعل أبداً... بالرغم من ثقتنا الكبيرة بأنفسنا وبالرغم من أذرعنا القوية إلا أن قلوبنا كبيرة وقد تعذبتْ كثيراً، وعلى الفريق الجديد أن يأخذ ذلك في الحسبان وأن يحترمه؛ كالعادة ابتساماتنا وقلوبنا تجذب إلينا أشخاصاً مثلنا والفريق الجديد رائع!

أعود إلى فرنسا ومعي آخر ما تبقى من الأغراض الشخصية لأنج حيث سأعطيها لعائلته الصغيرة التي تنتظرني! لحظات قصيرة محفورة في ذاكرتي وقلبي إلى الأبد[2]...أستقل القطار إلى باريس حيث من المقرر أن يتم سماع شهادتي من قبل *الإدارة المركزية للأمن الداخلي* D.C.R.I[3] وكذلك أن أقابل رئيسي في العمل... لدينا الكثير لنقوله لبعضنا البعض حول ما حدث وحول انعكاساته أيضاً لأنه علاوةً على التعاطف والدعم، يوجد أيضاً ألاعيب واستراتيجيات[4] من أجل تشويه سمعة الشركة الأم والشركة الناشئة! العقد الذي مددناه مؤقتاً في كانون أول الماضي مع الدائرة الأوربية للشؤون الخارجية، يستمر حتى الخريف المقبل، نحن الآن في فترة طلب عروض للمناقصة تَهُم الشركات المنافسة الأخرى بالتأكيد، والتي بإمكاننا أن نقول أنها قد لا تتمتع بالنزاهة! يوجد أيضاً عملية الإشتراء التي قامت بها منظمة عالمية منذ أشهر عدة، وفيما يخص ذلك يمكن القول أننا في موقع جيد يؤهلنا للفوز بها؛ في نهاية الأمر تترك لي شركتي حرية التقرير مرة أخرى وهنا أُعلم المنظمة العالمية بانسحابي من عمليتهم بهدف التفرغ للدائرة الأوربية للشؤون الخارجية. بالفعل، الفوز بالعقد مع المنظمة العالمية سيتم في الوقت نفسه الذي قد نرتبط به بعقد مع الزبون الأوربي مما سيجعل من المستحيل بالنسبة لي تنفيذ عقدين في آن واحد نظراً للمأساة التي تعرضنا لها ونظراً للتغيير في فريقي...إلخ

من أهدافي بعد عودتي أن أتعلم معرفة الفريق الجديد المتعدد الجنسيات، بالطبع الصفة الأخيرة ليست عائقاً..بالتأكيد يتضمن أناساً ذوي شخصيات قوية، فيه مواهب وقليل

---

[1] Le Grand

[2] لا يمكن وصف محنة هذه العائلة، أتمنى لها مرة جديدة القوة والرخاء والسعادة.

[3] ناتجة عن التقارب بين إدارات المخابرات العامة ومراقبة الإقليم. تَمَّ تشكيلها في الأول من تموز عام 2008، مهمتها مكافحة الأنشطة التي قد تُخل بالمصالح الأساسية للأمة. مكلفة بالتحقيق وسيتم سماع شهادتي بصفتي مدير للشركة، اشكرهم جميعاً لإنسانيتهم ولمهنيتهم.

[4] كل ما حصل مردُّه للنقص في الشركة وفي العناصر.

من "أنا أفضل منك" لكن بشكل معقول وكل ذلك يمثل قوى علينا استثمارها وكشفها لبروكسل وللسفيرة وللعاملين المقربين منها.

بالتوازي مع ذلك تقوم الحكومة بإرسال رسائل عدة للمجتمع الدولي بهدف طمأنته حول الوضع الأمني في صنعاء لكن جهودها لن تثمر! ربما تمت تصفية 500 عنصر من عناصر الوحش وجرح أكثر بكثير من هذا العدد في العملية الواسعة الجارية في الجنوب لكن هذا لا يحل كل المشكلة...

نحو ثورة جديدة...

في هذا البلد حيث لم تعد المنتجات البترولية متوفرة أو أن نصيب العائلة لا يتجاوز العشرين لتراً، من الصعب على اليمنيين قبول ذلك خاصة وأنهم يعرفون أن بلدهم منتج للذهب الأسود...

يعيش السكان يومياً في الظلمة نظراً لأعطال الخطوط الكهربائية والمحطة المولدة[1] التي تتعرض لهجمات القبائل المعارضة للدولة ولاعتداءات المجرمين الذين لا يمكن لشيء أن يوقفهم، مرتين في الأسبوع على الأقل...

وسلطة مُشبعَة بألاعيب الزعزعة المستمرة التي يقف وراءها صالح، تواجهه من خلال إغلاق محطة تلفزة وصحيفة تابعتين له بالقوة ومن ثم محاصرة مسجده[2] في صباح يوم ما لأنه خبَّأ في طابقه الأرضي ما يمكن أن يقود انقلاباً...

ووحش قميء عانى من عملية *Golden Swords* ومن الارتفاع الملحوظ لضربات الطائرات بدون طيار، لكنه ما زالت لديه القدرة على إعادة تأهيل نفسه! يضرب ضربات موجعة وفي كل أقاليم الجنوب هذه المرة وبدون تمييز، جنود منعزلون، قوات متحركة، حاميات عسكرية وأصحاب مراتب عليا في الجيش والشرطة...

السياسيون الجنوبيون ومجموعاتهم الذين يتفقون بشكل كامل على إشاعة الفوضى في "مملكة اللاعودة" بالرغم من المنافسة فيما بينهم...

ولقوات الحوثية ايضاً التي هي الآن على أبواب صنعاء بعد أن سيطرت على صعده وذمار وعمران[1]! إنها كالجرافة[2] حيث سحقت السلفيين بسهولة مطلقة وفي طريقها

---

[1] تُغذي الخطوط الكهربائية في مأرب قسماً كبيراً من البلاد بما فيه صنعاء. أما المولد الواقع في الإقليم أيضاً فيعمل بشكل غير منتظم بسبب الهجمات وأعمال الصيانة التي لم تَعد تُنفذ لأنها عالية الكلفة. على سبيل المثال، تَم إحصاء عشر هجمات مباشرة وأعمال تخريب للبنى التحتية الكهربائية في خلال عشرة أيام من شهر أيار.

[2] كلف بناء المسجد 60 مليون دولار ويحمل اسم صالح الذي دشنه في عام 2008. مع ذلك إنه ليس ملكاً له أبداً مع أنه يضم متحفاً مخصصاً له.

تحالف قبائل حاشد ووحدات من الجيش وحتى الطيران الذي قصف مواقعها لأيام عدة... لقد قطعت مع أسلوب حرب العصابات، تتكون من رجال تعلموا القتال في ظل سيناريوهات شبيهة بتلك في رواية "دافيد وجالوت"[3] حيث يُمثل الحوثيون "الصغير" في مواجهة "العمالقة"؛ هؤلاء الرجال أنفسهم مقتنعون بعدالة قتالهم ويرون فيه انتقاماً للماضي أيضاً. في الحقيقة يُحبون زعيمهم عبد الملك الحوثي حبَّاً لا حدود له وهو الأخير يقودهم نحو النصر...

والحوثي[4]السياسي الذي حقق رصيداً شعبياً بعد قرار[5] اتخذه الرئيس هادي وتم الإعلان عنه خلال أعياد نهاية رمضان[6]. بفضل مكانته في قلوب سكان يعانون دائماً، يستطيع أن يُحفزهم ويدفعهم للتظاهر! أصبح حلم صالح من الماضي، حلم هادي إن وُجِدَ يوماً فقد تبخر،أما الحلم الثوري في عام 2011 فلم يكن إلا مهزلة، وحده الحلم الحوثي موجود لكن بعض الأوساط الميسورة بل الغنية لا تجرؤ على البوح به علناً، نعرف أن الحركة تستميلهم، حيث لا شيء يستطيع إيقافها أو احتوائها.

في ظل هذه الفوضى يقوم الفريق بإجلاء آخرالعاملين في الدائرة الأوربية للشؤون الخارجية. السفيرة هي الباقية الوحيدة "على الجسر" حيث ليس لها أو لن يكون لها الخيار إلا القيام برحلات من وقت لآخر!

وأنا سأقابل الرئيس السابق صالح.أُجري اتصالات منذ أشهر وأقابل بعضاً من كبار المقربين منه أحدهم شيخ[7] صاحب نفوذ من إقليم مأرب مُعجب بفكرتي حول مؤسسة خيرية[8]، حتى هذا الصباح حيث تردني مكالمة باكراً تخبرني بأن أجهز نفسي مع المسؤول

---

[1] إقليم يمني تحمل عاصمته الاسم نفسه يقع على مسافة ثلاثين كيلو متراً من صنعاء ويُعتبر منطقة استراتيجية تحمي العاصمة.تُعتبر سيطرة الحوثيين عليه خسارة ضخمة لآل الأحمر لأنه شكل معقلاً لهم منذ أمدٍ طويل.

[2] يُقدر عددها بمئة ألف مقاتل حتى ولو أن تجهيزهم مازال متواضعاً.

[3] قصة النبي داؤود وجالوت التي وردت في التوراة والقرآن وتم تجسيدها في فيلم سينمائي في سنوات الستينيات (إضافة من المترجم)

[4] يُعرف الحوثيون باسم أنصار الله أيضاً (مدافع أو مؤيد لله). يحمل جناحه السياسي هذا الاسم كذلك.

[5] يهدف إجراء تحرير أسعار الوقود (الذي يُكلف ما بين 3 إلى 5 مليارات دولار إذ يمثل خُمس إنفاق الدولة) لتحقيق وفورات ملموسة لكنه يُعتبر مريعاً أو كارثياً بالنسبة لثلث السكان الذين يعيشون على أقل من دولارين في اليوم. ترتفع أسعار المواد المذكورة بنسبة 75 إلى 100 بالمئة مما سيؤدي بالتأكيد إلى ارتفاع أسعار "كل ما تبقَّى". تم اتخاذ قرار حكومي بمعاقبة كل تجاوز مرتبط بهذا الإجراء لكن ذلك يبقى دون أثر في بلد في حالة "خروج عن القانون" منذ زمن طويل فيما يتعلق بعلاقته بالسلطة المركزية.

[6] علاوةً على الاحتفالات الدينية في عيد الفطر يقوم المؤمنون بزيارة عائلاتهم وأصدقائهم لتقديم الأماني لهم.

[7] لقب شيخ (عجوز، سابق، دكتور، معلم، مدير، مرشد للحياة الروحية) حمله زعماء القبائل العربية قبل الإسلام.صفة تدل على الاحترام روحياً وزمنياً أعطاها العرب قيمة ثمينة. يُطلق أيضاً على زعيم القبيلة البدوية في شبه الجزيرة العربية.

[8] مأرب من الأقاليم الغنية في البلاد باحتياطي ضخم من البترول لكن في الوجه الآخر يُعتبر سكانه من الأكثر فقراً على صعيد البلاد كذلك. من المشاريع التي أبحث فيها واحد في مجال البترول وآخر حول مؤسسة خيرية، بتعبير آخر عمل عادل.

المحلي في فريقي من أجل مقابلة صالح؛ بعد طول انتظار وبعد إجراءات تفتيش دقيقة، نجد أنفسنا وجهاً لوجه معه بصحبة عشرات الصحفيين مما لا يتناسب مع ما خططت له إذ أني طلبت لقاءه في جوٍ من التكتم[1]إمع وجود أناس آخرين أُجدد طلبي مباشرة إلى الزعيم من خلال الشخص برفقتي هذه المرة، وعندها يقوم صالح بإشارةٍ من إصبعه كافيةٍ لاختفاء الحاضرين جميعهم. بعد أن قدمت هديتي[2] له والتي حرصت جداً على تقديمها، نجلس ونتحدث لأكثر من أربعين دقيقة، الشيء الذي لم يكن في برنامج الزيارة بل خارج نطاق البروتوكول بالكامل. يستفسر عن بعض الأشياء وهو يستمع إلينا قبل أن يأتي على المأساة التي أودت بأنج مما سيُحرج باسكال وأحمد؛ لأن الحديث يأتي من قِبل رئيس وحتى ولو أنه غيررسمي لكنه من شخص ما زال نافذاً، يعتذر باسم اليمن وأهله ويخبرنا أنه وضع بعض العسكريين في موقع قريب من قطاعنا في حالة استنفار دائم – يظل ساري المفعول حتى مغادرتي لليمن بشكل نهائي - من أجل السهر على حمايتنا...

أما أسبابي للقيام بالزيارة المذكورة فهي متعددة؛ استراتيجية لأني لم أنجح في امتلاك أصدقاء فقط في هذا البلد؛ تجارية لأنه لا يحدث شيء فيه دون إعلامه على النحو الواجب؛ شخصية لأني أريد رؤيته شخصياً من أجل أن أتمكن من تكوين رأيٍ وصورةٍ وإحساسٍ كاملةٍ عنه؛ نعم إنه ماكر وشقي...لم يقبل وجوب مغادرة السلطة في مثل هذه الظروف... يحب بلده "على طريقته" وكان حلمه بالتأكيد أن يقضي نهاية أيامه وهو ما يزال على رأس "مملكته"..لكن بصدق ليس الشقي الوحيد في البلاد، فحتى وإن كان رئيساً إلا أنه لم يسيطر بشكل كامل على اللعبة؛ علينا ألَا ننسى أصوله وأننا في اليمن وأن عدد من المتدخلين يؤثرون بشكل عميق على البلاد منذ نهاية عام 2011، هؤلاء ليسوا إلا كبار العالم، وألَا ننسى الهجوم الذي استهدفه مع المقربين منه، لم يكن هجوماً ضد شخص مجهول في بلد مجهول ولأسبابٍ مجهولةٍ ! لا...أتحدث هنا عن هجوم في اليمن حيث لا نستخف بقضية الشرف، هجوم استهدف رئيساً على رأس مهامه لكنه استهدف إنساناً قبل كل شيء، عسكري بالتأكيد وزعيم عشيرة!

[1]أصبح صالح "غير قابل للمعاشرة" بنظر الدبلوماسية الدولية لكنها تتابع معاشرته على أي حالٍ أَخذاً في الاعتبار جنسيتي ووضعي وعقدي مع الدائرة الأوربية لا أرغب بأن يتم استثمار هذا اللقاء أو الاستفادة منه لأغراض سياسية. سيحترم الرئيس السابق التزامه حيث أن لقاءنا سيبقى سرياً.

[2]عبارة عن زجاج نُقِشت عليه كلماته التي قالها بعد استعادته لوعيه أي في الثالث من حزيران عام 2011 حيث طلب من ابنه أحمد إيقاف القصف الذي أحرق المدينة في ذلك اليوم.

شيخ من مأرب

مع الرئيس السابق علي عبدالله صالح

غبت من جديد وتشبعت من بحر الشمال الذي غنَّاه بشكل رائع أحد سكان مدينة ليل[1] وبعدها أعود لأن عشرة آلاف شخص يطوفون العاصمة؛ يطالبون بإعادة الدعم على المواد البترولية وباستقالة الوزارة..يضم التجمع الذي نظمه الحوثيون أتباعاً ومؤيدين لهم ومجهولين كذلك سلميين لكنهم مصممين إلى درجة كبيرة! ثم يعطي القائد عبد الملك الحوثي إنذاراً نهائياً لهادي خلال خطاب متلفز مطالباً إيَّاه بحَل حكومته... يتجاهل هادي هذا المطلب ويستنفر الجيش كما ويقوم بنقل جزء من القوات الجوية المتمركزة أساساً في صنعاء إلى أقاليم أخرى من البلاد؛ يطلب دعم كبار العالم أيضاً لأنه يعتبر أن إيران تُموِّل وتُقدِّم المشورة وتُدبِّر الخطط من أجل ثورة للإخلال بالتوازن ليس فقط في اليمن وإنما في عموم شبه الجزيرة العربية...كَرَدٍّ على ذلك يقوم خمسة آلاف حوثي بترك مسقط رأسهم وإقامة ثلاثة مخيمات في صنعاء[2]...هادي الذي لا يستطيع بل الذي لا يريد فقدان ماء الوجه، ينشر الجيش من جديد في شوارع العاصمة ويتابع تهديداته في الوقت نفسه...ينظم مظاهرات مضادة تماماً كما فعل صالح في العام 2011 بهدف زعزعة الحوثيين بل ودفعهم إلى التراجع لكن يلزم فعل أكثر من ذلك بكثير من أجل إخراجهم لأنهم يعرفون تماماً كيفية التصرف حالياً.

تستمر المظاهرات وتتوسع إلى أقاليم أخرى دون حوادث حتى السابع من سبتمبر عندما سيسقط متظاهر حوثي؛ يليه سقوط متظاهرين آخرين، إنها بداية الفوضى مع حصار كافة المؤسسات، العاصمة مخنوقة وفي الثامن عشر من أيلول تندلع الحرب! استخدام للطيران والمدفعية الثقيلة والدبابات من جديد..يستمر لست وتسعين ساعة موقعاً ثلاثمئة وأربعين قتيلاً وأربعمئة وإحدى وستين جريحاً؛ في النهاية تم توقيع اتفاق سلام بين الحوثيين (الفائزين) والرئيس (الخاسر الأكبر).

مقابل وقف إطلاق النار، استقالة الحكومة، تعيين مستشارين اثنين للرئيس – أحدهما حوثي والآخر جنوبي -، إعادة تقديم مساعدات الدولة وحكومة تكنوقراط[3] في غضون ثلاثين يوماً، يقوم الحوثيون بتفكيك مخيماتهم، سحب قواتهم وإعادة كل ما استولوا عليه بشكل لا مبرر أي الأسلحة الثقيلة والوزارات والتلفزيون! يقولون أنهم موافقون على كل شيء ولكن!يوماً بعد يوم تقوم الحركة الحوثية بالسيطرة على أسلحة جديدة؛ يوماً بعد يوم تضم إليها أبنية رسمية جديدة! يوماً بعد يوم توسع نطاق سيطرتها على شوارع العاصمة؛ يوماً بعد يوم تصبح الحركة سيدة الموقف على الرغم من نفيها لذلك وعلى الرغم من قولها أنها انسحبت وعلى الرغم...

---

[1] المغني الفرنسي المشهور جاك بريل (إضافة من المترجم).

[2] استقروا في شمال وغرب وجنوب صنعاء. سيُقام معسكر جديد في مقاطعة الحصبه ثم أخرى مما سيمثل استهزاءً بآل الأحمر لأنها معقلهم.

[3] حكومة خبراء

لكن في هذه الأثناء هناك "واحدٌ" تملكه الخوف فقام بالهرب من العاصمة والبلاد...الجنرال علي محسن صالح الأحمر، القريب البعيد لصالح، وُلدَ في إقليم صنعاء في عام 1945 عسكري يصل إلى أعلى المناصب ويصبح في فترة ما مقرباً جداً من صالح قبل أن تسوء العلاقات بينهما وأن يحاول صالح اغتياله على ما يبدو، ثم قدوم العام 2011 وحصول صدع نهائي بين الرجلين، ينضم محسن إلى الحركة الإحتجاجية قبل ان يصبح مستشاراً لهادي للشؤون العسكرية والأمنية، قائدٌ ايضاً في مجال الأعمال حيث يجمع ثروة من خلال أعمال تهريب متنوعة منها الأسلحة والبنزين في وقت ازدهرت فيه السوق السوداء في صنعاء – أي خلال أحداث 2011 وما بعدها – وفي بقية البلاد.معروفٌ أيضاً بميله السلفي وقد يكون ساعد الفرع الوهابي السعودي[1] على إيجاد مكان له في اليمن الشمالي الزيدي تاريخياً ، حيث أسس مع آخرين حزب الإصلاح... خلال أربعة أيام من الحرب سيخرج عن طاعة هادي الذي يأمره بألّا يقوم بأيّة محاولة، لكن بعد عودته إلى المقر العام[2] سيحاول قتال الحوثيين ودفعهم إلى التراجع لكن عبث...

تصاحب هرب الجنرال المذكور مع هرب يوازيه في الأهمية والضجة، ذي دلالة وقد أثار التصفيق... يترك آل الأحمر "السفينة" لأنهم يعرفون أن أمر مطاردتهم لن يتأخر وأنه سوف يمسهم كما مسَّ محسن وأعمال التهريب البغيضة التي قام بها. فيما يستشعر حزب الإصلاح وملحقاته الراديكالية وكذلك الزنداني[3] وجامعاته بوجود الوحش من بعيد، كيف لا وقد استُخدمَت الأخيرة من أجل إعداد الإرهابيين ...

من ناحية أخرى يعود الوحش الذي اتخذ من جنوب البلاد مستقراً له، بدقة أكثر يعاود نشاطه في العاصمة بضربه للحوثيين ثلاث مرات[4] في فترة يومين... أما بخصوص

[1]الوهابية حركة سياسية دينية سعودية انبثقت من الإسلام السني الحنبلي. توصف بأنها غارقة في محافظتها، متزمتة وأصولية تسعى لإحياء العقيدة التوحيدية النقية كما يقول داعموها فيما يقول معارضوها أنها حركة سُنّية متطرفة. أسسها عالم الدين والخطيب محمد بن عبد الوهاب في القرن الثامن عشر؛ يوصي بتطهير الممارسات الدينية الشعبية كعبادة القديسين وزيارة القبور حيث يعتبرها من عبادة الأصنام والنجاسة كذلك تجديداً للدين. تُتهم الحركة بأنها مصدر للإرهاب العالمي وبأنها ألهمت إيديولوجيا تنظيم الدولة الإسلامية وبأنها تقود أيضاً إلى زرع الانقسام بين الطوائف المسلمة لأنها تضرب هؤلاء الذين يختلفون معها في تعريفهم للتوحيد. يتم استخدام الوهابية والسلفية كمصطلحين مترادفين لأنهما اندمجتا في سنوات الستينيات من القرن الماضي على الرغم من الاختلافات بينهما.

[2]المقر العام للمنطقة العسكرية السادسة، كان اسمه "الفرقة الأولى مدرعة" حتى العام 2012 وقد قادها ودفعها إلى التمرد ضد صالح في العام 2011.

[3]شارك عبد المجيد الزنداني مع آخرين في تشكيل حزب الإصلاح كما أسس جامعة الإمام في صنعاء. الزنداني من رموز الراديكالية السُنيَّة المعروفين في اليمن.

[4]تنتمي الحركة الحوثية إلى الشيعة الزيدية وهي العدو اللدود لتنظيم القاعدة في شبه الجزيرة المنتمي إلى السُنيَّة الوهابية.

هؤلاء الذين قد يتساءلون لماذا أسميته "الوحش القميء"، يوجد في الحقيقة سبب لذلك[1] لكنه لا يعود لأي كراهية أو ما شابه، وهو الذي وُلِدَ وترعرع على هذا الشعور...

يُضاف إلى هذا السيناريو (الشبيه بفلم يتحدث عن كارثة) ما يقوم به هذا الجنوب؛ حيث وبعد أن راقب لعبة "أنا أقوى منك" التي تستخدمها الدولة وكذلك لعبة "لست خائف" من الحوثيين، يقوم بإدانتهم في نهاية الأمر وإغلاق حدوده وإعلان الاستقلال ...لكنها مجرد إعلانات رسمية لن تُترجم إلى حقائق...

قمنا بالإختباء لبضعة أيام لكننا لم نتوقف عن متابعة الأوضاع عن كثب وقد أدركنا أن شيئاً ما قد تغير في اليمن هذه المرة..تغير كثيراً وبسرعة كبيرة لكن قد لا ينتهي بسرعة...

من سمح بذلك...

نعم من سمح بذلك..لأن أحداً ما أو مجموعة من الأشخاص سمح/سمحوا بأن يصل الوضع إلى ما وصل إليه! للحركة الحوثية معتقدها وجرأتها وإرادتها بالإضافة لهالتها التي تُخيف أو على الأقل تثير الخشية؛ رجالها المنحدرون من الجبل، خطرون اكتسبوا خبرةً كبيرةً خلال الحروب الست التي خاضوها ضد جيش صالح. لقد تمكنوا بالتأكيد من الاستفادة من نصائح الخبراء العسكريين اليمنيين لكن أيضاً من كيان/كيانات أو بلدان تدعم قتالهم؛ كما استفادوا بالتأكيد في زمن ما من معدات وأسلحة أكبر حجماً تُضاف إلى ما غنموه سابقاً من الجيش اليمني خلال المعارك بين الطرفين، لكن قبل كل هذه الاضطرابات، الجيش الحوثي الكبير العدد بالطبع، لم يكن مُكوَّناً من البالغين المخضرمين[2] حصراً! هذه القوات التي تركت إقليمها الأصلي بالأساس تتقدم باتجاه كل إقليم وتسيطر عليه في طريقها، تحارب وتنتصر ومن ثم تتابع سيرها حتى تصل لعمران حيث الكل يعرف إنه أن سقطت لن يتوقف الأمر هنا! فصنعاء ليست أو لن تكون إلا المرحلة اللاحقة لأن حرمانها من درباسها الإستراتيجي يجعلها في وضع هشّ!

[1] لا علاقة له بتعريف هاتين الكلمتين، أسميته كذلك في تقاريري اليومية والأسبوعية والشهرية في اليمن لأنه بنظري لا ينتمي إلى عالمنا الإنساني المليء بالإنسانية.

[2] تضم الميليشات الحوثية العديد من الأطفال في صفوفها كما الجيش النظامي اليمني (يُشير تقرير لليونسيف نُشر في عام 2012 إلى أن الأخير يضم 40000 جندياً أعمارهم تحت سن الثامنة عشرة)، كما الميليشيات التابعة للعائلات الكبيرة وللشخصيات النافذة في البلاد. لقد وقّع اليمن بالفعل على العديد من الاتفاقات الدولية الهادفة إلى وضع حد لاستخدام الأطفال في الجيش لكن ذلك لم يُطبق أو يُحترم (من الصعب محاربة هذه الظاهرة المتجذرة في البلاد لأن حمل السلاح يشكل رمزاً للنضوج وللذكورة في الثقافة المحلية.

اتهم هادي معارضيه[1]بأنهم سلّموا صنعاء للحوثيين! أنا أتساءل ببساطة من ترك الحوثيين يصلون لعمران ويستولون عليها؟ بالنسبة لصنعاء، وحده/وحدهم من راهن/راهنوا على كرت الحوثيين يمكنه/يمكنهم الإجابة...فالنرى الأحداث اللاحقة!

هناك خبرٌ جيدٌ أخيراً...

نفوز بالعقد مع الدائرة الأوربية للشؤون الخارجية لفترة أربعة أعوام قادمة! هذه هي مكافأة العمل الضخم الذي قام به كل الفريق منذ بداية العام؛ إنه نصر على العُسر بمقدار ما هو إصلاح نظراً للعمل التقويضي الثقيل من طرف المنافسين بعد كارثة الخامس من أيار عام 2014؛ أخيراً إنه تكريم رائع لكل من أنج وباسكال وأحمد! تمَّ إنقاص العقد في صيغته وفي الوسائل المتاحة مما يضطرني لتسريح البعض ولإعادة هيكلة الفريق لكني توقعت حصول ذلك؛ فالوضع في البلاد مُربك إلى أبعد الحدود كما تتعدد التوقعات لكن جميعها لا تبشر بالخير والإدارة الأوربية تُدرك ذلك...العاملون الدوليون في بروكسل والمحليون يعملون في مساكنهم ومهامُنا تقلصت باستثناء وقت زيارات السفراء الخاطفة! نعم هذا شديد التعقيد، كثير من الأشياء المعقدة لكني أثق دائماً بهذه الشركة المحلية التي عليها أن تكون خلاقة باستمرار وبارعة في خياراتها[2]اليوم وغداً؛ أنا على تواصل مع ابن شقيق الرئيس السابق المدعو إيجل أو صقر، جديد في قطاع الأمن الخاص، الشراكات محتملة بيننا كما نبحث من ناحية ثانية في إمكانية إقامة مشاريع أخرى مع العلم أن لديه الوسائل المادية والبشرية وأني أزخر بالأفكار... نتفاهم بسرعة ونفهم بعضنا الآخر وسنصبح أصدقاء يوماً لكن بانتظار ذلك العمل يستعجلنا!

أستغل انخفاض وتيرة العمل وأعود إلى أرضي في فرنسا لفترة قصيرة لكن بشكل أكثر انتظاماً! زياراتي مليئة بالسعادة وبالدروس والفضل في ذلك يعود للعلوم الاجتماعية ولهذا العالم الكمي الذي أحب أكثر فأكثر... يتخلل ما سبق اكتشافي لعالم فيزياء سلافي وقراءتي النهمة لبعض الكتبمع إجابات على التساؤلات وتعمق في مواضيع تناولتها سابقاً مع فِل، اكتشافات جديدة وتثقيف متواصل... تظهر أسئلة جديدة بالتأكيد مع القراءات التي تفرض نفسها، نعم لا نهاية لذلك وهذا ما يجعل منه مقدساً!

يحين الوقت لتقديم الحصيلة الأولى لعمل الفرع الوليد إلى الشركة الأم... مبادئ هذا الكيان واستراتيجياته مُحددة بوضوح ومعروفة في العالم المهني وكذلك منشوراته المُوَزَّعة على أكثر من مئة جهة؛ المشكلة لأنه بالفعل يوجد مشكلة هي العائدات أو بالأحرى قلة العائدات، فقد فزنا بعقد واحد[3]وهذا قليل جداً وبالطبع دون مستوى توقعاتي الأكثر تشاؤماً... بالطبع لديَّ وعود من جهات دبلوماسية ومنظمات دولية لكنها مجردُ وعود

[1]المقصود الرئيس السابق صالح وإيران.
[2]تم تشكيل مركز للتدريب بإدارة الهنغاري كرينغو.
[3]عقد لعشرة أيام مع رسمي فرنسي.

حالياً! تقرر الشركة وأنا متابعة المغامرة على هذه الأرض التي لم تتغير منذ يوم السبت الشهير الذي صادف الثاني عشر من كانون الأول عام 2009، إلا أنها تشرَّبت الكثير من الدم المسفوك والذي مازال يُسفَك، إلا أنها منذ ذالك مزدحمة ومليئة بالأحلاف بين كيانات وأفراد لم يعودوا يعتبرونها أرضهم الحاضنة بل لعبة مبتذلة يمكنهم استخدامها أو إساءة استعمالها أو كسرها بدون أن تتحرك مشاعرهم... نعم العالم كله بجانبه؛ نعم يكرر تصريحات الاهتمام بإصرار لكن بكل موضوعية لا أرى شيئاً ملموساً أو بالأحرى يجب فعل الكثير لكي تتمكن هذه البلاد المريضة مرضاًشديداً من الشفاء وكأنها تصعد منحدراً شديد الإنزلاق منذ عام 2010... لا يمكنهم القول أن الوسائل استُنفِذت من أجل إيجاد مخرج، أنا شخصياً يمكنني القول ببساطة أنه غاب شيءٌ أسياسيٌّ... الرغبة!

...2015

يرافق الرعب بداية السنة الجديدة في فرنسا حيث هجمات باريس التي أودت بأبرياء في السابع من كانون الثاني... غير أن من قاموا بهذا العمل الوحشي أمضوا فترة في اليمن بهدف التدرب على القتل، وأن القيادات اليمنية في التنظيم/الوحش[1] تبارك العمل وتواصل تهديداتها...

بالكاد أصل إلى اليمن في الحادي عشر منه وإذ بالحوثيين يختطفون مدير مكتب هادي[2]... لا شيء على ما يرام... قُضيَ الأمر...تهتز صنعاء تحت أصوات المدافع مرة جديدة... لم يتم تجنيبها أي شيء كما في الأنحاء الأخرى من البلاد طبعاً!

بعد أن تلقينا مكالمة هاتفية من إيجل تنصحنا بالبقاء في مكان آمن، نشهد في التاسع عشر منه وفي فترة الشَّفَق هجوماً شاملاً من الحوثيين على المدينة... تسقط في غضون يومين، لم يتم توقيف الرئيس وإنما حمايته رغماً عنه! يستقيل ورئيس الوزراء[3] أيضاً تليه الحكومة قبل أن يتم توقيفهم جميعاً...فقط ذلك... الأمر صعب التصديق بالنسبة لنا خصوصاً مع سرعة الأحداث ومع ذلك! الدبلوماسية تُهلوث، يرفض العالم العربي وعلى رأسه العربية السعودية ما يحدث فيما يرفض البرلمان اليمني الإستقالات ويستغيث المعارضون ويبدأ الإعداد للمظاهرات، وبعد...

---

[1] يتبنى تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية الهجوم على لسان المسؤول الديني في الحركة حارث النضري في التاسع من كانون الثاني (قُتل بواسطة طائرة من دون طيار في الشهر نفسه)، ومن بعده المخطط في الحركة ناصر بن الأنسي(قُتل بواسطة طائرة بدون طيار في شهر أيار من العام نفسه).

[2] الدكتور أحمد عواد بن مبارك، من مواليد 1968 في عدن، من كبار مسؤولي الدولة.تم انتحابه سكرتيراً عاماً للحوار الوطني، يعنه هادي رئيساً للوزراء في السابع من تشرين الأول عام 2014. يستقيل بعد يومين نتيجة لضغط الحوثيين ويبقى بجانب الرئيس.أُخليَ سبيله في السابع والعشرين من كانون الثاني وعُيِّن بعدها سفيراً لبلاده في الولايات المتحدة.

[3] خالد بحاح، رجل دولة يمني من مواليد 1968 في حضرموت. عُيِّن رئيساً للوزراء في الثالث عشر من تشرين الأول عام 2014 بعد شغله لمناصب وزارية عدة. يعلن خلال تقديمه لاستقالته في الثاني والعشرين من كانون الأول عام 2015 أنه "غير مسؤول عما يحدث أو عما يمكن أن يحدث".

الحوثيون وعلاوة على غزواتهم الخريفية في عام 1914، ابتلعوا الأراضي الواقعة شمال صنعاء (حجاح والمحويت والجوف) ومعها أقاليم حضرموت وذمار الواقعة جنوب العاصمة. إنهم في مأرب والبيضا برغم معارضة القبائل المحلية ووجود الوحش في تلك المناطق. يعيش الحوثيون لحظة مجد، غير أنهم باستثناء الحرب واتهام الجميع بأنهم "غير جيدين وغير لطفاء"، لا يجيدون أي ممارسة أخرى! سواءً على المستوى السياسي أو الإقتصادي أو الدولي باستثناء إيران حيث لا أصدقاء لهم لكن ندرة الأصدقاء ليست مشكلة بالنسبة لهم. تم تأسيس لجنة ثورية برئاسة محمد الحوثي وهو قريب لعبد الملك الحوثي بالتوازي مع ضغط كبير على هادي والبحاح لكي يتراجعا عن استقالتهما! والسبب صراحةً هو حاجة الحركة لهما لكن تحت سيطرتها، بمعنى آخر يأتمران بأمرها، أي أن وجودهما كقطعتي أساس في منزل...لكن الأمور لا تسير حسب مشيئتها ولذا تعمد لحل البرلمان وتسمية مجلس رئاسي من خمسة أعضاء من أجل قيادة البلاد خلال السنتين المقبلتين، كل ذلك في إطار إعلان دستوري جديد،فعلاً لا خوف لدى الحركة!

أعتقد أني تحدثت سابقاً عن الأطراف الفاعلة على الساحة اليمينة باستثناء واحد! أعني الأمم المتحدة[1] - أكنُّ احترام كبير لها، كيف لا وقد عملت لديها لفترة طويلة – التي تملك تمثيلاً هنا برئاسة السيد جمال بن عمر (المبعوث الخاص للأمين العام بان كيمون)؛ زار اليمن أربعين مرة منذ 2011 من أجل إخراج البلاد من مأزقها![2] من المؤكد أن لديه الكثير من الأعداء، محل سخرية واستهزاء أحياناً، لكن حقيقة يقوم بكل ما بوسعهمستخدماً ما لديه من صلاحيات! للمنظمة مبادئ سامية بالطبع ومستقلة على الورق لكن لا دخل لديها في حين أن نفقاتها ضخمة... يبذل بن عمار أقصى جهده في الوقت الذي يبدي فيه كبار العالم هذه المرة اهتماماً أكبر بالأزمة التي لا تنتهي...

في خلفية المشهد، عفواً..في مقدمته دول الخليج الغاضبة باستمرار والتي لا تقبل بما يحدث بل تنذر مُتذرعةً بأنها مهددة من قبل الحركة الشيعية المدعومة من إيران[3]...

تتأرجح مشاعر الأطراف الفاعلة على الساحة اليمنية (كما تلك الفاعلة على الساحة الخليجية) بين الإذعان والغضب والإستياء والكراهية أيضاً " كيف لأقلية - وشيعية أيضاً - أن تفرض قانونها في بلد أكثريته من السُّنَّة..." نعم وصلوا إلى هذه المرحلة أو على الأقل إلى طريقة التفكير هذه والتي عواقبها سيئة للغاية!

---

[1] منظمة دولية تضم كل دول العالم تقريباً. تتميز عن الدول المكوِّنة لها، هدفها الأسمى تحقيق السلام على المستوى الدولي. تم تأسيسها بعد الحرب العالمية الثانية أي في العام 1945، فحلت محل عصبة الأمم.

[2] في خريف 2014، يفرض مجلس الأمن عقوبات قاسية على الرئيس السابق صالح وعلى قياديين اثنين للحركة الحوثية أحدهما عضو في عائلة زعيمها. تتضمن العقوبات منعهم من مغادرة البلاد نتيجة لممارساتهم المسيئة فيها.

[3] تعاني العلاقات بين العربية السعودية وإيران من المنافسة المزمنة بين الفرس الشيعة والسعوديين المنتمين إلى السُّنَّة الوهابية.

يُعلن حكام بعض الأقاليم عن انفصالهم ويبدؤوا بالتسلح في مواجهة العدو الذي أصبح الكيان الحوثي! تُدينه كل الأطراف رسمياً بما فيها حزب صالح، لكن ما حقيقة مواقفها سرَّاً ؟

يحمي الجنوب حدوده مع الشمال مع أن رئيساً سابقاً منه (الجنوب) يعلن جاهزيته للإنضمام للمجلس الرئاسي الجديد إن تحولَّت البلاد إلى فيدرالية من إقليمين.

يعِد الوحش بمزيد من بأعمال انتقامية وبهجمات. حيث يقوم تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية، الذي استعاد إقليمَي أبين وشبوة بعد أن تمَّ طرده منهما بعد عملية "السيوف الذهبية" التي أشرنا لها سابقاً، بفتح جبهتين؛ الأولى تمتد من عدن إلى حضرموت وتستهدف بشكل أساسي المؤسسات العسكرية والبوليسية فيما تتركز الثانية في أقاليم أبين ومأرب وصنعاء وهدفها ضرب الحوثيين.

أما بخصوص صالح؛ لا أستطيع أن أصدق أن كل هذا حصل بموافقته ودعمه! الحوثيون يكرهونه وقد قالوها له بصراحة، الحوثيون هددوه ولكن...

الرئيس السابق تماماً كالحركة لديهما أعداء مشتركين كآل الأحمر ومحسن وهادي، الأمر الذي يلعب دوراً في تقاربهما!

قامت السفيرة بزيارات متعددة، الفريق سعيد مع أنه في حالة حذر دائم؛ لا نعرف من يسيطر على الحواجز، الوضع مشابه لما كان عليه في عام 2011، باستثناء أنه، وهذه هي المشكلة، لا يوجد شخص على رأس الدولة! في ظهيرة أحد الأيام، لديّ فريق مكلَّف بجمع المعلومات حول موعد ما، سيتم توقيفه ونقله من قبل الحوثيين لسبب نجهله؛ يجب أن أذهب شخصياً وأفاوض لفترة ليست بالقصيرة في حين تقوم السفيرة بإجراء العديد من الإتصالات من أجل إطلاق سراح العاملين معنا... ثم يجب العمل على استعادة السيارة المصفحة... وبعدها معداتنا وأسلحتنا... كل ذلك وسط نقاشات وتوضيحات ومفاوضات وإصرار وانتظار وغضب، باختصار!

بالنسبة للشركة، تعيش لحظات جميلة خصوصاً مع تلقينا طلب من تمثيل دبلوماسي كبير من أجل حماية مقره السكني...أُحضِّر الملف ويتم قبوله من طرف الزبون ثم أقوم فوراً بنشر أفراد من قبيلة يعملون معي، سبق وأن استخدمتهم من أجل حماية المستشفى في عام 2014، تذكرون ذلك! في مساء اليوم ذاته تسري شائعات في العاصمة مفادها أن الحوثيين وضعوا المقر المذكور في حسبانهم ومن ثم في حسبان قبائل تقاتل ضدهم، مما يجعلني أبتسم لكن لفترة قصيرة...

أسبوع 07...

هذا الأسبوع ليس أسوأمن سابقه، إلا أن البعض قرروا شيئاً مختلفاً بخصوصه! الجميع يترك اليمن باستثناء روسيا والصين، يُحضر السفراء خطاباتهم الأخيرة فيما تقوم سفاراتهم بحملة تنظيف ربيعية داخلها وإتلاف كل ما لا يمكن نقله! تمَّ توجيه الدعوة لكل الرعايا الأجانب لترك البلاد بسرعة إلا العاملين في المجال الإنساني والذين تضاعف عددهم خلال السنوات الأخيرة، فلم تعد العاصمة تجذب الأجانب منذ وقت طويل... البلاد مُدمرة[1] لكن هناك "من أراد ذلك" ولم يحصل شيء من باب الصدفة!لكن سؤالاً يقضُّ مضجعي: إن كان هروب دبلوماسيينا ليس بسبب الأمن[2]، إذن بسبب ماذا أو من؟ أم هو مزيج من الاثنين معاً؟

سيكون الأسبوع الجاري بالنسبة للفريق كسباق ماراتون حقيقي حيث تقوم السفيرة باجتماعات الفرصة الأخيرة! وكأنَّ الأمر ما زال ممكناً لتغيير المشهد! من جانبي، أنبش وأبحث في كل جوانب هذا القرار لكن شيئاً لا أفهمه الأمر الذي يقلقني! نمضي المساء الأخير مع السفيرة؛ نبتسم ونمزح لكننا نكذب في الحقيقة لأن قلوبنا تنفطر! تنصحني بأن لا أحمل معي إلا أغراضي الضرورية، تقول لي ...تقول لي...وتقول لي... تأتي لحظة مرافقتها من قبل الفريق إلى المطار، إنها لحظة الفراق، نعانق بعضنا وننظر لبعضنا ا لبعض، نُصدِّق ما يحدث، نريد التصديق لكن في الحقيقة لا نُصدِّق أبداً...

لقد صدم هذا القرار الشعبَ اليمنيَّ بعمق، الأخير الذي لم يعد يفهم شيئاً، لكن الأمر الاعتيادي أنه ما يزال ضحية للأكاذيب! تحاول الطبقة السياسية في مجملها أن تثني الدبلوماسيين، أو أن تتظاهر بثنيهم، عن الرحيل، لكن هؤلاء أصبح تفكيرهم في مكان آخر مسبقاً! ربما سيقول بعض الصادقين أنهم يتفهمون بمقدار ما يعتقدون أن هذه الهزيمة مُستَحقَّة! أما الحوثيون فيرون فيها مكيدةً حقيقيَّةً لهم!

فيما يتعلق بنا، إنه الإدبار! تقوم الدائرة الأوربية للشؤون الخارجية بإعادة هيكلة للعقد خلال أيام مما سيفضي إلى تقليصه وبالتالي سيكون لزاماً عليّ صرف جميع العاملين الدوليين وعدد كبير من المحليين من الخدمة وهذا بالفعل يؤلمني! بخصوص الشركة، ستصبح الشراكة الجديدة مع إحدى الهيئات الدبلوماسية شيئاً من الماضي بعد حياة قصيرة استمرت لأسبوع! كرنغو في حالة توقف عن العمل فيما يبقى "الكبير" بجانبي حيث سيعيد

[1]وصل مستوى التضخم إلى 115 بالمئة في عام 2014 ولم يعد لدى الدولة القدرة على دفع رواتب موظفيها لشهر آذار 2015 فيما أكثر من 16 مليون يمني (61 بالمئة من السكان) غير قادرين على تلبية احتياجاتهم.

[2]ليسوا "في خطر" اليوم أكثر مما كانوا عليه بالأمس أو قبل ستة أشهر. للتذكرة فقط، بقيَ هؤلاء الكبار في عام 2011 وحينها لم تكن المؤشرات الأمنية أفضل، مع أنها كانت مختلفة.

تنظيم الفريق المحلي العامل لدى الدائرة الأوربية بالكامل. لديه فترة شهر للقيام بذلك، أما أنا فأغادر جواً إلى عدن[1].

كما الرئيس الذي يغادر إلى عدن[2] أيضاً بعد أن تمكّن من الهرب من مكان توقيفه[3]؛ يضطلع بدوره كرئيس فيُدين الإنقلاب ويطلب من الحوثيين إطلاق سراح رئيس وزرائه وحكومته الموقوفين جميعاً في صنعاء! يأتي ردُّ الحوثيين بأنه خارج عن القانون ومطلوب للعدالة في البلاد نظراً لما اقترفته يداه خلال فترة ممارسته لمهامه، ذلك فقط!

أعضاء في الفريق

[1] ترافقني دعامة من فريق الحماية الخاص بالسفيرة. يعمل هذا الشخص لحسابنا منذ بداية عام 2011. ينحدر من عدن حيث ما زال جزء من عائلته فيها وبالتالي لديه العديد من المعارف في هذه المدينة.

[2] تتألف من مدن صغيرة عدة وتبعد 170كيلو متراً شرق مضيق باب المندب. يبلغ عدد سكانها 990.000 نسمة وفيها ميناء طبيعي مبني على موقع بركاني قديم (استُخدمَ في القرنين السابع والخامس قبل الميلاد).

[3] يتمكن من الخروج من صنعاء في صباح يوم باكر على متن موكب مؤلف من سيارات عدة، حيث سيصل إلى عدن مع نهاية النهار.

أعضاء في الفريق قبل مغادرتهم اليمن بشكل نهائي

أما فيما يتعلق بوجودي في هذه المدينة، فإن ما يدور في خاطري منذ زمن طويل هو أنها فقيرةٌ ظاهرياً وفعلياً في بعض جوانبها، لكن عدن غنيّةٌ بأشياء أخرى؛ مدينة بحرية ومنفتحة إذا ما أخذنا تاريخها بعين الاعتبار، فهذه الروح موجودة في كل الأعمال حتى تلك التي نقوم بها... فبعد أن حصلت على اتفاق مبادئ مع الشركة، يجب عليّ تحديد قاعدة خلفية من أجل العمل والباقي سيأتي تباعاً!

تمَّ إعلان الإنفصال...

لكل يوم حزمتَه من الأخبار السيئة، العامة منها والخاصة أيضاً كاختطاف إحدى المعارف[1] التي تأتي من وقت لآخر من أجل تناول وجبة طعام في البيت وآخرها كان عشية يوم اختطافها!

بخصوص ما تبقى؛ يوجد الحوثيون وإيران[2] وصالح في صنعاء...هادي وبلدان الخليج في عدن... مجلس ثوري في صنعاء... حكومة معارضة في عدن... قليل من الأمان

[1] صديقة للفريق، سيتم إطلاق سراحها سالمةً بعد خمسة أشهر.

[2] وقعت إدارة الطيران المدني اليمنية اتفاقية مع إيران سيتم بموجبها تسيير رحلتين جويتين بين البلدين يومياً. تهبط الطائرة الإيرانية الأولى في الأول من آذار في صنعاء (إنها المرة الأولى منذ خمسة عشر غاما).

في صنعاء... انفجار للوضع الأمني في عدن... لدينا منظمة الأمم المتحدة وجمال بن عمر في الوسط؛ يختار الأخير تعز المُعتَبَرَة كمدينة حيادية! يواصل مهمته بلا كلل أو ملل مع أنها أصبحت مستحيلةلكن ليس لأنها مستحيلة بحد ذاتها وإنما لأن أيَّاً من الأطراف الفاعلة لا يريد تقديم تنازلات و...و... لأن كل شيء جاهز في الكواليس...لأنها مسألة وقت فقط...

صنعاء، الخميس الموافق للسادس والعشرين من آذار 2015، الساعة الثانية صباحاً...

مرَّ الوقت! سقطت كل حبيبات الرمل في الساعة الرملية! صمت مطبق! فقط للحظات... بداية انتظر أن تنتهي الحرب الخاطفة التي بدأها الحوثيون[1] في الجنوب بنصر آخر...انتظر من جديد إذ أن النزول البشع للوحش والذي فاق المرات السابقة نشر الرعب في صنعاء[2] ومدن أخرى! ثم جاء أو على الأقل فاجأته في ظهيرة أحد الأيام بعد أن جاء صديق ليخبرني مباشرة "جف سيقصف السعوديون صنعاء"، "متى؟"..."لا أعرف، غادر"، "لا"!بدا لي هذا الصمت مبرراً بعد أن قلت "لا"...صمت ثقيل استمر برهة في الزمن لكنه كان طويلاً بما يكفي لأن أسمعه.

أؤكد لكم أن الأصوات عادت ولو أنها مختلفة؛ على أي حال ليست أصوات أحذية الغزاة الحوثيين المشهورين! ليست أصوات ممثلينا الدوليين الذين رفضوا الدستور الحوثي الجديد وتنافسوا على إدانة كلا الطرفين! طرقت هذه الأصوات على الباب في يوم الخميس المرافق للسادس والعشرين من آذار عام 2015 في الساعة الثانية صباحاً عندما دَمَّرت الأرض واخترقت البيوت وقتلت السكان...هذه الأصوات تقدمت بصمت في السماء لكي تفاجئنا قدر الإمكان عندما تصل إلى الأرض...هذه الأصوات، لقد فهمتم قصدي، ليست إلا أصوات القنابل والصواريخ التي تلقيها الطائرات، يقودها طيارون، لهم قادة يأتمرون بأمر حكام على رأس دول... ما أطول هذه السلسلة...سلسلة القتل والاغتيال والطغيان...

من يقف وراء هذا القرار؟ بلدان الخليج باستثناء عمان، وعلى رأسها المملكة العربية السعودية التي تضطلع بدور رئيسي في العملية، يوجد مصر أيضاً والمغرب والأردن! الولايات المتحدة أيضاً التي تقدم الدعم اللوجستي والمعلومات من أجل العملية المسماة "عاصفة الحزم"؛ بدأت بعد دعوات عدة للمساعدة أطلقها فريق هادي وتهدف للدفاع عنه وعن حكومته ولمنع الحوثيين من السيطرة على البلاد...هذه بالطبع الرواية الرسمية وغير الرسمية أيضاً...أو على الأقل جزء من كلٍّ منهما...وفي الروايات غير الرسمية يمكننا أن نقول أن العربية السعودية السُّنية الوهابية خافت من هذا الكيان الشيعي المدعوم من إيران الشيعية أيضاً؛ ربما يمكننا أن نقول أن العربية السعودية خشيت أن يقوم الحوثيون بتصدير ثورتهم إلى بلدان شبه الجزيرة العربية ومنها المملكة السعودية نفسها؛ ربما يمكننا

[1] دعم قوات الرئيس السابق صالح للحوثيين علني وواضحٌ للعيان الآن.

[2] تم استهداف مسجدين في صنعاء من قِبل المجموعة المسماة "تنظيم الدولة الإسلامية في إقليم صنعاء". سبب استهدافهما هو حضور الحوثيين المتكرر فيهما؛ حصيلة المجزرة 160قتيلاً و 360 جريحاً.

القول أن العربية السعودية خشيت أن يقوم هذا الكيان بمهاجمة بلدان شبه الجزيرة العربية وهي ضمنها؛ ربما يمكننا القول أن العربية السعودية لم تتحمل تحالف هذا الكيان مع الرئيس السابق الذي أصبح شخصاً غير مرغوب فيه خصوصاً في المملكة السعودية...باختصار حتى لو تم التوصل إلى حل بين هادي والحوثيين، فإن الأخ الأكبر (المملكة) ما كانت لتقبل به!

حقيقة وأقولها لكم، تمَّ التوصل إلى حل ...لقد عملت الأمم المتحدة جيداً...أو لا... من خلال مبعوثها[1] ...القول بأن عملها كان جيداً أو سيئاً يعتمد على رأي كل طرف وعلى المصالح والإلتزامات والإستراتيجيات...

عبَّر العالم عن رأيه لكن لهذا العالم استراتيجياته أيضاً لكنها غير مؤثرة في بلد بعيد عن كل شيء، حدث فيه انقلاب الأشرار على الرئيس الطيب الذي فعل كل ما بوسعه من أجل إخراج بلاده من الأزمة! ولهذا تبع طريق الحرب مثله مثل الدائرة الأوربية للشؤون الخارجية التي على الرغم من ذلك تقول أن الحرب ليست حلّاً ...ليست حلّاً أبداً! ماذا كان بإمكانها أن تفعل أو تقول في مواجهة المصالح الشهيرة لبعض القوى الأوربية التي أوضحت فوراً لهذه المؤسسة الأوربية أيضاً أنه كلما كان عدد التصريحات حول هذا الموضوع قليلاً، كلما قلَّت الحاجة لتقديم التبريرات فيما بعد إن تطلَّب الأمر ذلك...

تغادر طائرة استأجرتها الأمم المتحدة مطار صنعاء المغلق رسمياً والمقصوف رسمياً أيضاً!تغادر شركات متعددة الجنسيات أيضاً ومنها توتال ويمن ل.ن.ج، أستغل ذلك من أجل إخراج "الكبير" من البلاد، أتصل برئيسي لأخبره ببقائي إذ يتطلب العمل البقاء لعدة أسابيع.لننتظر ونرى؛ انتهى الأمر بالنسبة لعدن على الأقل حالياً، أما صنعاء فباقية ومستمرة، أعرف أنها مليئة بالأجانب كما أعرف أنه بالإمكان القيام بالأعمال فيها حتى في مثل هذا الوضع أو خصوصاً في هذا الوضع، في أسوأ الأحوال أستطيع دائماً مغادرة البلاد، أو هذا ما أعتقده حالياً! لدينا مخزون من الطعام والديزل والبنزين لأن الكهرباء في حالة انقطاع شبه دائم، حيث وقت الظلام أطول من النور! تَمَّ تحويل مقر الإقامة إلى أكياس كثيرة من الرمل وإلى بطارية تسليح، وُضِعت في بعض الأماكن الإستراتيجية، إن تطلَّبَ الأمر! تأقلمت الحياة في نهاية الأمر مع إيقاع القصف...في البداية بعد منتصف الليل تليه فترة انقطاع ومن ثم يُستأنف في الرابعة أو الخامسة صباحاً... تعمل أنظمة الدفاعات الجوية بأقصى طاقتها، مع أنها لا تسبب أضراراً تُذكر للطائرات الخليجية؛ بالمقابل، تكاد آذاننا تنفجر من شدة الأصوات التي نسمعها!

[1] يترك جمال بن عمر مهامه في منتصف نيسان 2015. لم يتم الإعلان عن أسباب استقالته لكن بحسب بعض الدبلوماسيين، كان عرضةً لانتقادات حادة استمرت لأسابيع من قبل مؤيدي هادي ومجلس التعاون الخليجي وخاصة العربية السعودية.

تسير الأسابيع التالية على إيقاع عمليات القصف التي تتزايد، مما يعني أنها أكثر تدميراً، أي أكثر فتكاً. تشمل كل أنحاء البلاد مع أولوية لصعدة لأنها مسقط رأس الحوثيين، وعدن لأنها ومنذ مغادرة هادي – إلى السعودية بعد أن ترك عدن في الخامس والعشرين من آذار - أصبحت مسرحاً لمعارك شرسة بين قواته من جهة وبين الحوثيين والقوات الموالية لصالح من جهة أخرى! إن يخسر الرئيس معقله الأخير، سيكون من الصعب عليه، لا بل من المستحيل العودة إلى اليمن...لهذا السبب يجب فعل كل شيء والتحالف سيفعل كل ما باستطاعته، إلا أن الوجود على الأرض لا يقتصر على العسكريين! يدفع المدنيون الثمن وسوف يتابعون دفعه، بالطبع بسبب القنابل لكن أيضاً بسبب الكهرباء والماء والمنتجات البترولية والهاتف؛ سيقتصر الوضع على التقنين في البداية لكنها ستختفي بالكامل لاحقاً...ثم سيأتي دور المواد الغذائية...ثم حصار التحالف لشواطئ عدن وحصار الحوثيين لها براً (ينقص كل شيء في هذه المدينة باستثناء الرعب)، ثم يمكن أن تتم الإصابة بالمرض وبما أنه لا علاج، هو الموت إذاً؛ تماماً كما يمكن أن نموت ونحن في الشارع من أجل البحث عن طعام أو شراب لأنفسنا أو للعائلة؛ كما يمكن أن نموت ونحن في البيت لكن لسوء الحظ يُصاب الأخير بقنبلة ملقاة من السماء أو بقذيفة مدفعية؛ كما يمكن أن نموت لأننا نقاتل من أجل مُثل عليا نؤمن بها؛ كما يمكن أن نموت لأننا لا نقاتل أو تحديداً لأننا لم نعد نعتقد بهذه المثل العليا أو تلك؛ في الحقيقة يمكن أن نموت بسبب أي شيء سوى الشيخوخة! لم نصل إلى ذلك بعد في صنعاء، باستثناء أن المواقع العسكرية المعروفة فيها والتي تمَّ استهدافها وتدميرها ليست في مناطق فارغة! للدقة، إنها في قلب المدينة وحولها وتحتها ومطلّة عليها كما هي خارجها ايضاً...

صنعاء...يوم الإثنين الموافق للعشرين من نيسان 2015، الساعة العاشرة والنصف...

أنا في المكتب لإنجاز موضوع هام[1] وإذ بصوت انفجار هائل[2] يدوي في المدينة! بالطبع هذه الضجة ممزّقة للأجواء لكن بالرغم من قوتها إلا أنها ليس شيئاً بالمقارنة مع الإنفجار الذي وقع في مقاطعة فج عطّان، تنتشر في كل مكان كموجة مدٍّ بحرية... هذا الإنفجار بحاجة لمكان له وعندما لا يتوفر هذا الأخير يقوم الإنفجار نفسه بإيجاد المكان، حاملاً كل شيء معه خلال تنقله القاتل...تنهار الأسطحة، تنفجر النوافذ، تتطاير الأبواب والنوافذ والشبكات في الهواء، تنهار أجزاء من الجدران وأحياناً بيوت كاملة كقلعة من ورق، تنقلب السيارات كما لو كانت كومة قش ...والناس في كل هذا!يلعب الأطفال خارجاً لأن الطقس جميل ولأن المدارس مغلقة في زمن الحرب؛ النساء في بيوتهن، الرجال في مكاتبهم؛ عائلات في سياراتها...يتحول اللقاء بين الإنفجار والسكان إلى مأساة! لم يتدخلوا

[1] إجلاء الأجانب الذين ليس بإمكانهم ترك صنعاء. لمعرفتي أنه بالإمكان استخدام المجال الجوي اليمني خلال أوقات محددة، أقترح استخدام طائرات تضم خمسين مقعداً (CRJ-200) للقيام برحلات من صنعاء إلى جيبوتي (تستغرق الرحلة ساعة وتكلف بين 25.000 و30.000 دولار). يُطلب من الزبون الحصول على إذن العربية السعودية لأن السفر جواً من اليمن وعبور مجاله الجوي يخضعان للحصار من قبل التحالف.

[2] الهدف تدمير مستودع ذخيرة ضخم واقع في جبل حول فج عطّان.

في شأن أحد ولم يفعلوا شيئاً، كانوا يعيشون بكل بساطة كما سيموتون الآن، لكن ليس ببساطة! إما بالتطاير في الهواء أو بالسحق على الأرض أو في أفضل الأحوال بأن تُخترَق أجسادهم بما ابتلع الإنفجار سابقاً وتقيأه لاحقاً... تصل سيارات الإسعاف وتقوم بنقل المصابين إلى المشافي الفارغة من أدوات العلاج، والمظلمة أيضاً لأنه لاشيء يُنيرها... فيها صراخ ومعاناة واحتضار وموت أيضاً! لم يسلم بيتنا من القصف حيث تطايرت[1] بعض الأشياء ومنها نافذة على بعد عشرين سنتيمتراً مني! يجب عليّ أن لا أتذمَّر فأنا ما زلت على قيد الحياة، يا له من شيء رائع!تنتشر الفيديوهات المسجلة فوراً وبإمكاننا أن نرى في واحد منهاشخصاً مبتهجاً يصرخ: الله أكبر...فهذه هي الحرب أيضاً! أي تتضمن دفع المال لمخبرين يُدلون بمعلومات ويُرشدون ويَشون كذلك...

مع ذلك، في يوم الأربعاء هذا والموافق للثاني والعشرين من نيسان وفي الساعة الثانية صباحاً بالتحديد، إنه العيد في الأجساد والقلوب والعقول... يُعلن التحالف وقف لإطلاق النار لمدة أسبوع في عموم اليمن. يجب أن يسمح باستئناف الحوار بين هادي والحوثيين وبمقاتلة الوحش أيضاً؛ لكن مقاتلته من قِبل الحوثيين فقط[2] في هذه الفترة العصيبة. لم يكن في حال أفضل مما هو عليه اليوم؛ يتابع ارتكاب المجازر في صفوف العسكريين والحوثيين كما يشاء، يتمكن من تحرير أكثر من ثلاثمئة من أفراده في إقليم حضرموت، ويهاجم قاعدة عسكرية في الإقليم نفسه حيث سينطلق منها على متن خمسين دبابة...في هذه الأثناء ولكي أكون صادقاً تماماً؛ المشكلة الرئيسية بالنسبة لليمني عامةً ولساكن صنعاء خاصةً ليست هنا،على الأقل علناً، إنه يموت جوعاً بسبب ارتفاع أسعار المواد الأساسية لمعيشته للضعف أو لثلاثة أضعاف. مصابٌ في كرامته لأنه يفتقر للماء[3]، ولأنه يعيش في الظلام لافتقاره للكهرباء، ولا يستطيع التنقل لخلو المحطات من الوقود، أو تلقّي العلاج لأنه باستثناء أطباء الطوارئ لا يوجد أي وسائل طبية، يخاف من ضربات التحالف القاتلة، يخشى الحوثيين وسيطرتهم، يخاف لصوص[4] الليل، لم يعد يعيش حياة طبيعية بل يحاول البقاء على قيد الحياة، يرتعش عندما تمطر قنابلاً وعندما يتوقف سقوط هذه القذارات، يضحك عندما يجب البكاء ويبكي عندما يجب الضحك، يتألم لكن ليس لألمه بل لألم أحبته حيث لم يعد يعرف كيف يهدئهم أو يطمئنهم أو يخفف من ألمهم!

---

[1] يقع مقرنا السكني على بعد خمسة كيلومترات من الأمكنة المستهدفة بالقصف. كل النوافذ مفتوحة دائماً وإجبارياً لكن قوة الانفجارات الناجمة عنه ستقتلعها من مكانها.

[2] قِيلَ أن صالح تآمر واستخدم المنظمة الإرهابية في الماضي. الجيش الجنوبي الذي تمَّ تشكيله من أجل الدفاع عن عدن ضد الحوثيين يضمُّ في صفوفه أفراداً متعاطفين (كل لا أقول أكثر) مع تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية لسوء الحظ.

[3] شبكة مياه المدينة في حالة عطل. مياه الآبار الخاصة هي الوحيدة المتوفرة حيث تباع كمية ألف وخمسمئة لتر منها بسعر مئة دولار أمريكي.

[4] ازدادت أعمال النهب بسبب القصف الذي دفع عائلات كثيرة لترك صنعاء واللجوء إلى الريف. يوم قُصفَت فج عطَّان، قام لصوص بالدخول إلى المنازل المصابة وسرقة كل ما له قيمة سوقية، حتى قبل أن يتم إجلاء الضحايا.

أملك مولِّداً كهربائياً يسمح لي بتغذية المنزل من الساعة الثامنة والنصف حتى العاشرة والنصف صباحاً ومن السادسة إلى التاسعة مساءً، أنا لديّ طعام أتناوله ومازلت أعيش دون أن يتمَّ المسُّ بكرامتي، ما زلت أتنقل في المدينة، أنا خائف مثلهم، خائف من هذه الطائرات ومن حمولتها القاتلة، أخاف من السماء القاتمة السواد التي تصبح فجأة مخططة ثم تتوهج احمراراً بسبب طلقات وسائط الدفاع الجوي وبسبب الصواريخ، أخاف السماء الشبيهة بحريق لأنها تلوَّنت بلون الأرض المحروثة، ومن صمت الموت المستمر، مع أن أصوات صفير سيارات الإسعاف قطعته، هذه الأخيرة فارغة من كل شيء باستثناء دماء الضحايا السابقة، أخاف عندما يستعيد الليل مساره العادي لأن ذلك يعني أن شيئاً ما سيحدث! ستقع أحداثٌ جديدةٌ سريعاً؛ انفجارات أخرى سريعاً..تردني رسائل تخبرني بموقعها وهدفها ونتائجها...سريعاً..إنها الخامسة صباحاً ولم أرقد بعد، دخَّنت كثيراً، أكثر من العادة، تنقلت كالمكوك بين السطح والباحة ومكتبي، أنا متعب، أنا غاضب قبل كل شيء بسبب الأرواح التي زُهقَت من أجل لا شيء، وبسبب الدمار الذي يقود إلى لا شيء، غاضب من أصحاب القرار كلهم الذين لا يقرروا أي شيء في نهاية الأمر بل يتركوا الأمور على عواهنها...تجول فكرة في خاطري لكن ليس الآن! في الإنتظار، أكتب على صفحتي على إحدى شبكات التواصل الإجتماعي المعروفة جداً وأندِّد أو "أتهم" الجميع لأن هذا "الجميع" يتحمل مسؤولية ما يحصل حالياً!

بالتوازي مع ذلك وبالإضافة لفريقي الذي يحمي ممتلكاتنا ويحميني أنا شخصياً، حيث أُمضي معه وقتاً طويلاً في الليل كما في النهار، أنا على اتصال يومي مع الفريق الذي يُدير العقد مع الدائرة الأوربية للشؤون الخارجية ومع الآخرين الذين سرِّحوا من وظائفهم... تفهم معظمهم قرار الصرف، بعضهم تفهمه بدرجة أقل فيما البعض الآخر لم يتفهمه ابداً! لجؤوا للقضاء الذي وقف في صفهم[1]؛ يطرقون على باب البيت في أحد الأيام بهدف مصادرة كل ما يمكن مصادرته ويسلمونني في الوقت نفسه قرار توقيف صدر بحق مسؤولي المحلي، ذلك فقط! أتدخل في القضية وأعطي ضماناً أنني سأبقى في البلاد طالما لم يتم حلها، يقبل القاضي المكلف بالقضية عَرضي، حيث لن أراه بعد ذلك أبداً! لا أكنُّ الحقد تجاه أحد على الرغم مما حصل ولا حتى تجاه النظام الفاسد حتى النخاع، بالتأكيد هو كذلك لأن الرجال الذين يتصرفون خلف الكواليس فاسدون! وهم كذلك لأن الذين في أعلى السلسلة المجتمعيَّة يستفيدون من سلطاتهم بشراهة دون أن يفكروا بمن يفتقدون لأدنى مقومات الحياة.

هكذا "يفعلون... يفعلون... ويفعلون..."

انتهت الهدنة وعادت الحرب إلى مجراها الدموي! لم يتم التوصل إلى اتفاق بين الأطراف وهذا لم يفاجئ أحداً...تخلت الأمم المتحدة عن فكرة إرسال قوات لحفظ السلام

[1] لأنهم قدموا معلومات غير صحيحة. كان من المفترض الإستماع لأقوالنا لكن القضاء يعرف أن مقر شركتنا الأم في الخارج وأن لدينا سجل إئتماني راسخ وهذا يكفيهم...

إلى اليمن لأن المهمة محفوفة بالمخاطر بالنسبة لهذه الأخيرة، علاوة على أن إرسالها ما كان ليحمل فائدة في اللحظات الراهنة..تبحث المنظمة الدولية عن بديل لجمال بن عمر وتطلب مرة جديدة أيضاً من الحوثيين تطبيق القرار الأممي[1]. ومرةً جديدةً أيضاً يقول الحوثيون نعم لكن الحقائق في عدن التي تحترق تقول عكس ذلك، كما يدفع سكانها ثمناً غالياً لما يحصل...

تلقينا إنذاراً حول إمكانية قطع خطوط الإتصالات[2] لكن ذلك لم يكن إلا كذبة في نهاية الأمر، كذبة جديدة في هذا الوضع حيث كل شيء مسموح وخصوصاً عندما يكون لدى البعض إمكانية التحكم...أتلقى مكالمات من السفيرة بشكل شبه دائم وقد ازدادت أكثر فأكثر منذ بداية الصراع! تتابع الوضع عن قرب وتسافر بانتظام بين بروكسل ومسقط[3] والرياض من أجل مقابلة سياسيين وشخصيات نافذة وأصحاب قرار لكن بدون نتيجة، على الأقل كما نتمنَّى أي أن يعود السلام أو أن تتوقف الضربات الجوية في أقل الأحوال. لكن ما سيحدث هو العكس تماماً مع إدراك التحالف أن ضرباته لم تدمِّر السلاح الإستراتيجي في البلاد[4] كما أجمعت كل المؤشرات! تعود الأمم المتحدة من جديد أو على الأقل الأجانب العاملين معها والذين تركوا البلاد مع بداية الحرب..قابلت صديقاً لي يعمل معهم في أول أيار. دخلوا للبلاد من جهة عدن، يصفون الوضع هناك بالفظيع والمأساوي، وقد يكون مصير تعز مشابهاً أيضاً في وقت قريب. صديقي ومرافقيه هنا فقط من أجل دراسة إمكانية إعادة نشر العاملين الدوليين، لأنه لم يبق في اليمن إلا أنا مع حفنة قليلة من الأجانب، بالطبع لأن لي أسبابي التي تدفعني للبقاء على العكس منهم! تفسح مقابلتي لهم المجالَ للأعمال عموماً وأعمالي خصوصاً؛ يبحثون عن حماية بمستوى عالٍ ولديَّ ما يبحثون عنه لكن قبل ذلك علينا الإتفاق على السعر. أتلقى أخيراً خبر تعيين مبعوث أممي خاص لليمن وهو الموريتاني اسماعيل ولد شيخ محمد، خبر ممتاز بحد ذاته.

لكنخبراً جيداً لا يأتي بمفرده كما يُقال وأنا أؤكد صحة ذلك...ترتفع الأصوات ضد أعمال القصف اليومية والقاتلة ومنها أصوات كبريات المنظمات الدولية، وزير الخارجية الألماني والبعض في دول الخليج؛ تمَّ إسكاتها على الفور لكن هناك من سمعها

---

[1] تمَّ تبني القرار الدولي رقم 2216 في الرابع عشر من نيسان عام 2015. يستند القرار إلى سابقاته وتمَّ اتخاذه بموجب الفصل السابع؛ يطلب من كل الأفرقاء اليمنيين، وخاصة الحوثيين، التطبيق الكامل لمواد القرار 2201 وأن تمتنع عن القيام بأي تصرف أحادي الجانب من شأنه الإضرار بعملية التحول السياسي في اليمن. يطلب القرار من الحوثيين أيضاً الإيقاف الفوري وغير المشروط لأعمال العنف، سحب قواتهم وتسليم أسلحتهم، إيقاف أي نشاطات تتعلق بسلطة الحكومة الشرعية في اليمن، الإمتناع عن استفزاز وتهديد الدول المجاورة، إطلاق سراح الأشخاص قيد الإقامة الجبرية أو الموقوفين بشكل غير قانوني ووضع حد لاستخدام الأطفال وتحرير هؤلاء الذين ما زالوا في صفوف الحركة.

[2] تعلن شركة الإتصالات أن انقطاع الديزل في أنحاء البلاد يمنعها من تشغيل بُنى الهاتف والإنترنت.

[3] تقود سلطنة عمان مفاوضات متعددة بهدف تقريب وجهات نظر كل الأطراف الموجودة.

[4] يمتلك اليمن أكثر من ثلاثمئة صاروخ بالستي، معظمها متوسطة وقصيرة المدى، من نوع سكود الروسي وقادر1 الإيراني الصنع.

على أية حال كروسيا والصين وإيران الذين يواصلون ضغوطهم من أجل التوصل لوقف لإطلاق النار وإجراء محادثات، تعزز كل من تركيا وباكستان موقفهما الداعم للمصالحة دون إبداء الرغبة بالإنحياز لأي طرف من أطراف الصراع القائم. ليست إلا البداية وقد حان وقتها بالفعل، لأن صنعاء تعاني كثيراً على الرغم من أن الوضع فيها ليس كارثياً كما في عدن وتعز! سواءً فيما يتعلق بالضربات الجوية أو ربما أكثر فيما يتعلق بالحصار الذي يفرضه التحالف بهدف دفع الحوثيين وشركائهم للتراجع...تدمير، ركام، روائح كريهة وأطنان من القمامة[1]..كل الأمكنة مهجورة تقريباً، لم أر ذلك مطلقاً منذ ما يقارب الست سنوات وهي فترة وجودي هنا!

يتم الحديث عن وقف جديد لإطلاق النار، وعن زيارة للمبعوث الأممي الجديد، وعن إطلاق حوار وطني يمني لكن لا حديث عن الضربات ضد اليمن، التي تصبح أكثر ضراوةً وأكثر كلفةً بشرية كل يوم... بداية في صعدة[2] أمست في حالة خراب وقد هرب قسم من سكانها إلى إقليم عمران، نزوح جديد لا يلفت انتباه أحد ولا يتحدث عنه أيٌّ كان...ثم صنعاء حيث قُصفَ شارع سابين مرتين لأنه شكَّلَ محوراً لمطار العاصمة قبل عشرين عاماً![3] يليهما مسكن صالح أو حيُّ صالح الذي مُحيَ عن الخارطة خلال ساعات فقط...يقع على مسافة خمسمئة متر من بيتي، أرى أعقاب الصواريخ المتوهجة التي تسقط صباحاً على المنطقة[4] فتهتز الأرض مع كل قصف..أخيراً في الحادي عشر من أيار مأساة جديدة تضاف إلى كثرٍ سبقتها مع قصف جبل نُقم[5] الذي سيؤدي إلى مقتل مئة مدني وجرح مئتين وخمسة آخرين؛ أُصيب مستشفى بالقرب من المكان بمئات القذائف من كل نوع، حيث ستتطاير بعد انفجارها فوق جزء كبير من المدينة[6].

---

[1] لم يتم تجميع النفايات المنزلية منذ وقت طويل في صنعاء بسبب عدم توفر الوقود اللازم لتشغيل العربات وتوقف العمال عن العمل لعدم دفع رواتبهم.

[2] تأتي بعد قيام الحوثيين وشركائهم بالتسلل مرات عدة وضرب عسكريين سعوديين ومن ثم الإنسحاب، أيضاً بعد قيامهم وشركائهم بالقصف العشوائي بقنابل المورتر والكاتيوشا لإقليمي نجران وجزان السعوديين. ذهب مدنيون سعوديون ضحية للقصف. أما بخصوص معدل التدمير في صعدة فيُقدر بنسبة خمسين بالمئة بالإضافة لمقتل وجرح مئات المدنيين.

[3] يشير السبب غير الرسمي للقصف إلى وجود أنفاق تضم العديد من الأسلحة الثقيلة ومنها صواريخ بالستية لم يتم تحديد موقعها بعد من قبل التحالف وبالتالي لم يتم تدميرها.

[4] يعيش صالح في قرية نهم شمال العاصمة وقد قُصفت أيضاً. يعود ويُجري مقابلة حول الأماكن المُدمَّرة حيث يدعو كل القوى اليمنية إلى الوقوف صفاً واحداً في وجه الإعتداء السعودي، والمملكة في الوقت ذاته لإرسال قواتها على الأرض لمواجهة الجنود اليمنيين.

[5] يقع شرق صنعاء ويضم في جوانبه عدد من مستودعات الذخيرة من كل نوع.

[6] سيتم إيجاد الأجزاء المتطايرة على مسافة عشرة كيلو مترات من النقاط المقصوفة.

صنعاء، الثلاثاء الموافق للثاني عشر من أيار عام 2015 الساعة الحادية عشرة ليلاً ...

يقود تدخل الولايات المتحدة الأمريكية إلى هدنة لمدة خمسة أيام قابلة للتمديد إن أثبت الحوثيون وشركائهم حكمتهم..يُضمِّد الناس جروحهم ويُقيِّموا حصيلة خمسين يوماً من الضربات.

لم يقُل تصميم الحوثيين الموجودين دائماً في عدن على الرغم من أنهم لا يسيطرون على المدينة بشكل كامل، لم يكونوا فيها قبل بداية الصراع! سيطرواجزئياً على أقاليم الضالع وشبوة وإبّ؛ لم يكونوا فيها قبل بداية الصراع! إنهم في تعز، سيجعلونها تعاني كما فعلوا في عدن؛ لم يكونوا فيها قبل بداية الصراع! لم يوجد مظاهرات ضد الحوثيين في صنعاء قبل وفي بداية الصراع؛ لكن لم يعد الوضع كذلك! خرجت مظاهرات مؤيدة لهذه الحرب في بداية الحرب؛ لكنها لم تعد تخرج حالياً!

لم يتغير شيء أو بالأحرى بلا، تغير إيجابي بالنسبة للوحش الذي سيطر على الشِّير، أي المدينة الثانية في إقليم حضرموت[1]؛ قام بتجميع كمية ضخمة من الأسلحة الثقيلة[2] منذ بداية الصراع، ساعده في ذلك عدم التعرض له وخاصة من قِبل التحالف[3].

لم يتغير شيء بالنسبة لسكان اليمن وصنعاء؛ يتلقون دائماً المزيد من القنابل والصواريخ التقليدية وقنابل فوسفورية[4] كذلك ومعها قنابل عنقودية[5] ونيوترونية[6] حتّى! يتلقون الطلقات التي أطلقتها وسائط الدفاع الجوي ولم تنفجر وبالتالي تعاود السقوط في لحظة أو في أخرى! هل هناك أسوأ مما يوجد في بلاد الرعب؟

---

[1] الأولى هي المكلّا (العاصمة الإقليمية لحضرموت)

[2] منها أكثر من مئة دبابة ومدفعية.

[3] لم يقصف التحالف هذا الإقليم وعندما طُرح الموضوع أمامه ردَّ بأن التهديد الحالي هو الحوثيين أما تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية ففيما بعد.

[4] الفوسفور الأبيض أو الأصفر أيضاً؛ مادة متفجرة بقدرات حارقة تفوق قدرتها النابالم لحظة الإنفجار. لا يحترق بل ينتشر على شكل غمامة بيضاء حارقة، مصنَّف في خانة الأسلحة الكيماوية. عند الإستخدام الهجومي، تركيزات الفوسفور العالية تجعل مفعول الغمامة أكثر فتكاً من الإنفجار نفسه.

[5] أو B.A.S.M وهي وعاء ناقل لمقذوفات متفجرة متعددة صغيرة الحجم تسمى عنقودية وتكون إما مضادة للمعدات أو للأفراد. تسمح الأخيرة بإصابة مساحات واسعة باستخدام عدد من الذخائر أقل من الكلاسيكية. نسبة القنابل التي لا تنفجر عند الاصطدام بالأرض قد تصل إلى ثلاثين بالمئة مما يجعل منها خطراً دائماً على السكان قد يستمر لعقود بعد نهاية الصراع.

[6] تسمى القنبلة N وهي قنبلة إشعاعية مصنفة ضمن الأسلحة النووية التكتيكية ذات قدرة تفجيرية منخفضة، مصممة ليخرج منها كميات هائلة من النيوترونات . تؤدي إشعاعاتها إلى أضرار في الأنسجة العضوية وفي المكونات الإلكترونية لكن بنتائج إشعاعية محدودة. تم إلقاؤها على صنعاء ومناطق أخرى في الخامس والعشرين والسادس والعشرين من أيار وفي الثالث عشر من حزيران.

ماذا أيضاً... 1500 قتيل منهم 800 من المدنيين و5000 جريح غالبتيهم من المدنيين أيضاً! أخيراً نزح أكثر من 300 ألف شخص بسبب هذه الأزمة! هذا تغيُّر وتغُّير كبير أيضاً بالطبع ليس في الاتجاه الصحيح كالعادة!

مضى الأسبوع وجرى حوار بالفعل في الرياض لكن دون مشاركة الحوثيين الذين رفضوا المشاركة كما رفضوا التفاوض حول أي نقطة؛ استؤنفت الضربات وبالنتيجة يعلن الرئيس السابق رسمياً دعمه للحوثيين، لم يكن الوضع بحاجة لهكذا دعم! قد يخفُّ توهج السماء (لونها الأحمر ناجم عن ازدحامها بالطائرات والصواريخ) نظراً لانعقاد مؤتمر حوار في جنيف ولوقف محتمل للقصف خلال شهر رمضان.

رمضان...

يعتبر شهر رمضان عيداً حقيقياً بالنسبة لكل مسلم مما يعني الأمر ذاته بالنسبة للشعب اليمني. لكن لا يوجد عمل أو نقود أو كهرباء أو ماء أو منتجات بترولية...إلخ. تستمر الضربات من الجو أيضاً وأيضاً، ومعها ضربات الحوثيين في عدن وتعز لكنها تستهدف حالياً وبشكل يومي أقاليمَ في العربية السعودية كجزان ونجران وعسير. باختصار حب الكائن البشري لذاته يتجلى في أبهى صوره! لكن ماذا عن الرَّضيع والطفل ورجل المستقبل والمرأة والرجل والعجوز؟ هل طلبنا رأيهم حول القضية؟ نعم لقد قلت لفريقي، لأصدقائي ومعارفي أن الجميع مسؤولٌ فردياً عن هذا الرعب الذي ليس له اسم آخر...كانوا يعرفون أنه يوجد من يُقدِّر الوزن الفعلي لبلدهم ومن يتقاذفه ومن تفاوض حوله منذ وقت طويل، ويعرفون أيضاً من ساهم في اللعبة الغدَّارة هذه، لكنهم لم يقولوا شيئاً بل راهنوا في الوقت نفسه على الرابح المحتمل! قلت لهم أيضاً أن الحوثيين مسؤولون لأنهم وضعوا يدهم على بلاد لم يكونوا "مؤَهلاً" لها ولأنهم سفكوا دماء آلاف الأبرياء، وكل ذلك لخدمة قضيتهم وليس لخدمة شعب بكامله! تماماً كما قلت لصالح أنه ومنذ أن غادر السلطة، يتحمل مسؤولية إحاكة المخططات باستمرار ضد بلد لم يكن ملكاً له! لم أُغفل هادي وحكومته لأنهم مسؤولون أيضاً بسبب مماطلتهم ودموعهم المماثلة لدموع التماسيح وتقديمهم لمصالحهم الخاصة على ما تبقَّى! أخصُّ بالذكر التحالف أيضاً لأنه وبسبب افتقاده للخبرة اللازمة لإدارة هكذا عملية، قام بالقتل دون عقاب وبارتكاب مجازر وتدمير وإهانة شعب بهدف وضع أشخاص في الحكم كانوا في الأصل سبباً لهذه المأساة المروعة! أخيراً، المجتمع الدولي ليس بريئاً مما يحصل لأنه قال: "إفعل ما أقول لك، لكن إيَّاك أن تفعل ما أفعله"، مُتجاهلاً العملية وخروقها الدموية!

ولكي يمعن أكثر فأكثر في إجرامه، يقوم الوحش بشن أربع ضربات قبل العيد الكبير![1]

ليست المرة الأولى التي أقضي فيها شهر رمضان في اليمن لكنها المرة الأولى التي أقضيه فيها تحت القصف لأن التحالف، وبرغم تصريحاته التي أعلن فيها اكتراثه بهذه المناسبة، يواصل العملية التي تحمل ربما اسماً آخر (إعادة الأمل)، لكنها ما زالت الفوضى ذاتها في الواقع.

كل يوم مع قدوم الليل، أحتفل مع أفراد من فريقي وآخرين من الدائرة الأوربية للشؤون الخارجية بنهاية الصيام أي الإفطار (لا أصوم ولست مسلما)، كلٌّ يساهم حسب استطاعته![2] يأكلون بعض حبات البلح ويشربون عصير فواكه طبيعي ثم يُؤدون الصلاة لدقائق عدة قبل يجلسوا إلى طاولة الطعام حسنةُ التجهيز دائماً والمفتوحة لمن يريد والعامرة أيضاً على الرغم من... على الرغم من...على الرغم من...

أقوم بزيارات كثيرة حيث تتم دعوتي من قبل عائلات العناصر الذين يعملون معي أو من قبل أصدقائي؛ الدفء نفسه في كل مرة، الأخوَّة نفسها، النظرة ذاتها التي تتأرجح بين سعادة خالية من الهموم وحزن عميق، استسلام أصم وغضب عميق، تفاؤل حقيقي وانهزامية كاملة...

أخيراً استأنفتُ نزهاتي في المدينة القديمة مع أنها أصبحت أقصر مما كانت عليه في الماضي ودائماً في وضح النهار. بالطبع وعلى الرغم من سلوكي الحذر إلَّا أنني ألفت الإنتباه؛ أرى في العيون نظرة متفاجئة من وجود أجانب في المدينة؛ نظرة مليئة بالفرح لأن وجودهم قد يعني نهاية الأعمال العدائية؛ نظرة مليئة بالسخط أو الغضب، أنا الأجنبي سبب المأساة أمشي كمنتصر في مدينتهم...وعندها يتدخل مساعدي من أجل التوضيح لقائل أو لقائلي هذه العبارة وغالباً ما ينتهي بنا الأمر بعد ذلك حول كأسٍ من الشاي الأسود الساخن جداً، مرادفٍ للمشاركة وللسلام المُستَرجَع..طبعاً أخفي هويتي وجنسيتي الحقيقيَّتين، أنا مغترب روسي ...فهذه كذبة عمليَّة وتنال الإعجاب![3]

---

[1] تستهدف أربع سيارات مفخخة مساءً ثلاثة مساجد بالإضافة للمقر العام للحوثيين في صنعاء مما يؤدي لمقتل أربعين شخصاً وجرح ستين آخرين.

[2] أقوم ببيع السيارة التي تواجد فيها أنج وباسكال بمبلغ 4.200 دولار أمركي بعد الإتفاق مع الشركة الأم (طبعاً السيارة غير قابلة للاستخدام مع أنها كانت جديدة وقت وقوع الهجوم) ومن ثم توزيع المبلغ على العاملين معنا.

[3] يعارض الروس هذه الحرب. أرسلوا سفن مساعدات إنسانية إلى صنعاء بانتظام، وأحياناً في خرق للحصار الذي يطبقه التحالف كما دعوا لاجتماع لمجلس الأمن الدولي لكنه مع ذلك فشل. كما أن السفارة الروسية في حالة انشغال دائم ولو في إطار محدود.

في الخلفية مؤتمر جنيف الذي يفتتحه بان كي مون[1] نفسه، ينعقد المؤتمر لكنه ينتهي نهاية حزينة فيما يتعلق بالبلاد وأهلها الذين سيتحملون أيضاً حنق الأبابيل الخليجية[2]. الهدنة التي كانت ستُطبَّق بين العاشر والسابع عشر من تموز ببساطة لم تر النور! لأن أي طرف من الأطراف لم يحترمها، مُحيَ تاريخها من التقويم الزمني كما تُمسح الكتابة بواسطة إسفنجة على لوح مدرسي، كما تمحي الممحاة ما كُتب بقلم الرصاص، كما يمسح المنديل دمعةً على الوجه! يبدو الأمر سهلاً عند قراءة المكتوب لكن الواقع المعاش مأساويٌّ... بقيت صنعاء بمنأى عن القصف لمدة ثلاثة أيام لأن الأخير تركّز في جنوب البلاد وخاصة في أقاليم عدن وشبوَه ولحج. تمَّت استعادة عدن من قبل قوات هادي الشعبية، قوات يمنية تدرَّبت في السعودية، قوات خاصة إماراتية وجنود سنغاليين إضافة لعناصر من تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة[3]، كأننا في حلم لكنها الحقيقة!

عاد ضباط يمنيون[4] من أجل تأمين حماية لهذا المكسب الإستراتيجي، ومن أجل السماح بعودة الحكومة في المنفى كما يقولون...استعاد التحالف قاعدتين عسكريتين في أقاليم محاذية لعدن ويستهدف حالياً أكبر قاعدة عسكرية في البلاد[5]؛ تُعتبر مدخلاً للجنوب بحكم موقعها الإستراتيجي. يتعرض الحوثيون وحلفائهم لكمائن يومية في العاصمة وفي بقية أنحاء البلاد مما يوقع خسائر كبيرة نسبياً في صفوفهم.

أما فيما يخص الأعمال، لم أوقع أي عقد جديد! تعاملت خلال أسابيع مع ملفات متعددة ومعقدة عائدة للأمم المتحدة، فشلت في الحصول على تعاقدٍ عدة مرات مع الأخيرة كان آخرها عندما اختارت صديقي إيجل[6].

---

[1] دبلوماسي ورجل سياسة كوري جنوبي من مواليد عام 1944. يخلف كوفي عنان في الأول من كانون الثاني عام 2007، وهوالسكرتير العام الثامن لهيئة الأمم المتحدة(تمت إعادة تعيينه في المنصب في الحادي والعشرين من حزيران عام 2011 ويشغله حتى الحادي والثلاثين من كانون الأول عام 2016).

[2] 185 طائرة حربية وقاذفة، وحدات بحرية و 150 ألف جندي من جنسيات متعددة.

[3] يوجد العشرات من أعضاءه في تعز حالياً. هؤلاء المُجنَّدون بواسطة "×" (الإشاعات تقول أنه محسن) معروفون للاستخبارات اليمنية ولغيرها بأنها مزيج من المتعاطفين والناشطين في صفوف الحركة الإرهابية.

[4] رئيس الأمن الخارجي، وزيرا الداخلية الحالي والأسبق وعسكريون من رتب عالية، منفيون جميعاً في العربية السعودية منذ بداية الصراع.

[5] قاعدة العناد الواقعة في إقليم لحج؛ قاعدة جوية ومخيم عسكري ضخم وكذلك معسكر تدريب تمركزت فيه قوات خاصة أمريكية قبل نقلها منه في نهاية شباط من عام 2015.

[6] منافسي المباشر على هذا المشروع لكنه صديقي قبل كل شيء وقد أثبت صداقته لي باستمرار خلال السنة الحالية.

لحظة انفجار قنبلة نيوترونية في صنعاء

صنعاء، الثلاثاء الموافق للثامن والعشرين من تموز 2015، الساعة العاشرة صباحاً...

يرافقني دوتور إلى المطار في هذا الصباح اللطيف المشمس! لو لم تكن أصابتني في كل خطوة في هذا البلد مأساة آثارها لا تُمحى، لكنت قلت أن المدينة عادية؛ قليل من الحواجز على الطريق[1] إلا بالقرب من المطار الذي يقع بجوار قاعدة جوية من سوء حظه! ولذا دفع الثمن غالياً؛ متضرر، فارغ، بدون اضواء وحزين و...

قضيتُ مئتي يوم في العمل على الأرض كانت ....لكن ما زلت حيَّاً! لا أفكر بشيء سوى بالجلوس في الطائرة[2] والإنطلاق في رحلة من خمس مراحل؛ بيشا[3] وعمان ومطار شارل ديغول الباريسي وبولون البحرية ومكان سري...تستعد طائرتان يمنيتان للإقلاع! الوداع الأخير لصديقي دوتور الذي يسألني مسبقاً عن تاريخ عودتي من أجل شراء البطاقات،أنا الآن خلف النافذة أُحدق في المنظر الحزين المستمر أمامي! حطام طائرات ومروحيات لم يتثنى لها الإقلاع قبل التدمير، حظائر طائرات وأبنية مُخترقة حيث يظهر

[1] تشكل الحواجز الواقعة تحت سيطرة الحوثيين وحلفائهم هدفاً للتحالف ولتنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية وللمجموعات المنشقة التي تعمل لحساب هادي لأن الهدف النهائي هو دَب الفوضى وعدم الأمان إلى الحد الأقصى في صفوف الحوثيين وحلفائهم.

[2] كما قلت مسبقاً، يسيطر التحالف على المجال الجوي اليمني بالكامل. يعطي الأخير يومياً الحيز الزمني المسموح فيه لطائرتين تابعتين للشركة اليمنية بالإقلاع باتجاه العاصمة الأردنية فقط. يتغير الحيز الزمني المذكور تبعاً للقصف على صنعاء.

[3] واقعة في إقليم عسير السعودي وهي ممر إجباري لكل طائرة تقلع من صنعاء وذلك بهدف التحقق من هوية كل من يترك اليمن.

تداخل معقد من الصعب التعرف عليه، وبقايا شاحنات رادار بسواد قاتل لأن الطوفان مرَّ من هنا فجأةً! بعد إقلاع الطائرة الأولى بربع ساعة، تُعطى النصائح المتبعة من أجل السلامة في عجالة على متن طائرتنا، تتجه الأخيرة إلى المدرج المخصص للإقلاع والذي تعرَّض للقصف مرات عدة، تزداد سرعتها استعداداً للإقلاع فيما عيوني محدِّقة باستمرار في هذه القاعدة الجوية أو فيما تبقى منها!

نصل إلى بيشا بعد رحلة دامت ساعة...المكان فارغ إلا من الطائرة الأولى التابعة للشركة اليمنية. نشعر بالحر اللافح الذي يندفع مع فتح باب الطائرة، لكنه يترك مكاناً لعسكريين اثنين؛ لا يلقون التحية، بدون لباقة، يقومون فقط بفحص جوازات السفر وهم يحدقون بالمسافرين! يمر الجميع فيما يقوم أحدهما بعَدِّهِم أكثر من مرة حتى يبدو الأمر بلا نهاية بالنسبة لنا. يصل اثنان آخران بلباس تقليدي لكنهما يضعان نظارات شمسية، ربما يوجد نقص في صفوف الشرطة! يقومون بإعادة العَدّ والتحقق من جوازات السفر ثم يأتي دور حقائب اليد... الحجرات المخصصة لها مفتوحة، يختارون الحقائب بشكل عشوائي...يطلبون التعرف على مالكيها ومن ثم يأمرونهم بفتحها قبل أن يقوم السادة من الإدارة السعودية بوضع أيديهم داخلها وتفتيشها وتقليب ما بداخلها بشكل غير لائق. يقول البعض أنها حالة حرب، لا أقول شيئاً لكني أظن الشيء ذاته وأنا أراقب تصرفات من حولي.

تستمر الإجراءات لمدة ساعة ونصف قبل الإقلاع لكن الوجوه تُشرق هذه المرة، كما تحلُّ الأصوات محل الهمسات التي كثرت خلال الرُّسو في السعودية، باختصار تبدأ الرحلة بالعودة إلى مسارها العادي أخيراً! نهبط في عمَّان، أناسٌ يركضون في كل الإتجاهات...إنها الفوضى لكن ذلك غير مزعج لأنني سأستعيد حقائبي، فالإقلاع القادم بعد ساعات عدة لكن ليس مع الشركة نفسها، ثم أخرج بهدوء وتمهل إلى خارج المطار.أُخرج سيجارةً وأضعها في فمي ثم أُشعلها وأُدخن النَّفَس الأول، أنظر لكن بعيون مغلقة...أفتحها من جديد لكني لا أرى شيئاً على الرغم وجود الناس حولي، لا أسمع شيئاً رغم أنهم يتكلمون؛ أريد أن أُدخن هذه السيجارة بصمت وفي جوٍّ من الصمت، أعرف أن التدخين سيء جداً لكنه لذيذ ايضاً! بعد ذلك أتصل بالمقربين في فرنسا حيث لا أقول شيئاً تقريباً! ليس لديَّ شيء لأقوله باستثناء أنني أعود وأنني سعيد وما تبقى غير مهم! أفكر بفريقي، اليمن في قلبي لكنني بحاجة لأستعيد أنفاسي وبحاجة للراحة كذلك.

قدمت لي الشركة تذكرة العودة بالدرجة الأولى مجاناً، أشرب كأساً من النبيذ وأقضم بعض المقبلات المالحة بانتظار ساعة المغادرة. أواصل التدخين وأنا جالس على كرسي كبير، تنتابني أحاسيس كانت غائبة عني خلال الأشهر الأخيرة..تملؤني شيئاً فشيئاً، أشعر بصعودها وبأنها ستسيطر عليّ...يجب أن أنهض ...هبط الليل وأسدل صمته علينا، غريبةٌ هذه الضجة حيث لا نسمع شيئاً! بقدر ما غريب أنه لم يتبعها أو بدقة أكثر لم تتم مقاطعتها من قبل هدير المحركات؛ هل تعرفون عن تلك المحركات المركبة على الطائرات

العسكرية القاذفة؛ لها جوف يمكننا أن نضع فيه الكثير من القنابل التي لا تنتظر سوى شيئاً واحداً وهوببساطة إلقاؤها لكي تقابل شيئاً ما أو أحد ما أو الاثنين معاً من أجل أن يندمجا معاً حتى الموت[1]! نعم فكرت بكل هذا، نعم شعرت بألم في داخلي! صعدت على متن الطائرة، ابتسمت لطاقمها جلست في مقعدي، تذوقت كاساً من المياه الغازية! أغمضت عينيّ، حاولت النوم ثم طلبت كأساً ثانياً من المياه الغازية وأنا متيقن أنني لن أرقد هذه الليلة.

أصل إلى مطار شارل ديغول في الصباح ثم تُقلُّني سيارة تكسي إلى محطة قطارات الشمال، الجو غائم خارجاً لكن الشمس مشرقة في قلبي وعلى وجهي...أتناول كرواسان وقهوة وعدد من السجائر، أنا الآن في القطار الذي يحملني إلى معقلي لكنني لن أبقى هناك هذه المرة...مع أني عشت في تلك الأرض لمدة خمسة عشر عاماً ومع أن عدداً من أصدقائي مستقرون فيها، مع أني أعشق البحر، ومع أنه فصل الصيف، لكن على الرغم من كل ذلك "وصلني نداء" ولذا يجب أن أنضم إليه أو بالأحرى إليها خلال أقل من أربع وعشرين ساعة...لكن بالإنتظار، الطقس رائع وأنا حالياً مع أصدقاء أعتبرهم بمثابة عائلة أخرى، أي عائلة الصداقة التي توطَّدت عبر السنوات حتى أصبحوا جزءاً من أهلي اليوم...طلبوا مني أن أغادر اليمن عندما بدأت الحرب كما فعل أبنائي وبعض المقربين...راسلوني جميعاًتوسلوا لي تقريباً لكن كيف بإمكاني أن اقول لهم، أن أوضح لهم وأن أُفهمهم بدون أن أسبب لهم الألم والقلق، كي لا اقول أشياء أخرى...ستكون الأمسية لطيفة وقصيرة لأني على موعد مع ذراعي مورفي، أغرق بينهما، أجعلهما تضماني وتظلياني، شكراً، شكراً، شكراً...

ليلة هادئة ومُهدِّئة، فطور لذيذ ثم رحلة قصيرة لمدة ساعة...ووجهتي مكانٌ مجهول، قرية صغيرة خضراء نضرة، حيث ينتظرني أحدهم، لا...أحدهن...تعرفت عليها في الرابع من كانون الثاني، قابلتها في السادس منه، ثم قابلتها ثانية في التاسع منه، أي عشية سفري الذي لم يكن من المقرر أن يطول أكثر من شهرين! مرَّت الشهور بلمح البصر؛ لكنها انتظرت بصبر لأنها تعرف، وما لا تعرفه تدركه على أيّ حال! سيتواجد في المكان أيضاً ابنتيّ وعمتي وعمي وقريبي وأصدقائي بالتأكيد...

أتابع الأخبار أيضاً، يقدم لي فريقي تقريراً عن الوضع مرة أو مرتين في الأسبوع وقد ازدادت بمرور الأسابيع...أقرأ بين سطور رسائلهم المهنية والشخصية هذا السؤال: "متى ستعود يا جِف؟"تمَّ تحديد تاريخ السفر وشراء البطاقات، وبعد ستة أسابيع وبعض الوداعات، أسافر في الإتجاه المعاكس وأرسو في المدن ذاتها لكن مع أشخاص آخرين وتصرفات ومحادثات مختلفة هذه المرة! في عمَّان، لم يُنشَر موعد مغادرة طائرتي المقرر صباحاً ولا من أحدٍ على علمٍ بذلك...أتعرَّف سريعاً على بعض اليمنيين المتجمعين في مكان هادئ من المطار، ننتظر سوياً ، نتبادل أطراف الحديث ونطلق التعليقات...يمنيون

[1]كناية عن أنها لا تزرع سوى الموت في مكان سقوطها (إضافة من المترجم).

قادمون من كل البلدان ومن الولايات المتحدة بشكل رئيسي، من أجل زيارة عائلاتهم التي لو يروها منذ بداية الصراع؛ لقد حكت لهم عائلاتهم بالتأكيد ما لا يُحكى وقد قرؤوا أخباراً في الصحف من الصعب نشرها وشاهدوا تسجيلات فيديو من الصعب أيضاً عرضها!

خلال فترة غيابي استفادت العاصمة من هدنة استمرت لبعض الوقت[1]، بسبب انشغال التحالف في الجنوب بعد استعادته لعدن بالكامل، مع أن ذلك غير كافٍ...تعلن بيانات التحالف عن برنامج زمني واعد لكن في الحقيقة التقدم بطيء جداً على أرض الواقع أو لا يوجد تقدم أصلاً ..تعز التي حلَّت محل عدن في العذاب والألم، ممزقة بين هادي وجماعته من جهة والحوثيين وشركائهم من جهة ثانية! يتركّز القصف الجوي في أطراف المدينة بهدف القضاء على الأخيرين الذين يستخدمون المدفعية وقذائف الهاون لكي يعاقبون السكان المحاصرين، هؤلاء لا كلمة لهم سوى الرحمة ربما!

[1]باستثناء الأيام التي تلت الرابع من أيلول حيث يصيب صاروخ بالستي قصير المدى من نوع (RTO 21AKHCOT) أطلقه الحوثيون قاعدة للتحالف في صافر(مأرب) بالتحديد مخزناً للذخيرة، ويقتل ويجرح عشرات الجنود. ستدفع صنعاء ثمن ذلك كالعادة حيث سيتم قصفها بدون توقف لمدة 48 ساعة.

في مطار عمّان، الأردن

العودة...

الهدوء الذي خيَّم على العاصمة انتهى وعودتي التي أردتها بدون ضوضاء لم تكن كذلك! تسقط القذائف والقذاراتالأخرى ليلاً نهاراً عليها؛ الأمر الذي فاجأني أن أشياءً ما زالت شامخةً فيها! جرَّبت كل شيء في أسبوع، العسكري بالتأكيد وللمرة المليون، ومعسكرات أُخليَت منذ وقت طويل، الأكاديمية العسكرية من دون طلابها، المقر العام لشرطة الطرق وشرطة الهجرة، جسور، مقرات إقامة خاصة بالحوثيين وبشخصيات نافذة مقرَّبة من صالح، مبنى خاص مسكون من قبل مدنيين...إلخ... بالمناسبة نسيت! ومقبرة أيضاً! لماذا كل ذلك؟ لا أحد يفهم لماذا...لا أحد مطلقاً!لاحظ أن تحولاً واضحاً في الوضع يحدث للمرة الأولى لفائدة الحوثيين وصالح، على الأقل في صنعاء! هذا يعني أن التحالف لم يُغيِّر شيئاً باستثناء أنه قتل ودَّمر من أجل لا شيء، لأنه بفعلته هذه ساهم في قلب الرأي العام الذي كان منقسماً حتى فترة قصيرة مضت...هل هناك من ما زال يعتقد بالتحالف وبضرباته وبقدرته على إعادة هادي إلى السلطة بكل بساطة، فقط لأنه قال ذلك وكرَّره في مؤتمراته الصحفية خلال الأشهر الأخيرة!أُرسل تقريراً سرِّياً إلى "أشخاص محددين أنا على اتصال بهم"يتضمن تحليلاً للأحداث وللتناقضات، الأمر الذي سأدفع ثمنه يوماً...

هادي من ناحيته يصل إلى صنعاء خلال عيد الأضحى[1]، تمَّ اختيار التوقيت بعناية إلا أن النتيجة لن تكون على مستوى الأمنيات...أما أنا فأقول لنفسي أن الوقت قد حان لوضع الفكرة التي تراودني منذ بداية هذه الحرب المنسية في الخارج حيِّزَ التطبيق. لم أسمع حديثاً عنها في فرنسا، الشيء ذاته بالنسبة لأصدقائي في بلجيكا والنمسا وهنغاريا وألمانيا إلا من نَدَر!الوضع مختلف في المملكة المتحدة لكن ليس كثيراً في نهاية الأمر...

أُنظِّمُ لقاءً في ظهيرة أحد الأيام في فندق كبير في المدينة، فقد هذا الأخير حيويته المعهودة لكن الأمر ليس مفاجئاً. يتجمع بعض الأشخاص في المكان، ليسوا من أصحاب القرار في البلاد لكن مع ذلك لهم معارف وسط هؤلاء وهذه فرصة جيدة لأنني بحاجة لذلك! أرغب بتنظيم مظاهرة ضخمة بهدف إسماع صوت هذا الشعب ولذا فإن تواجد وسائل الإعلام أمر أساسي من أجل إيصال الرسالة للعالم. تستقطب الفكرةُ الإهتمام لكن ليس بالشكل الكافي، يجب الذهاب أبعد وأعلى وأسرع من ذلك لأن القنابل لا تنتظر...ربما تنتشر قوات التحالف في الجنوب وربما في حالة جهوزية للتقدم نحو العاصمة لكن كل ذلك لا يعني قرب نهاية الحرب وهنا يكمن قلقي! أقوم بحملة توعية بفضل بعض المعارف في الخارج حيث أرسل لهم رسائل حول الأوضاع المعاشة والعسيرة، مع فيديوهات عن الكارثة اليومية؛ أطلب منهم أيضاً إيصال المعلومات إلى عالم الصحافة. لا تتضمن

[1]العيدالأكثر أهمية في الإسلام إذ يُحتفلُ به بطاعة النبي ابراهيم لربِّه والتي تجلّت بقبوله أن يذبح ابنه الوحيد اسماعيل بأمر منه(أي الله). عندها يُرسل الأخير الملاك جبريل لكي يقوم في آخر لحظة باستبدال الولد بخروف، وبالتالي ينجو من التضحية به كقربان.ولذا تقوم العائلات المسلمة بالتضحية بالماشية في ذكرى هذه الطاعة الكاملة.

المراسلات أحكاماً أو إدانة أو مضموناً سياسياً، مطالب إنسانية فقط وهي إيقاف القصف وتقديم مساعدات إنسانية للجميع...

يتصل بي إيجل مساء لكن ليس من أجل الحديث عن مشروعي الذي يعرفه ويدعمه لكن بالأحرى لكي يقول لي أن أبقى حذراً! قد يكون الوحش مهتماً بحالتي وقد يكون في طور الإستعلام عني – هذا ما تكشفه عمليات التنصت الهاتفي -؛ ربما يتعطَّش لشرب دمي الأجنبي، يمكن لهذا الدم أن يظهر في إحدى تسجيلاتهم "الساحقة النجاح" والتي يتقنها أعضاؤه إخراجها حالياً!سيكلمني إيجل غداً لكن بالإنتظار يجب أن أكون يقظاً في هذه المدينة بدون كهرباء ومراقبة؛ المدينة التي يرتادها كل هؤلاء الذين تحدثت عنهم سابقاً... المدينة التي تُركت وحيدةًحيث بدأ مؤخراً ظهور داعمين للتحالف مكلَّفين بزرع الشك والفتنة وبزعزعة الأوضاع أكثر فأكثر وبتدبير الكمائن...

مع ذلك يجب ألا نفقد التركيز أو الحافز...فريقي التابع للإدارة الأوربية تعب، متوتر وتملؤه الشكوك أيضاً. لذا أضاعف من زياراتي على الأرض وأستمع إلى أعضاءه، أفهم رسائلهم، أطمئنهم وأوبخهم أحياناً أيضاً! لقد حالفهم الحظ كثيراً في الآونة الأخيرة[1] لكن هل سيستمر في محالفتهم؟ قام بعض الأوغاد الذين ادعوا أنهم حوثيون بالدخول مرات عدة إلى مبانٍ رسمية أجنبية وأخشى...أمارس الضغط على أعضاء فريقي من الشرطة[2] مع أنني أتفهَّم موقفهم تماماً! تحديد هوية المخربين جزء من عمل هؤلاء بالفعل لكن هذا على الورق!في الحقيقة أنا خِف وهم يعرفون ذلك جيداً لكن أبقى أجنبياً يمثل عالماً داعماً لهذه الحرب وهذا أمر كبير؛ لذلك يجب اتباع الحيلة لكي لا يتم النظر إلى تعاونهم معي من قِبل الآخرين على أنه خيانة، فصنعاء عاصمة لكنها قبل كل شيء كقرية صغيرة يعرف أهلها بعضهم البعض ولا توجد أسرار فيها.

يكلمني صديقي ليحدثني عن موضوع الوحش ومن ثم يحدد موعداً مع عنصرين من مكتب الأمن الوطني (من ذوي الخبرة وقد تعاونوا بشكل كبير معي)؛ بالفعل استعلم الأخير عن الشركة، وقد سمع كلاماً فيما يخصُّني، وطلب معرفة عملي ومكان تواجدي في صنعاء...لكن لا مبرر للقلق فهم يتابعون الأمر...

[1] حدث مرات عدة أن وقعت شظايا قذائف وقذائف لم تنفجر وغيرها على الوفد ومنها صاروخان من عيار 40 و 82 ملم.

[2] رجال شرطة مكلفون من قِبل وزارة الداخلية اليمنية، موزعون على مراكز عملنا المحددة في العقد. أودُّ أن أشكرهم اليوم ألف مرة على إخلاصهم لنا.

أطفال اليمن[1]

بادرت شخصياً بحشد فريق حولي يضم صديقاً المسؤول المحلي وصديقاً مقرباً وآخرين؛ جميعهم شباب مفعم بالأمل، منغمسون جداً في شؤون المجتمع اليمني، هم أولاده وبناته الراغبون بالقتال على طريقتهم! نُقسِّم المهام حسب رغبات ومهارات وعلاقات كل عضو، في حين أني على اتصال مع صحفي أمريكي متاح ومهتَم[2].وجدنا كفيلاً من أجل تمويل المشروع، المطلوب القيام ببعض الإجراءات من أجل إحضاره وتأمين مسكن له. يزداد عملي الكتابي واتصالاتي الهاتفية ومعها مشاركاتي في عدد متزايد أيضاً من الإجتماعات[3] المخصصة لموضوع المظاهرة[4] التي تمَّ ترخيصها من أصحاب القرار الذين أخذوا قرارهم حول الأمر...

بالتأكيد أتركهم يتكلمون، وبالتأكيد أتركهم جميعاً يُحضِّرون مع كل مرة يتناولون الكلمة فيها "بعضاً" من نيلسون مانديلا والمهاتما غاندي؛ أحلامهم كلها...الوسائل التي استخدموها في زمانهم...حياتهم في الأسر ونشاطاتهم السلمية.إبست مغفلاً وأعرف تماماً أن السياسيَّ سيحضر هذه المناسبة، علينا فقط تحديده والتقليل من أهميته قدر الإمكان. أحاول بالتوازي مع المظاهرة في اليمن، تنظيم مظاهرة في أوربا في اليوم ذاته مع تغطية لها من قِبل وسائل الإعلام الدولية(لن تحدث المظاهرة أبداً).

يقترب التاريخ المحدد لانطلاق المظاهرة فيما تبدأ أولى المشاكل بالظهور! بعد ذلك التدخلات حيث أشعر أن الإنسانية تتبخر خدمةً للسياسي وللألاعيب وللمصالح للغرور الإنساني! تمَّ تأجيل اجتماعنا الأخير المقرر في ظهيرة يوم السابع عشر من تشرين الأول إلى الساعة الثانية ظهراً ومن ثم نقل مكان انعقاده في اللحظة الأخيرة إلى مكان آخر في المدينة...انتهت عبارات اللياقة وأشعر أنه دور الغموض والمراوغة؛ أسمع حتى حديثاً عن إلغاء المظاهرة وهذا غير مقبول أبداً بالنسبة لي، أطرق بيدي بقوة وأستوقفهم لأسألهم عن هدف تجمعنا هنا إن كانوا يريدون الإلغاء في نهاية الأمر! أحدثهم بالتفصيل ولدقائق عن كل ما قمنا به قبل أن نصل إلى هذه اللحظة،يخفت صوتي لكن أحداً آخر سيتابع الكلام ومن ثم يزداد العدد ...يعود التلاحم والتصميم للظهور حيث تتوحد القلوب والأجساد والعقول من جديد!

---

[1] أول اسم أعطِيَ للحركة . سيتم تشكيل حركة ثانية تحت اسم "سلام"

[2] في الحقيقة أنا على اتصال مع ثلاثة صحفيين أحدهم أمريكي عمل كثيراً في سوريا وفرنسي. لأكن اتصالاتنا لن تثمر...

[3] أكثر من أربعين مشاركاً في كلٍّ من تلك الإجتماعات المكثفة والغنية بالإتجاهات التي حضرتها.

[4] سيتم تمثيل كل الأطراف في المظاهرة باستثناء المسلحين والأطفال دون سن السادسة عشرة. خلال المظاهرة ستتم قراءة رسالة وُجِّهَت إلى الكونغرس الأمريكي ومجلس الدوما الروسي والهيئات الأوربية وإلى الأمم المتحدة أيضاً. أخيراً، ستتم كتابة العبارة التالية بالدم على لافتة بيضاء ضخمة تُحمَل خلالها : " أوقفوا قصف اليمن- أوقفوا قصف اليمن".

أشعر أن الأمسيات والليالي طويلة جداً؛ أتابع التعليقات مباشرة على شبكات التواصل الإجتماعي، وبعدها بعض التلميحات قبل أن تصدر القرارات عن أصحاب القرار ومن ثم توضع قيد التطبيق! الأمر في طور الإنتهاء، ما يوحي بذلك التغييرات في المكان وتواقيت التجمع، سيتغير المشهد كلياً في غضون ساعة بالنسبة لي! يتم الإتصال بي من باب اللباقة وإخباري أنه يوجد الكثير من المخاطر ومن المفضّل أن أبقى في البيت!أُصبتُ بحالة من الغضب وبدأت أمشي في البيت جيئةً وذهاباً قبل أن أذهب إلى سريري في الساعة الثانية صباحاً. أنهض بعد ساعتين لأن فريقي، صغير الحجم لكن كبير القلب، جاهز مثلي من أجل الذهاب إلى المكان الجديد الذي لم يسمع أحد عنه سوى الأطفال والرجال المسلحون! أحسنَ المحاولة هؤلاء الذين أرادوا خلط الأوراق بهدف التشويش على الموضوع لكن آمل ألا ينجحوا! سنقوم بكل ما بوسعنا، سُنظهر كل ما بوسعنا وسنقول كل ما لدينا بأسلوب حر وإنساني!

خلال هذا اليوم الذي نكرَّسه بالكامل لسكان في معاناة وعوز، نتظاهر، تستقبلنا مجموعة من العاملين مع الأمم المتحدة، تقوم وسائل إعلام يمنية بتصويرنا وإجراء مقابلات معنا...نُكرِّس الأيام التالية لإرسال ما تَمَّ تسجيله إلى الخارج، أطلب المساعدة من معارفي مرة جديدة (هؤلاء موجودون في اليمن والخارج)، يهبُّون لمساعدتي مرة جديدة، وأشكرهم بدوري مرة جديدة...

سلام...

في السادسة صباحاً أطلب اجتماعاً لجميع العاملين معي بموجب العقد مع الدائرة الأوربية للشؤون الخارجية أو العاملين معي في الشركة نفسها. خلال وجودي وسطهم في الغرفة التي جمعتنا مراتٍ كثيرةٍ، ومنها الوجبة الرسمية التي أقمناها على شرف أنج وباسكال وأحمد، أُعلنُ أمامهم عن نيَّتي ترك مهامي والشركة وكذلك اليمن...خلال ساعة ونصف الساعة أستعرض باختصار السبب الذي دفعني للقدوم إلى هنا، ما تَمَّ إنجازه، وما عشته لكن أصولي أيضاً...حان الوقت لكي أغادر، بدون أسى وبدون ندم، بل على العكس تغمرني السعادة لأنني أتيت إلى هنا، لأنني بذلت الجهد ونجحت في إنجاز ما تَمَّ إنجازه...ولأنني سأحفظ "ما تبقَّى" في قلبي بكل عناية... أشكرهم لمساعدتهم ولدعمهم، لصداقتهم ولصِّلات التي تجمعنا كأصابع اليد الخمسة، أشكرهم لثقتهم بي ولأنهم سمحوا لي أن أقودهم وأحمل لهم مشاعري وأحاسيسي يومياً... لهذه اللحظة وقعها الرهيب كما يملؤها الإحترام من كلا الطرفين. أعرف أن قراري شكَّل مفاجأةً لهم وأنهم يتفهمونه لكنهم لا يصدقونه لأنهم ببساطة لا يقبلونه؛ أختم هذا اللقاء وأنا أتنقَّل بينهم، أُقبِّلهم واحداً واحد وأضمهم بشدَّة بين ذراعَي..عقب ذلك أُخبر شركتي، أصدقائي، معارفي وزملائي اليمنيين والأجانب...

أثناء الإجتماعات الأولى لحركة "أطفال اليمن"

لكن لم ينته كل شيء بعد، حيث سيتم الإعلان عن الحركة الثانية بمساعدة فريقي الصغير!الخطوة مماثلة لسابقتها مع أن الأشياء المُنفذَّ ذة أكثر مُلامسةً للمشاعر وبالتالي أكثر تأثيراً![1] نقوم بكتابة لافتات واختيار مناطق سقطت فيها قنابل التحالف بدون أي مبرر يُذكر حيث قتلت عائلات عاشت هنا بكل بساطة، نذهب إلى المكان بعد ذلك وهو المدينة القديمة، وبعد أن حصلنا على الترخيص اللازم للتظاهر، نُحيي جميعنا بخشوع ذكرى من رحلوا[2]، نقابل شعباً، نكلِّمهُ، نتشارك معه، نتبادل معه كل شيء ونحن نشعر بألمه لكن بالسعادة أيضاً لأنه ما زال حيَّاً في عالم نجهل " من يقوم بماذا وكيف"!

أشارك في اجتماعات خاصة يتم الحديث فيها علناً عن ثورة وأخذ للسلطة بالقوة! أشخاص أثرياء ويحتلون مراكزَ مهمة يعبرون عن أفكارهم أمامي ويوضحون لي لماذا وصلت البلاد وأهلها إلى ما هم عليه! يطلبون منِّي أن أنضمَّ لهم وأن أساعدهم، أن أمثلهم وأن أتحدث باسمهم في الخارج!أُنصِت لهم وأشاركهم بعض مقارباتهم لكن أقول لهم أنني لا أستطيع أن أكون منهم... كما أقول لهم ما لا يقولونه لي، سواءً نال ذلك الإعجاب أم لم ينل فليست هذه هي المشكلة أبداً؛ يمكن دائماً وفعلياً القيام بثورة لكن من يرغب بذلك الشعب أم هم أنفسهم؟

---

[1] نتعلم من تجربة الحركة السابقة ومن حالات الخلل المحتملة في رسائلنا الموجَّهة، نختار ناطقاً باسم الحركة ورسالة مشتركة للجميع. أقوم بكتابة رسالة إلى السيد بان كي مون وحتى ولو لم أتمكن من تسليمها له شخصياً.

[2] نخلِّد الأمكنة بالصور التي نظهر فيها، مع أوراق ملصَقَة على أفواهنا. سيتم نشر كل ذلك على شبكات التواصل الإجتماعي في اليمن والعالم.

تجمع لحركة "أطفال اليمن"

هل انْتُخِبوا أو اختِيروا من قبل الأخير؟ ما هو برنامجهم؟ طموحاتهم؟ وسائلهم؟ داعموهم هنا وفي الخارج؟ هل سيقدمون السلام لهذا الشعب المحطَّم؟ أضيف أخيراً أن موقعهم يُتيح لهم إمكانيةَ فعل شيءٍ ما جميلٍ من أجل شعب، شعوب، هذا الشعب...يمكنهم على سبيل المثال جمعَ الأخير وإخباره بوجود سبلٍ أخرى لإيقاف هذه الحرب، أو على الأقل إجبار القادة الكبار على اللقاء ومناقشة الأمر جدياً. بدون إكراه الشعب، يمكنهم أيضاً اعتماد مجموعة من الإستراتيجيات وتقديمها لأصحاب القرار أو تطبيقها حتى...نعم كل شيء ممكن لكن يجب توفر الإرادة للقيام به، للشعور به ولإدراكه، للتعبير عنه ولإظهاره...بعد ذلك أتوقف هنا، أحييهم وقبل أن أتركهم أُعبِّرُ عن أمنيتي بالسلام لليمن وأهله.

أشارك ايضاً في بعض حفلات الزفاف لأن الحياة يجب أن تستمر على الرغم من الحرب والفوضى والمشاكل...رجال أعضاء في فريقي يعقدون قرانهم؛ عقد قرانهم في ظروف كهذه[1] له دلالة رمزية كبيرة... جميعهم في صالات كبيرة مريحة[2]، نتشارك هذه المناسبات التي تجري دائماً بالطقوس ذاتها، حيث الموسيقا والأغاني الشعبية الدارجة الإقليم الذي ينحدر منه المُتزوِّج.

أخيراً، أستعجل كفيلي من أجل أن يقوم باللازم من أجل إحضار الصحفي الأمريكي (الذي لن يأتي أبداً)، لكي يقوم بالتصوير وبالتعبير عن رؤيته حول الأوضاع، لكن الأجواء في صنعاء عادت إلى الكآبة والتعاسة! تفارق شخصية كبيرة الحياة اليوم، لقد ناضلت طوال حياتها من أجل بلدها[3]. تمَّ نقل جثمان الراحل إلى اليمن مما سيمكنني من تحيته بإجلال خلال حفل التأبين الذي ستقيمه عائلته بهذه المناسبة.

يتابع المبعوث الأممي جولاته في بلدان الخليج واليمن. يعرض صورةً قاتمةً عن الوضع[4] أمام مجلس الأمن الدولي حيث السكان واقعون في شَرْك حرب بدون رحمة[5]. حسب أقواله؛ تواجه المنظمة الدولية صعوبات كبيرة في توزيع المواد الإغاثية[6] في البلاد

---

[1]تمَّ إحصاء ثلاث عمليات قصف للتحالف (مع أنه أنكر ذلك) لصالات أعياد كانت تشهد مناسبات زواج (في أقاليم تعز وذمار وصنعاء).

[2]صالات أعياد أو خِيَم ضخمة (حسب الوضع المالي للعائلات) مجهزة بأرائك. القات حاضر دائماً ويتم استهلاكه بكثرة، مع مشروبات غازية وأخرى من أجل الطاقة. شاركت في العديد من هذه المناسبات المليئة بالمشاعر دائماً خلال سنوات وجودي في هذا البلد.

[3]الدكتور عبد الكريم الأرياني، من مواليد عام 1934 في إقليم إبّ جنوب البلاد، المنحدر من عائلة معروفة تضم سياسيين وقضاة. شغل مناصبَ في وزارات عدة ومنها منصب رئيس الوزراء بين عامي 1998 و 2001. عمل بدون كلل بعد مغادرة صالح للسلطة وحتى وفاته في تشرين الثاني عام 2015 من أجل إنجاح خطة الإنتقال السياسي التي وُضعت في العام 2011. كان عضواً في منظمة *Global Leadership Foundation* التي تقدم المساعدة لقادة الدول والحكومات من أجل تشجيع السلام والديمقراطية والتنمية في العالم.

[4]قال: "البلد يحترق وغارق في الدم"

[5]قُتل 6.400شخص وأُصيب 30ألفاً آخرين منذ بداية الصراع.

[6]مواد غذائية وطبية. من أصل مليار وخمسمئة مليون دولار رصدتها المنظمة الدولية لليمن، سيتلقى الأخير نسبة 15 بالمئة منها فقط.

مع أن الوضع في العاصمة أفضل نسبياً...بالمقابل، لا يمكن إدخالها إلى تعز الواقعة تحت حمَّى القصف المدفعي للحوثيين، كما في صعدة التي تتعرض لقصف عنيف من طرف الخليجيين!تتقدم الحرب وسط هذا الجنون بدلاً من أن تتراجع فيما يدفع الشعب فاتورتها. مع ذلك، سيُقدِّم ممثلون عن هذا الشعب تعازيهم الحارة لي بعد هجمات باريس التي وقعت في الثالث عشر من تشرين الثاني عام 2015.

تمر الأيام ويقترب معها موعد مغادرتي أكثر فأكثر. تتوالى الدعوات والوجبات أيضاً المفعمة بالمشاعر المتعددة التي من الصعب إبقائها طيَّ الكتمان والتعبير عنها في الوقت عينه[1].بمعادتي لا أُقدِّم الوعود لكنني أترك الباب مواربا!ً نعم أرغب بالعودة إلى اليمن لكن لا أعرف متى أو كيف أو لماذا!أو أعرف جيداً لماذا لكن لا أقول لهم...ألتقي للمرة الأخيرة مع الفريق كاملاً خلال احتفالية نُظِّمَت في حديقة الوفد؛ سنتناول الطعام ونتحدث ونبتسم ونضحك... عيوننا مليئة بالمشاعر وقلوبنا تخفق بشدة أما أيدينا فتشدُّ على بعضها البعض.

صنعاء، العاشر من كانون الأول عام 2015، الساعة الرابعة بعد الظهر...

أفتح عينيّ...رقدتُ ولديَّ إحساس غريب أنني نمت لساعات، لأشهر، لا...لسنوات... ماذا أفعل هنا، وحيداً في هذا المطار؟ كم الساعة؟ من هذا الرجل أمامي الذي يعيد لي جواز سفري وبطاقات الطائرة...يقول لي بأن أختم جواز سفري بسرعة إن كنت أريد المغادرة اليوم، فجأة أتذكر كل شيء لكنه كان قد أدار ظهره وغادر مسبقاً... أوقفه على أية حال وأطلب منه هواتفي، كمبيوتري، أقراصي المدمجة، باختصار كل ما أُخِذَ منِّي بدون سبب!لا يستمع لي ويظلُّ متابعاً طريقه بدون استدارة لكنني قررت أن ذلك لن يمضي هكذا ببساطة؛ أمشي خلفه، أُمسك به، أتقدَّمَه، أتوقَّف وأكرِّر طلبي...اقترب رجلان آخران وهما ينظران إليّ، لا يقولان شيئاً، غير أنني أقرأ شيئاً ما في عيونهم[2] يدفعني للمتابعة: !لست مجرماً أو جاسوساً، لا أفهم كل هذا وكل ما أطلبه هو استرداد ما أخذوه مني"..يتفضَّل بالنظر إليّ أخيراً، ثم يفتح سترته ويناولني الهاتفيَن ويُضيف أن الباقي سيرسل لي في فرنسا، بعد ذلك يتبادل بعض الكلمات مع الرجلين الآخرين ويتابع طريقه.

أخذ أحدهما جواز سفري لكي يختمه (فلهذا الختم مفعول مقولة افتح يا سمسم!)بينما يرافقني الثاني إلى الخارج؛الباص هنا، فارغ لكن محركه يدور وبعيداً على المدرج يُمكن رؤية طائرتي، محركاتها في دوران لكن سُلَّم الصعود ما زال ملتصقاً بها.

---

[1] اليمنيون خجلون بطبعهم وثقافتهم وتقاليدهم. وبما لا شيء غير قابل للتغيير، أقلب هذه الحالة القائمة مع فريقي حيث أعبر بصراحة عما يجول في خاطري فيفعلون مثلي كالعادة.

[2] ينتميان إلى مكتب الأمن الوطني لكنهما ليسا من الحوثيين.

أعادوا لي جواز سفري بعد ذلك أمشي حتى أصل إلى السلَّم وعندها يتركني الرجل بعد أن اعتذر عمَّا حدث.

أصعد خطوةً خطوة نحو باب الطائرة وأنا أنظر إلى الباص الذي يبتعد، ثم تنظر عيوني إلى المكان حولي، لا تجرؤ أن تصدِّق مثلي تماماً، وعند وصولي إلى المدخل أتنفَّس بعمق وأنظر نحو الخلف للمرة الأخيرة قبل أن أدخل إلى الطائرة. أغلقت المضيفة الباب فيما أنا أتجه نحو مقعدي؛ الطائرة مكتظة والجو حار داخلها، ينظر المسافرون الذين ينتظرون منذ حوالي الساعة إليّ وقد فهموا الآن سبب تأخير إقلاع طائرتهم، أبتسم لهم وأتنفس بعمق مرة ثانية، أجلس في مقعدي، أُلقي التحية على الشخص الجالس بجانبي وأسترخي أخيراً!

رسالة من مركز " إدارة الأزمة والدعم"

تصلني رسالة إلكترونية من وزارة الخارجية الفرنسية وأنا في القطار في طريقي لأن أقضي عيد الميلاد مع إبنتي، يقول مضمون الرسالة بأنه في حال عودتي لليمن قد يتم توقيفي بشكل تعسفي بتهمة التجسس في مطار صنعاء؛ قد يكون هذا التهديد مرتبطاً بسخط بعض اليمنيين بعد تعييني[1] مؤخراً في شركة صديقي إيجل، جاءتني نصيحة بهذا الخصوص بألا أعود إلى هناك...

أُعيد قراءة الرسالة وأنا متفاجيء، ليس بسبب المعلومة بل بسبب مصدرها، أتصل بالخدمة التي أرسلتها من الوزارة لكنها لا تقدم لي أي معلومة إضافية! لا مشكلة لأنني على اتصال دائم بدوتور وبأصدقاء آخرين خلال رحلتي وقد زودوني ببعض التفاصيل الإضافية. اعتقالي كان مخططاً له قبل وصولي لهذا المطار في العاشر من كانون الأول عام 2015، يأتي الإعتقال بعد وشاية من طرف شخص (×)، أما الدافع الرسمي المشار إليه فهو التجسس، لكن في الأساس الغيرة هي الدافع للتهمة المذكورة. تمَّ إطلاق سراحي في العاشر من كانون الأول عام 2015 الساعة الرابعة بعد الظهر، بعد مفاوضات على مستوىً عالٍ وبعد تدخُّل دولة ثانية؛ أُطلقَ سراحي بناءً على كذبة مفادها أنني أترك اليمن من أجل أعياد نهاية السنة على أن أعود إليه في كانون الثاني من العام التالي.

لكن ينقص بعض الأجوبة من أجل فك هذا اللغز الكامل تقريباً ؛ من هو الشخص (×) الذي أراد "الخير" بهذه الوشاية؟ وما الذي دفع الحوثيين للتصرف بهذه الطريقة؟

[1] عندما أستقيل من عملي وأترك الشركة الأم، أقرر أن أنضم إلى صديقي إيجل من خلال مشاريعنا المشتركة. قلّة من الأشخاص تؤيِّد هذا القرار الذي ليس فعلياً بعد وربما لن يكون أبداً.

تجمع "سلام"

حفل زفاف

يوم الرحيل

لماذا...

تجتاحني الرغبة بالكتابة منذ زمن طويل تماماً كما أتلاعب بالكلمات... منذ زمن طويل أيضاً...أخذت القرار في يومٍ من أيام عام 2015 وبعد أن جلست في مكتبي وخلف حاسوبي، بدأت أصابعي بالعزف...ملأت صفحات كاملة بسرعة كما محيت أخرى قبل أن تعود الحروف للظهور عليها من جديد، لم أكتب عليها هذه القصة، بل قصة أخرى حفظتها على أقراص صلبة، وقد تمّت مصادرة الأخيرة في يوم العاشر من كانون الأول 2015 الذي تحدثت عنه...

فكّوتُ ملياً ولمدة أسابيع قبل أن أجلس من جديد في مكتب آخر هذه المرة وخلف حاسوب آخر...بدأت أصابعي بالعزف أو بتحسُّس لوحة المفاتيح؛ انتشر اللون الحبر الأسود على الصفحات قبل أن تعود وتكتسب لونها الأبيض ثانيةً! لكن في أحد الأيام ستتابع أصابعي الكتابة دون توقُّف حتى أصل إلى اللحظة التي أنا فيها حالياً لأن أشياءً في ذاكرتي لم أقصُّها لكم بعد...

الحرب في قلب الحدث دائماً مع أن وقف إطلاق النار مستمر منذ العاشر من نيسان وأن الأطراف اليمنية تُجري محادثات في الكويت تحت رعاية الأمم المتحدة منذ الحادي والعشرين منه... تقع خروقات للهدنة من جميع الأطراف، لكنها تتبادل الإتهامات بالمسؤولية عنها بالطبع ..لأن أحداً من الأطراف المتنفِّذة، التي قوتها لا تعادل إلا الحماقة، لا يفكر في خِضمْ هذا الجنون القاتل بضحايا الحرب الذين بلغ عددهم حتى الآن 9.600 قتيلاً[1] و 35.000جريحاً بالإضافة لثلاثة ملايين مشرد داخل البلد دون أن ننسى أن ثمانين بالمئة من اليمنيين بحاجة لمساعدة إنسانية... كما أن أحداً منهم لا يفكر بالست وعشرين مليون يمني الذين عانوا ويعانون وسوف يعانون لزمن طويل أيضاً من صدمات[2]متعددة وخسائر ضخمة بسبب هذه الحرب القذرة!

توقفت الضربات الأمريكية باستخدام الطائرات من دون طيار لفترة من الزمن لكنها استؤنفت في خريف 2015نظراً للدولة ضمن الدولة[3] التي أقامها الوحش في جنوب البلاد. تكثّفت الضربات منذ بداية السنة لتصل ذروتها في الأسابيع الأخيرة. بالتوازي، اعترفت وزارة الدفاع الأمريكية بنشر بعض القوات في إقليم حضرموت مؤخراً، تؤازرها

[1]نسبة كبيرة من القتلى والجرحى في صفوف المدنيين. تكبَّد الحوثيون وشركائهم خسائرَ أيضاً كما قوات التحالف وإن يكن بدرجة أقل، لكن لا إحصاءات رسمية عنها (لأن ذلك ضار إعلامياً وكذلك بالنسبة لمعنويات القوات).

[2]حكى لي صديق أن ابنه حديث الولادة والذي كان عمره أشهراً في بداية الحرب "نطق أولى كلماته"مردِّداً بأسلوب مذهل صفير القنابل التي كانت تسقط والانفجارات الناجمة عنها.

[3]سمح التهرب من الضرائب وتهريب المنتجات النفطية وسرقة البنوك لتنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية بكسب مليوني دولار يومياً، الأمر الذي مكّنه من توسيع مناطق نفوذه وتحكمه.

عند الحاجة الوحدة رقم 13 التابعة للمارينز (مع مدمِّرتين) والمتواجدة قبالة السواحل اليمنية.

أخيراً راجع التحالف سياسته بخصوص الوحش القميء حيث تكبَّد هذا الأخير[1] خسائرَ فادحةً من جرَّاء الضربات التي تمَّت بالتنسيق مع الولايات المتحدة، مما دفعه للتراجع بل للتخلي عن العديد من مواقعه في جنوب البلاد[2].

قامت الدائرة الأوربية للشؤون الخارجية والشركة الأم (التي عملتُ لديها سابقاً) بفسخ العقد بينهما قبل أن تستحوذ عليه شركة محلية. فقد العديد من عناصر فريقي وظائفهم في الشركة بعد تغيير العقد و هم حالياً بدون عمل. ينضمون بذلك إلى عشرات الآلاف في صنعاء والذين عملوا مع مجموعات دولية، لكنهم وجدوا أنفسهم بدون عمل في نهاية العام الماضي، طبعاً بسبب الحرب والنتائج المتمخضة عنها ومنها توقف الاستثمارات بشكل كامل والحصار المفروض على البلاد.

الشركة المحلية التي تمَّ إنشاؤها ما زالت تمارس نشاطها مع أنها لا تمتلك أي عقد!

ما زلت لا أعرف من هو السيد (×) هذا...ولم أعد أبحث عن معرفته...بالمقابل عرفت بالصدفة ما الذي استُخدِمَ من أجل اتهامي وتوقيفي في يوم مغادرتي لليمن...السبب هو ذلك التقرير السري الذي أرسلته لبعض الجهات التي أنا على اتصال بها في التاسع عشر من أيلول عام 2015 وقد تضمَّن بعض النقاط التي يمكن تصنيفها بالفعل في إطار عمل تجسسي، حتى ولو بعد التمعن فيها عن قرب ومن وجهة نظر من أُرسلَت لهم- أن هذا التحليل قد كُتِبَ بهدف غايةٍ مختلفة! أخيراً، وهذه آخر "أخيراً"، إن قلتُ مسبقاً أو بالأحرى كتبت "أن الرغبة في الكتابة تجتاحني منذ زمن طويل"، لم أقل في المقابل لماذا حتى ولو أنني أعرف أنكم تعرفون...

من أجل التقدير لبلد مجهول وليس معروفاً كما ينبغي، مُحطَّم، مُتشظِّي، مسحوق، مُقسَّم ومُفكَّك لزمن طويل وإن كان الغدُ له...

من أجل الثناء الحار على شعب أو بالأحرى على شعوبٍ فخورةٍ بنفسها، غنيَّةٍ بتقاليدها لكنها الآن متأثرة ومجروحة للأبد في أعماق أعماقها وإن كان الغدُ لها...

للإشادة برجال يعملون في الظل من أجل خدمة رجال آخرين تحت الأضواء ولكي يتمكنوا من ممارسة مهامهم بِـ حريَّة وفي أيِّ مكان وتحت أيِّ ظروف يواجهونها...

---

[1] تشير أرقام التحالف وشركائه إلى مقتل 800 قاعدي لكن التنظيم والأهالي كَذبوا ذلك وأضافوا أن قسماً كبيراً من المقاتلين انسحبوا إلى مناطق أخرى.

[2] المكلَّا(عاصمة إقليم حضرموت)، زنجبار(عاصمة إقليم أبين) وجار(إقليم أبين).

للإشادة بكل أولئك، أبناء البلد منهم والمغتربين، الذين شاركوني حياتي من قريب أو من بعيد خلال كل تلك السنوات في اليمن...

في الختام، هذه شهادة حول تجربتي التي عشتها هناك والتي اعتبرت من الأهمية بمكان نقلها ليس فقط لمن يريد قراءة كلماتها المكتوبة بل أيضاً لمن يريد فهم ما بين السطور..أُركِّزُ على نقطة مهمة تتعلق بالوحش القميء وذرِّيَّته وكل ما ينتج عنه من أمور فاسدة؛ إنهم هنا لكنهم خارج إطار الوجود الإنساني لأنه لا صفةً رسميَّة لهم كما أن الإنسانية لم تضفِ عليهم هذه الصفة وما هم إلَّا تجسيد للإنحراف الأقصى للجنس البشري؛ هذا الأخير المليء بالشكوك...نعم، المليء بالحماقات بالتأكيد، لكن المفعم بالإنسانية قبل كل شيء... هذا مُؤكَد أيضاً!

فرنسا... الأربعاء الواقع في الحادي عشر من أيار عام 2016، الساعة الرابعة ظهراً

أنا ذاهب...لكنني سأعود

11 أيار 2016

الفهرس

صنعاء، العاشر من كانون الأول 2015 ، الساعة التاسعة..... 10

صنعاء، يوم السبت الموافق للثاني عشر من كانون الأول 2009 ، الساعة الثالثة والنصف صباحاً.....13

درس مبسّط في التاريخ والجغرافيا.....14

عمل بدون مترو الأنفاق وبدون راحة.....15

رحلة رحلة.....16

صنعاء...كانون الأول من عام 2011.....17

صنعاء "العتيقة".....18

صالح.....24

الوضع متوتر على الحواجز.....26

علامة فارقة وسط حمام الدم هذا.....28

ويستمر سفك الدماء.....30

دَويُّ المدفع.....32

يومٌ زاخرٌ بالحركة.....34

اتجاه آخر يلوح في الأفق.....36

ليبيا.....40

عودة الزعيم.....41

قائد جديد لليمن.....44

الوحش القميء.....47

صيفٌ ووداع.....51

مرحباً أيُّها العام 2013 55
الحركة الحوثية.....56
استراحة من أجل "شرب القهوة".....58
نزول بطيء نحو.....60
ولادة ب ب.....62
احتدام الخلافات 64
أنج ومارك وأحمد.....68
أنا بأمسّ الحاجة لعطلة.....74
نحو ثورة جديدة.....75
من سمح بذلك.....81
هناك خبرٌ جيدٌ أخيراً.....82
2015 83
أسبوع 07 86
تمَّ إعلان الإنفصال.....88
صنعاء، الخميس الموافق للسادس والعشرين من آذار 2015، الساعة الثانية صباحاً.....89
صنعاء...يوم الإثنين الموافق للعشرين من نيسان 2015، الساعة العاشرة والنصف.....91
هكذا "يفعلون... يفعلون... ويفعلون...".....93
صنعاء، الثلاثاء الموافق للثاني عشر من أيار عام 2015 الساعة الحادية عشرة ليلاً 96
رمضان.....97
صنعاء، الثلاثاء الموافق للثامن والعشرين من تموز 2015، الساعة العاشرة صباحاً.....100
العودة.....104

أطفال اليمن.....106
سلام.....107
صنعاء، العاشر من كانون الأول عام 2015، الساعة الرابعة بعد الظهر.....111
رسالة من مركز " إدارة الأزمة والدعم".....112
لماذا.....116
فرنسا... الأربعاء الواقع في الحادي عشر من أيار عام 2016، الساعة الرابعة ظهراً...118
الفهرس.....119
فهرس الخرائط والصور..... 122

فهرس الخرائط والصور

اليمن.....5

جامع الصالح – صنعاء.....6

قرية واقعة في منطقة وادي ضهر.....7

بيت بوس (قرية تابعة لصنعاء كانت مسكونة في الماضي من قبل الطائفة اليهودية اليمنية وهي مهجورة حالياً).....7

قصر دار الحجر- مكان الإقامة الصيفية للإمام يحيى (بُنِيَ في العام 1920).....8

شبه الجزيرة العربية.....9

اليمن.....9

نموذج من العمارة اليمنية البرجية ذات المشربيات والقمريات والنوافذ من المرمر المصقول..... 19

جانب من صنعاء القديمة.....20

البيت اليمني في الليل.....21

جانب من السوق الليلي في اليمن.....21

الخان اليمني.....23

طاحونة مع جمل.....23

البحر قبالة *Boulogne sur Mer*..... 38

البحر قبالة *Boulogne sur Mer*..... 39

الشواء على الباربكيو (Barbecue)..... 46

أثناء العمل..... 46

عشيَّة مغادرتي التي تراجعت عنها- كانون الأول 2013 66

علم ب ب (الشركة الجديدة) 67

جميعاً بعد الخامس من أيار 2014..... 73
شيخ من مأرب 78
مع الرئيس السابق علي عبدالله صالح..... 78
أعضاء في الفريق..... 87
أعضاء في الفريق قبل مغادرتهم اليمن بشكل نهائي..... 88
لحظة انفجار قنبلة نيوترونية في صنعاء 99
في مطار عمّان، الأردن.....103
أثناء الإجتماعات الأولى لحركة "أطفال اليمن" 108
تجمع لحركة "أطفال اليمن" 109
تجمع "سلام" 113
حفل زفاف 114
يوم الرحيل..... 115